الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص: أدب شعبي

رسالة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

بعنوان:

القيم الأخلاقية الإسلامية في ضوء الأمثال الشعبية الجزائرية

-دراسة مقارنة-

تقديم الطالب:

* آية الله عاشوري

إشراف:

* أ.د مصطفى أوشاطر

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د شعيب مغنونيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د مصطفى أوشاطر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا
أ.دمحمد بن سعيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د. محمد حجاج أول	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضوامناقشا
د. بن عودة عطاطفة	أستاذ محاضر "أ"	المركز الجامعي غليزان	عضوامناقشا
د. لخضر حشلافي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجلفة	عضوامناقشا

السنة الجامعية: 2014-2015م

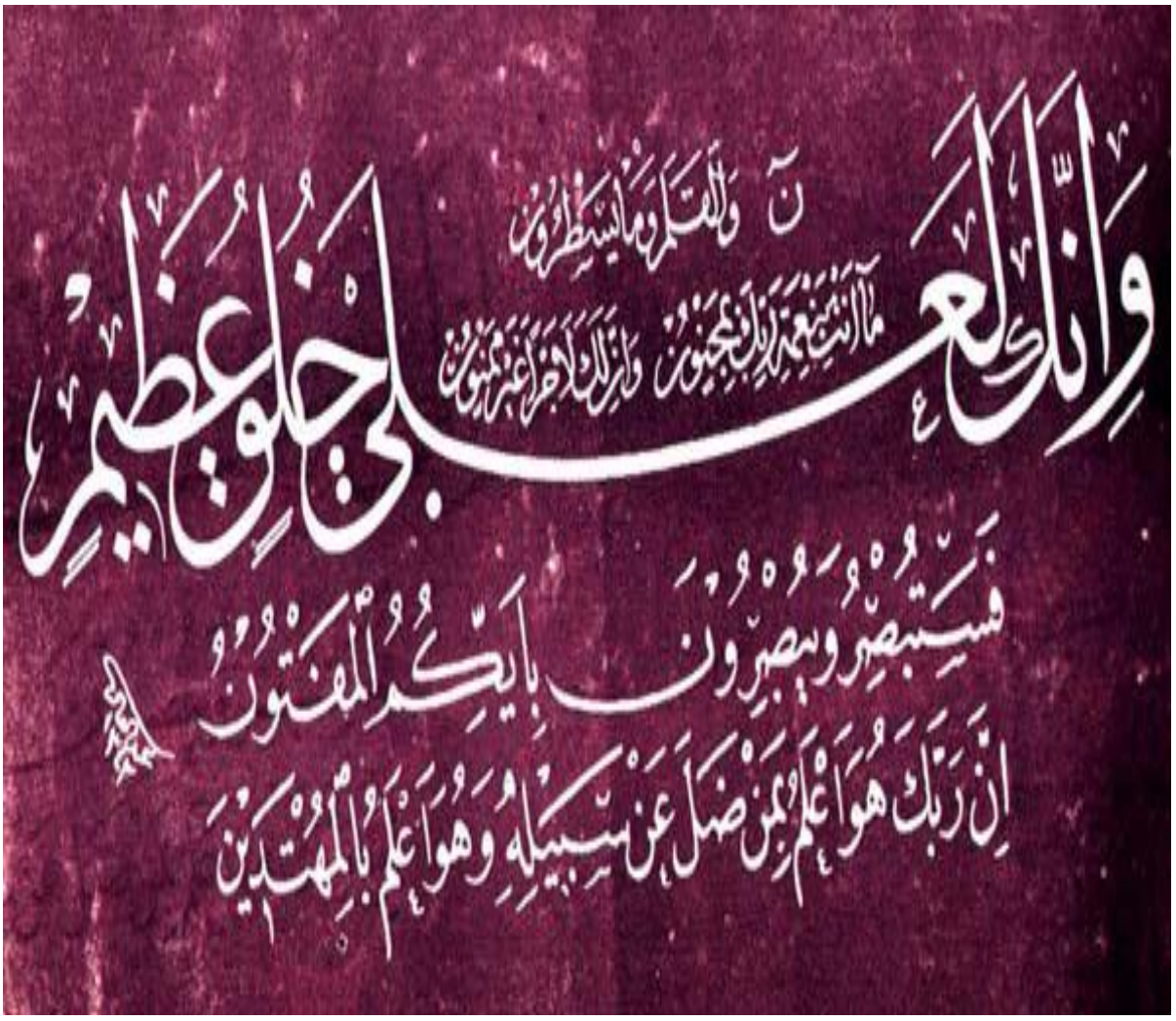
بسم الله الرحمن الرحيم
ن والقلم وما يسطرون
ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون
وإنك لعلى خلق عظيم
فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين

الإهداء

* إلى من ملكت روحي وإحساسي، واحتوت عقلي وأفكاري، وهام بها نثري وأشعاري... القلب الطاهر والنفس الزكية والبلسم الرباني، من حملتني في بطنها تسعة أشهر عدّا، وصيّرت حجرها لي مهدا، وأنالتني إحسانا ورفدا، إنها هبة الرحمن وفيض الحنان، هذا ولست أحصي مدحها ولو كلّ بنانك لساني

... أمّي الحبيبة.

* وإلى من تحمل العناء لأجل راحتي، من سرى حبه في قلبي فازدهر، وأنار لي الدرب فتنور، سندي وعضدي، من لست أحصي منه عليّ بالعدّ

... أبي العزيز.

* إلى من جمعتني بهم أسمى رابطة، إخوتي الأعزاء: شهيناز، ليندة، فائزة، عبد الوحيد، عز الدين، وبالأخص ميادة، وجيه، هدايات، هاجر رتاج.

* إلى من تربّعت عرش قلبي، من لست أهوى إلاّها... رحيمة.

* إلى أبر الناس في صحبتي: محمد معلّم، إسماعيل خربوش.

إلى كل من سلك سبيل العلم ابتغاء وجه الله الكريم

أهدي ثمرة هذا البحث.

آية الله عاشوري

تشكرات

* اللهم لك الحمد والشكر حتى ترضى، ولك الحمد والشكر إذا رضيت، ولك الحمد والشكر بعد الرضى، أنت من خلقتني وصورتني كما تشاء بإتقان، وأنت من هديتني بفضلك لشرائع الحق والإيمان، وأنت من أسبغت علي من نعمك بلا عدّ ولا حسبان، وأنت من يسّرت لي الأسباب وأوضحت لي المقاصد فانجلت بتبيان، فلك الحامد كلها بخواطري وجوارحي ولساني، ولك الشكر يا ذا الجود والإنعام والإحسان.

*ثم خالص شكري إلى من أنار لي طريق البحث وبنصائحه أولاني، وبتوجيهاته وتصويباته صعاب البحث كفاني، فأشرف على رسالتي فشرفت بذاك وزادت ثقتي فله امتناني...

"الدكتور مصطفى أوشاطر".

*وجزيل شكري للأعضاء اللجنة العلمية الموقرة التي تفضلت في قراءة هذا البحث، وأشرفت على تقويمه ونقده، وتكرّمت عليّ بالنصائح الرشيدة والآراء السديدة التي يسرّني أن أنقشها في ذاكرتي بحروف من ذهب.

*إلى كلّ من أهدى إليّ عيوبي، وبصّرني بها.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فاوت بين خلقه في الخُلُقِ، كما فاوت بينهم في الخَلْقِ، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين، الذي قال الله سبحانه وتعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[1].

الأمثال أقوال تبلورت في الفكر؛ وتدفّقت بصفاء على القلب؛ ليترجمها اللسان بإيجاز في اللفظ، وكثافة في المعنى؛ وقوة في اللغة؛ وفصاحة في البيان؛ وبلاغة في التصوير؛ فاهتزت لها النفس؛ ورنّت لها الأذن، فكانت زينة في الكلام، وجلاء للمعاني، وتدبرا للأفهام، لها التأثير البليغ في النفوس، والوقع الأبلغ على القلوب، والموقع الحسن في الأسماع.

إنها زبدة المقال؛ وعصارة الخواطر؛ ووليدة القرائح؛ ومرآة للأحوال المعيشة؛ وصورة حقيقية للمبادئ والمعتقدات السائدة والبائدة، وخلاصة للتجارب الإنسانية؛ وحكمة منبثقة من حنايا الفكر، وفلسفة تصويرية للحياة في سائر مناحيها، ومرصد للعلاقات القائمة بين الأفراد أنفسهم وما يدور حولهم، إنها ألصق بالحياة الشعبية، والممارسات اليومية؛ بل السجل الذي يحوي بين طياته حضارة المجتمع الإنساني بأفراحه وأتراحه، والديوان الذي يجمع آماله وآلامه.

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال في محكم التنزيل؛ وجعلها عبرة للمتدبرين، وآية للمعتبرين؛ ودليلا للسالكين، نطقت بها العرب إذ تخيرها؛ و فضلتها العجم إذ قدّمتها، إنها أبلغ من كل قول؛ وأسير من كل جنس أدبي، وأبلغ من كل شكل تعبيري.

والأمثال وإن قلّ لفظها؛ إلا أنها تحوي بين جنباتها معان كثيفة؛ وحكما جليلة؛ تنوء عن حمل مدلولاتها الأسفار، لتعدد موضوعاتها؛ وتنوع أغراضها، وبلاغة تصويرها، وتراوحها بين المدح والذمّ، والتبشير والتنفير، والترغيب والترهيب، فهي البحر الزاخر في أعماقه الدرّ كامن،

[1] سورة القلم، الآية: 4.

يحظى به كل غواص يبتغي الخير والفضل، ومن تلك المواضيع التي حوتها الأمثال الشعبية الجزائرية، حيث أحسنت في تصويرها، وأبلغت في عرضها، موضوع القيم الأخلاقية الإسلامية.

فما محل القيم الأخلاقية الإسلامية من الوجود في الأمثال الشعبية الجزائرية؟

وما مدى توافق دعوات الأمثال الشعبية الجزائرية الأخلاقية مع تعاليم الدين الإسلامي؟

وكيف يمكن للأمثال الشعبية الجزائرية أن تكون أسلوبا دعويا للتمسك بمكارم الأخلاق، والترفع عن سفاسفها؟

ومع تسليط الضوء على التقدم العلمي والتكنولوجي، ومواكبة العصرنة، وغيرها من المواضيع التي تنحاز إلى الماديات، فإنني أجد أن الحديث عن موضوع الأخلاق من الموضوعات التي لا تقل أهميةً عن تلك المواضيع.

ونحن نعيش أزمة أخلاق في واقعنا، سواءً على مستوى الإنسان مع ربه، أو مع نفسه، أو مع الآخرين، وهذا مما يؤكد أهمية طرق هذا الموضوع.

كل إنسان إلا وهو ملزم بالحرص على كمال عقله، وسلامة ذوقه، ولن يتأتى له ذلك حتى يتحلى بالفضائل، ويتخلى عن الرذائل، فيكون حسن خلقه العاصم له عما يشينه، والحافظ له من الوقوع في براثن الخطأ، حينها يكون ميالا للخير، متفان في إتيانه، ذا همة عالية، وقلب مطمئن، وصيت ذائع، وشأن رفيع.

فأهمية الأخلاق بالغة لما لها من تأثير كبير على سلوك الإنسان وما يصدر عنه، فكما أن الشجرة ينبئ عن طيبتها أصلها الثابت وفرعها الذي يسمو في السماء، أما الخبيثة فلا قرار لها، إذ اجتثت من جذورها، فكذلك سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في مكنونات نفسه، ولن يصلح الفرع إلا إذا صلح الأصل.

ومنه فإن العلماء قد أدركوا تلك الأهمية والسرَّ في الدعوة إلى نشر الأخلاق الإسلامية، إذ شمّروا على السواعد، فرفعوا الأقلام، وأسالوا الحبر، ليصنفوا على مرِّ العصور والدهور تصانيف عديدة، خاصة تلك التي أفردت لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولعظم شأن الأخلاق، وأهمية صقلها، قد أفردت لها كتب خاصة منذ القدم، وضمنتها أخرى بين دفتيها، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

* صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

* ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي)، مكارم الأخلاق.

* إسماعيل عبد الفتاح كافي، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية.

* الخرائطي (أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري)، مساوئ الأخلاق ومذمومها.

* سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب.

* الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي)، مكارم الأخلاق.

* كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام.

* الميداني (عبد الرحمن حسن حبنكة)، الأخلاق الإسلامية وأسسها.

ولما كانت الثقافة الشعبية الجزائرية تزخر بعطاء عميم وثراء عظيم من الأمثال؛ التي تعد بحق من ألطف صور التعبير التي يؤنس بظاهرها؛ ويعتبر بمضمونها، لما فيها من الحكم البليغة والمواعظ المؤثرة التي تهذب سلوك الإنسان، وتريه عاقبة أموره، فيقلع حيث أخطأ ويثبت حيث أصاب.

ولأهمية ذلك فقد رغبت في الكتابة حول هذا الموضوع، إذ أوردت – مستعيناً بالله تعالى – مجموعة من الأمثال الشعبية، محاولا إبراز مدى توافقها وتعاليم الإسلام السمح، مع التركيز على مجموعة من الأخلاق الإسلامية، والتي اخترتها لكونها لصيقةً بتصرفات المسلم في يومه وليلته، ولأننا أصبحنا في مجتمعٍ أصابت أخلاقه الشهوات الدنيويّة، واعترتها الاهتمامات الدونيّة.

إن العديد من الأمثال الشعبية الجزائرية التي ضمنتها رسالتي لم تكن قد دونت من قبل، لذلك حرصت على على أن تكون حاضرة بغية الاطلاع عليها، والاستفادة منها، دراسة وتحليلا، أذكر منها على سبيل التمثيل:

* الْوَالْدِينْ رَبْحِي وْ رَاسْ مَالِي، وْ طَاعَتْهُمْ فَرْضْ الْعَالِي.
* مَرْضِي الْوَالْدِينْ مَا يْشُوفْ بْلَا وَ لَّا سْوَايَعْ مْخَبَّلَه.
* الْمَتْوَاضَعْ يَرَّفْعَهْ الْعَالِي، وْ شَانَهْ غَالِي.
* عَاصِي وَالْدِيهْ: بَابَهْ مَسْدُودَه، وْ دَعَّوْتَهْ مَرْدُودَه.
* الطَّمَاعْ: لِيلَهْ وَسْوَاسْ، وَنْهَارَهْ مْسَالَةْ النَّاسْ.
* مَنْ دَارْ خِيرْ وَ عْلِيهْ نْدَمْ، كُلّْ مَا بْنَى هَدَّمْ.

ولقد سلكت الإيجاز المفيد، وابتعدت عن الحشو الممل، إذ ذكرت الأمثال الشعبية الجزائرية مشكولة حتى تنطق بالشكل الصحيح؛ ثم حاولت تقريبها من الأفهام بتحليلها وشرحها، والإشارة إلى مدلولها، وطعّمت كل خُلُقٍ ببعض الآيات القرآنيّة، وكذا الأحاديث النبوية متحريا الصحيح منها، وأوردت من كلام السلف الصالح رضوان الله عليهم والآثار، وما قاله الأدباء والبلغاء؛ ونظمه الشعراء؛ وأبدعه الحكماء، مع ذكر أمثال مضارعة لها فصيحة كانت أو عامية؛ عربية أو أعجمية تبيانا للتداخل الثقافي والحضاري والمجتمعي بين مختلف الشعوب، مما يهدف إلى وجوب التمسك بهذه القيم الأخلاقية الإسلامية.

ووسمت رسالتي بـــ: القيم الأخلاقية الإسلامية في ضوء الأمثال الشعبية الجزائرية -دراسة مقارنة-.

وقد قسّمتها إلى مدخل وفصلين وخاتمة؛ فأما المدخل فخصصته لتحديد المصطلحات، محاولا من خلاله التطرق إلى ماهية المثل الشعبي، وذكر الجهود المبذولة في جمعه ودراسته، بعدها عرفت القيمة لغة واصطلاحا، وذكر وظائفها، وتبيان مصادرها، أما الخُلُق فعرفته لغة واصطلاحا، وكذا مواطن ذكره ومدلولاته في القرآن الكريم.

وأما الفصل الأول فقد عنونته بـــ: الترغيب في معالي الأخلاق في الأمثال الشعبية الجزائرية، عرضت فيه: بر الوالدين، الصدق، التواضع، القناعة والتعفّف، الكرم والضيافة، وكذا الصبر.

وقد خصصت الفصل الثاني المعنون بـــ: الترغيب عن سفاسف الأخلاق في الأمثال الشعبية الجزائرية، لتناول عقوق الوالدين، الكذب، الكبر، الطمع، المنّ بالعطية والصدقة، وكذا النميمة.

وأنهيت ما أقدمت عليه بخاتمة لخصت فيها ما تقدم عرضه وشرحه بذكر أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدت في هذه الرسالة على الدراسة المقارنة، منتهجا الإجراء التحليلي الوصفي، الذي ارتأيت أنه الأصلح لمثل هذه الدراسات، والذي من خلاله تتجلى أصالة ثقافتنا الجزائرية، وتتضح معالم عراقتها، كيف لا وهي التي تشرّبت من أنقى مصدر، وأصفى مورد، ألا وهو الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى دينا للعالمين.

وقد واجهتني بعض المشاكل والعراقيل كما هو الشأن بالنسبة إلى كل باحث؛ لكنني سعيت جاهدا -ولله الفضل والمنة على ذلك- إلى تخطيها، ولعل أبرزها قلة المصنفات التي جمعت الأمثال الشعبية الجزائرية؛ رغم ما تزخر به الثقافة الشعبية الجزائرية من كم هائل من الأمثال التي تنتظر من يحفظها من الضياع، ويصونها من الزوال بالحفظ والجمع والدراسة من حفظة التراث العريق، وخَدَمَة الثقافة الأصيلة.

وفي الختام أقول: لقد بذلت جهدا أحتسبه عند الله عز وجل، وحسبي أني اجتهدت، فما كان من صواب فمن الله وحده، والحمد لله الذي هداني إليه، وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، فأستغفر الله منه وأتوب إليه، ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي، وبصّرني بها، ثم خالص شكري إلى من أنار لي طريق البحث وبنصائحه أولاني، وبتوجيهاته وتصويباته صعاب البحث كفاني أ.د. مصطفى أوشاطر.

وصلى اللهم وسلّم على محمّد النموذج الأوحد الذي حاز شرف ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[2] وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتممتها بفضل الله وتوفيقه

ببجاية يوم:

15 شعبان 13/1435 جوان 2014م

آية الله عاشوري

[2] سورة القلم، الآية: 4.

1. المثل الشعبي:

1.1 الماهية:

الأمثال فن من الفنون الأدبية الشعبية، قد ألّمت بكل جوانب الحياة من حب وكراهية ومعاملة وأخلاق وغير ذلك مما يتعلق بالحياة وينبع عنها ويصب فيها؛ فمجالها واسع، ونطاقها شاسع؛ وبها يعرف أخلاق الشعب، وتعلم نظرته للحياة بناء على معتقداته، عاداته وتقاليده وتفكيره.

يعرفها أحمد أمين قائلا: «الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية؛ ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني؛ فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي؛ يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها»[1].

أما رشدي صالح فقد عرف المثل بقوله: «إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي؛ ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية»[2].

ويقول الأستاذ قادة بوتارن عن الأمثال في مقدمة كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية): «إنها جواهر قد حفظت من التلف باندساسها في ذاكرة الأجيال المتتالية؛ وهي كتر ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل قوم؛ وذلك لأنها وليدة لظروف معينة؛ وبالتالي وليدة التاريخ والجغرافية والمناخ والتربية...إن خاصيتها الأساسية هي الإيجاز؛ فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فن الحياة، فإنها تعبر عما تكنه الشعوب

[1] أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية،ج1، لجنة التأليف والترجمة، د.ط، 1953م، ص61.

[2] أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ط، 1954م، ص6.

في أعماق أنفسهم، ولذلك يكاد يعرف قائلوها من بين هذه الشعوب بمجرد الإطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها».[1]

ومن العلماء المحدثين يقول الدكتور يوسف عز الدين: « المثل هو الصورة الصادقة لحال الشعوب والأمم؛ ففيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر السنوات الطويلة من حضارتها؛ وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها؛ نجد في طياته مختلف التغييرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة وطرق متعددة كالسخرية اللاذعة والحكمة الرادعة».[2]

ويقول محمد أبو صوفة: «والمثل سواء أكان في معناه الظاهري المسجل للحدث أم بمعناه الباطني الذي يشتمل على الموعظة والحكمة؛ فإنه مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب، فهو تراث العامة والخاصة، وهو واحد من أهم مكونات الشخصية الأدبية العربية، وهو ملمح من ملامحها الأصيلة؛ وهو إلى هذا وذلك نهاية البلاغة في لغتها كما أنه دليل الحصافة والفهم؛ والأمثال مصابيح الأقوال».[3]

ويقول سيمون إبراهيم حمصي: « إن صنع المثل على الرغم من عفويته يحتاج إلى نفس حساسة بارعة في صياغة اللفظ المطابق للشعور والفكرة في موقف ما ؛ فإذا لم تتيسر للمثل هذه الصفات مات لحظة ولادته؛ هذا والمثل الناجح في قصة ولادته يخرج من فم إنسان واحد ظريف حكيم لطيف محرق، ليصبح مثلا شعبيا بعد أن يقر الذوق العام (ذوق الشعب) ذلك المثل فيردده ويرويه... ولها سمات فنية لطيفة كالإيجاز والموسيقة والتنغيم والصنعة اللفظية المحببة المقبولة

[1] قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، د.ط، 1987م، ص5.

[2] محمد إسماعيل صيني. ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، د.ط، 1996م، المقدمة، ي.

[3] المرجع نفسه، المقدمة، ي.

والتصوير المجسد للمعنى والحوار المحيي للموضوع. فمما يدني الأمثال إلى القلب إيجازها، والمثل لحظة من نور تضيء لك فتدعك أمام دنيا من الأفكار في زمن وجيز».[1]

ويعرفها رابح خدوسي بقوله: «المثل الشعبي يعتبر صفوة الأقوال وعصارة الأفكار سبقتنا عبر التاريخ الإنساني؛ وهو زبدة الكلام الصادر عن البلغاء والحكماء، أجمع المتحدثون عن صوابه للاستشهاد به في مواقف الجدل ومختلف ضروب الكلام»[2].

ويقول عنها في موقع آخر: «هي صورة واضحة عن تاريخ من العطاء البشري؛ وعن حياة أجيال وأجيال مليئة بالتجارب والخبرات بالأفراح والأقراح وأساليب الحياة المرتبطة بهما؛ وهي أيضا سجل يتضمن منظومة فكرية تحتوي على مجموعة قيم اجتماعية؛ تربوية؛ أخلاقية وسياسية... إلخ، تفيد الباحثين والدارسين في استكشاف الماضي قصد استشاره في الحاضر والمستقبل».[3]

ومن أهم التعاريف المعاصرة ما أوردته الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها (أشكال التعبير في الأدب الشعبي) حيث تقول: «المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية؛ يعايش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا»[4]، وتقول في موضع آخر : «إن صياغة المثل بدأت فردية قد نطق به فرد في زمان معين ومكان معين، وإذا مس المثل حس المستمعين له؛ فهو حينئذ بينهم وكأنه عبارة ذات أجنحة؛ وعندئذ يتعرض المثل للتحوير والتهذيب حتى يوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا».[5]

---

[1] سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ــ سوريا، ط1، 1990م، ص 424 وما بعدها.

[2] رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، 1997م، ص 5.

[3] المرجع نفسه، ص 5.

[4] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط3، د.ت، ص 98.

[5] المرجع نفسه، ص140.

وبناء على تقدم نجد أن نظرة المحدثين إلى المثل قد أخذت صورة أشمل وأعم؛ محاولة منهم إلى ربطه بأخلاق الشعب وعاداته؛ ومزج الجانب الأدبي بالجانب الاجتماعي قصد الوصول إلى تعريف دقيق.

فالمثل عندهم ما نطق به الفرد فاستحسنه الناس ليصادف رواجا بين الناس، فيشيع بينهم ويذيع؛ أو هو ذلك القول الموجز المستوعب من حكمة الشعب؛ والمولود من البيئة الاجتماعية، معانيه مكثفة؛ وسبكه محكم؛ وتصويره بليغ، صاغه فرد مجبول على صياغة الكلام؛ ثم صادف رواجا عند مستمعيه؛ فتداولوه وتحدثوا به في مواقفهم المشابهة لمضربه.

ولما كان المثل تصويرا للحياة الاجتماعية بجوانبها السلوكية والأخلاقية؛ ومرآة صادقة ومطابقة لما يعيشه الشعب من آمال وآلام اكتسى طابع الشعبية سواء كان فصيحا أو عاميا.

وعلى ذكر عامية المثل لابد من تبيان أن تلك السمة لا تعد مطعنا في بلاغة المثل ولا منقصة من قدراته التبليغية والتأثيرية؛ لأن الأذواق تحصل بكثرة استعمال لغة ما؛ وما تعارف عليه أفراد المجتمع من مصطلحات تبلغهم مقاصد الفهم ومراد الاستيعاب؛ فكل فرد مدرك لبلاغة لغته وذائق لمحاسن الكلام المتداول بين أفراد مجتمعه؛ ومنه فعاميته ليست عيبا ولا منقصة، وإنما هي بلاغة وفصاحة.

2.1 جمعه ودراسته:

لقد أفردت للأمثال كتب خاصة منذ القدم، ولعلّ أكبرها شأنا وأشهرها ذكرا (مجمع الأمثال) للميداني؛ فقد جمع في كتابه ما يزيد عن الستة آلاف مثل عربي فصيح، وكتاب (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، وكذا كتاب (الأمثال)لابن سلاّم.

أما في العصر الحديث فقد جمعت الأمثال بمختلف اللغات واللهجات في دواوين؛ فضلا عن المجلات والدوريات والصحف التي لا يخلو عدد منها إلا وينشر بين طياته مثل أو أكثر؛ والأمثال الشعبية الجزائرية قد جمع بعضها في مصنفات نذكر منها: مصنف قادة بوتارن، والذي يحوي ما يزيد عن العشرة آلاف مثل؛ فقد وزع الأمثال وفق الحقول الدلالية لها، وقد رتبها في ستة أجزاء؛

مع شرح كل مثل شرحا موجزا؛ والأمثال التي أوردها هي تلك التي تداولها الناس في منطقة الجنوب الغربي، أما عبد الحميد بن هدوقة ومن خلال مصنفه (أمثال جزائرية) حاول جمع أكبر قدر من الأمثال المتداولة في قرية الحمراء غرب مدينة سطيف والتي قاربت الستمائة وأربعين مثلا مصنفا ومشروحا مع التعليق عليه، ورد الكثير منها إلى أصولها في التراث العربي الإسلامي. وقد حذا حذوه في جمع الأمثال رابح خدوسي في مصنفين: (موسوعة الأمثال الجزائرية) و(موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية)، والدكتور محمد سعيدي في كتابه (الأمثال الزراعية).

هذا ولا ننكر جهود العديد من الطلبة الجامعيين في بحوثهم الأكاديمية، والتي حاولوا من خلالها جمع هذا الإرث الحضاري، ومنهم من تناولها بالتحليل والدراسة، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

* المثل الشعبي في منطقة الأوراس–جمع وتصنيف ودراسة، مذكرة ماجستير، إعداد: سمية فالق، إشراف: العربي دحو، جامعة محمد منتوري–قسنطينة، 2005/2004م.

* المثل الشعبي في منطقة ميلة–جمع وتصنيف ودراسة، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، إعداد: آمال بوشكندة وسميحة بولمعيز، إشراف: عزيز لعكايشي، جامعة محمد منتوري–قسنطينة، 2011/2010م.

* الأمثال الشعبية القبائلية لمنطقة آث عباس (بجاية)–جمع ودراسة، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، إعداد: رفيق بوزيدي وزوبير براهامي، إشراف: آية الله عاشوري، جامعة عبد الرحمن ميرة–بجاية، 2012/2011م.

* الأمثال الشعبية الجزائرية–دراسة لسانية اجتماعية، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر، إعداد: نبيلة إمخلوفن، إشراف: ليلى لطرش، جامعة عبد الرحمن ميرة–بجاية، 2013/2012م.

2. القيـــــم:

1.2 الماهية:

1.1.2 لغـــــة:

جاء في كتاب العين: «وقيم القوم: من يسوس أمرهم ويقومهم. ورمح قويم، ورجل قويم. وفي الحديث: (ولا أَخِرُّ إلا قائما)، أي: لا أموت إلا ثابتا على الإسلام... والقيّمة: الملة المستقيمة. وقوله: وذلك دين القيّمة، أي المستقيمة... وقوام كل شيء: ما استقام به... والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم تقول: تقاوموا فيما بينهم».[1]

أما كتاب الصحاح فقد أورد: «والقيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قوّمت السلعة. وأهل مكة يقولون: استقمت السلعة، وهما بمعنى واحد. والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾[2] أي في التوجه إليه دون الآلهة. وقوّمت الشيء فهو قويم، أي مستقيم. وقولهم: ما أقومه، شاذ. وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[3] إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية. والقوام: العدل. قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[4]...وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده».[5]

وفي مقاييس اللغة: «وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك. وبلغنا أن أهل مكة يقولون: استقمت المتاع، أي قوّمته. ومن الباب: هذا قوام الدين والحق، أي به يقوم».[6]

---

[1] انظر، الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري)، كتاب العين، ج5، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ص 232 وما بعدها.

[2] سورة فصلت، الآية: 6.

[3] سورة البينة، الآية: 5.

[4] سورة الفرقان، الآية: 67.

[5] الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، ج5، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/1987م، ص 2017.

[6] أحمد بن فارس (ابن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، ج5، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م، ص 43.

وجاء في المحكم والمحيط الأعظم: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[1] أراد: أن مدينة قوم لوط لبطريق بيّن واضح، هذا قول الزجاج. وقام الشيء، واستقام: اعتدل واستوى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2] معنى قوله: (اسْتَقَامُوا): عملوا بطاعته و لزموا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[3] قال الزجاج: معناه: الحالة التي هي أقوم الحالات، وهي: توحيد الله، وشهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان برسله، والعمل بطاعته...والجمع قوم، وقيم...والقائم بالدين المستمسك به الثابت عليه. وفي الحديث إن حكيم بن حزام قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخرّ إلا قائما". وقوله عز وجل: ﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[4] أي مواظبا ملازما...وأمر قيّم: مستقيم. وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[5] أي: مستقيمة تبيّن الحق من الباطل على استواء وبرهان، عن الزجاج. وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[6] أي: دين الأمة القيّمة بالحق، ويجوز أن يكون دين الملة المستقيمة».[7]

أما في مختار الصحاح: «و(القيمة) واحدة (القيم) و(قوّم) السلعة (تقويما)، وأهل مكة يقولون: (استقام) السلعة وهما بمعنى واحد. و(الاستقامة) الاعتدال يقال: (استقام) له الأمر...و(قوّم) الشيء (تقويما) فهو (قويم) أي مستقيم».[8]

وأما في لسان العرب: «وقيّم الأمر: مقيمه. وأمر قيّم: مستقيم، وفي الحديث: "أتاني ملك فقال: أنت قثم وخلقك قيّم". أي مستقيم حسن...والملة القيّمة: المعتدلة، والأمة القيّمة كذلك.

---

[1] سورة الحجر، الآية: 76.

[2] سورة فصلت، الآية: 30 / سورة الأحقاف، الآية: 13.

[3] سورة الإسراء، الآية: 9.

[4] سورة آل عمران، الآية: 75.

[5] سورة البينة، الآية: 3.

[6] سورة البينة، الآية: 5.

[7] انظر، ابن سيده المرسي (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، ج6، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص.ص 592.590.

[8] الرازي (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط5، 1420هـ/1999م، ص 262.

وفي التنزيل: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، أي الأمة القيّمة...والقيم مصدر كالصغر والكبر إلا أنه لم يقل قوم مثل قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[2]، لأن قيما من قولك قام قيما، وقام كان في الأصل قوم أو قوم، فصار قام فاعتل قيم، وأما حول فهو على أنه جار على غير فعل، وقال الزجاج: قيما مصدر كالصغر والكبر، وكذلك دين قويم و قوام. ويقال: رمح قويم وقوام قويم أي مستقيم، وأنشد ابن بريّ لكعب بن زهير:

فهم ضربوكم حين جرتم على الهدى بأسيافهم، حتى استقمتم على القيم

وقال حسان:

وأشهد أنك عند المليك أرسلت حقا بدين قيم

قال: إلا أن القيم مصدر بمعنى الاستقامة. والله تعالى القيّوم والقيّام. ابن الأعرابي: القيّوم والقيّام والمدبّر واحد...وفلان أقوم كلاما من فلان أي أعدل كلاما».[3]

وقد ورد في تاج العروس: «قيّم الأمر، ككيّس: مقيمه. وأمر (قيّم): مستقيم. وخلق قيّم: حسن. ودين قيّم: مستقيم لا زيغ فيه».[4]

وجاء في القاموس المحيط: «والقيمة بالكسر: واحدة القيم. وماله قيمة: إذا لم يدم على شيء. وقوّمت السلعة واستقمته: ثمّنته. واستقام: اعتدل. وقوّمته: عدّلته، فهو قويم ومستقيم. وما أقومه: شاذ».[5]

---

[1] سورة البينة، الآية: 5.

[2] سورة الكهف، الآية: 108.

[3] انظر، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي)، لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ص.ص 502. 505.

[4] مرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض)، تاج العروس، ج33، دار الهداية ، د.ط، د.ت، ص 319.

[5] الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط8، 1426هـ/2005م، ص 1152.

هذا ولقد استعملت لفظة "القيمة" في اللغة المعاصرة على غير ما جاء في المعاجم اللغوية القديمة، من أن "القيمة" هي الثمن والثبات والاستقرار، بل جاءت دلالة على الأخلاق، بل وارتباطها بالنظم الدينية، وملازمتها للأسس الاجتماعية، وذلك ما ورد في المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية: «يشيع في اللغة المعاصرة استعمال "القيمة" و"القيم" للدلالة على الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، ويؤخذ هذا الاستعمال أنه لم يرد في المعاجم بهذا المعنى، وإنما الذي ورد فيها للفظ "القيمة" معنيان، أولهما: أن قيمة الشيء؛ ثمنه، والثاني: الثبات والاستقرار.

ومن هنا ترى "اللجنة" أن استعمال "القيمة" و"القيم" للدلالة على هذا المعنى المحدث جائز من قبيل المجاز المرسل».[1]

2.1.2 اصطلاحا:

اختلفت تعاريف مصطلح "القيمة" وتعددت حوله المفاهيم لدى العلماء والمفكرين وفق توجهاتهم، وتخصصاتهم، لكنها وإن تباينت شكلا فقد تكاملت مضمونا، ومن تلك المفاهيم ما أورده إسماعيل عبد الفتاح كافي على أنها: «المثاليات التي تسود الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال، ويدافعون عنها قدر الإمكان».[2]

يقول مصطفى أبو العنين: «فهي عبارة عن معايير اجتماعية، ذات صبغة انفعالية قوية وعامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة، ويكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية، ويقيم منها موازين يبرر منها أفعاله، ويتخذها هاديا ومرشدا، وتنتشر هذه القيم في حياة الأفراد، فتحدد لكل منهم خلانه وأصحابه وأعداءه».[3]

---

[1] إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ص 314.

[2] إسماعيل عبد الفتاح كافي، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د.ط، 2005م، ص 42.

[3] علي خليل مصطفى أبو العنين، القيم الإسلامية والتربية –دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها–، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ/1988م، ص 23.

ومنه فالفرد أمام نظم تحدد سلوكاته، وتقنّن تصرفاته، والشرع هو الفيصل بين ما هو مرغوب فيه؛ وما هو مرغوب عنه، يقول السيد الشحات: «القيمة حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب منه والمرغوب عنه من السلوك».[1]

2.2 وظائف القيم:

للقيم وظائف عدة، لها تأثيرها على الفرد والمجتمع، وقد حددها مصطفى أبو العنين:[2]

أ- تأثير القيم على الفرد:

* تعمل على بناء شخصية الفرد، وتحديد أهدافه، ومفاهيمه، وقناعاته.

* تعمل على إرضاء الفرد عن نفسه، وعن مجتمعه بتوافقه في المبادئ والمعتقدات الصحيحة.

* تمنح الأمان للفرد، وتعينه على مواجهة الصعوبات.

* تمنح الفرد قوة في شخصيته.

* تساعد الفرد على إدراك معتقداته، وفهم حياته وعلاقاته.

* تعمل على إصلاح الفرد نفسيا وخلقيا، كما أنها توجهه نحو الخير والإحسان والواجب.

* تعمل على بناء القيمة الخلقية السامية لدى الفرد، كما تساعده على التحكم في شهواته والتغلب عليها.

ب- تأثير القيم على المجتمع:

* تحافظ على تماسك المجتمع، بتحديد أهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة.

* تحديدها المنهج الذي ييسر على الناس حياتهم، ومن ثمّ حفظ الاستقرار.

* تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساسا عقليا، بغية إضفاء التناسق بين أفراد المجتمع.

* تقي المجتمع من الأنانية والنزعات والشهوات الطائشة.

---

[1] السيد الشحات أحمد حسن، الصراع القيمي لدى الشباب، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1988م، ص 68.

[2] انظر، علي خليل مصطفى أبو العنين، القيم الإسلامية والتربية -دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها-، ص.ص 79.77 (بتصرف).

3.2 مصادر القيم الإسلامية:

أ. القرآن الكريم: القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقيم التي تنتظم:

* قيم اعتقادية تتعلق بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

* قيم خلقية تتعلق بالأخلاق الحميدة.

ب. السنة: فهي مصدر من مصادر القيم الإسلامية، فكل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله، يعتبر مقصودا به التشريع والاقتداء.

ج. الاجتهاد: وهو الاجتهاد من جميع المجتهدين من المسلمين، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي، وإذا تم الاتفاق بين المجتهدين، كان هذا الاتفاق على الحكم قانونا شرعيا لا تجوز مخالفته. ومن ثمّ يندرج هذا الحكم ضمن السلم القيمي الحاكم للجماعة.

د. المصلحة المرسلة: وهي التي لم يترل بها نص قرآني، ولكن إذا صدر حكما بإجماع المجتهدين تصبح حكما شرعيا، ومن ثمّ تعتبر من القيم الملزمة أيضا، ولأن حياة الناس تتجدد وتتغير يجب أن يجتهد العلماء في الكثير من أمور الناس، ما لم تبن الأحكام وتصاغ وتندمج في حياة الناس، بما يتوافق مع مقاصد الشريعة، وبذلك تصبح المصلحة المرسلة وما يبنى عليها من أحكام، تعتبر مصدرا من مصادر اشتقاق القيم في المجتمع الإسلامي، لأن هذا الحكم يحدد قيمة الواقع بالنسبة للتشريع، ومن ثمّ يعتبر قيمة من القيم، التي تحدد سلوك الفرد والجماعة.

ه. العرف: ما ألفه المجتمع من قول، أو فعل، أو ترك، ويوجد في العرف نوعان، صحيح وفاسد:

* الصحيح: ما لا يخالف نصا، ولا يجلب فسادا، ولا يفوت مصلحة معتبرة.

* الفاسد: ما يخالف الشرع، أو يجلب ضررا أو يدفع ويفوت المصلحة، والعرف إذا اعتبر مصدرا من مصادر القيم، لا يستقل بذاته كمصدر، بل يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[1]

[1] انظر، المرجع السابق، ص.ص 62.68.

3. الخلـــــق:

1.3 الماهية:

1.1.3 لغـــــة:

ذكر الفراهيدي أن: «خلق: الخليقة: الخلق، والخليقة: الطبيعة. والجميع: الخلائق...والخلاق: النصيب من الحظ الصالح. وهذا رجل ليس له خلاق، أي: ليس له رغبة في الخير، ولا في الآخرة: ولا صلاح في الدين. والخلق: الكذب في قراءة من قرأ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[1]».[2]

قال الفرابي: «والخلقة بالكسر: الفطرة. ورجل خليق ومختلق، أي تام الخلق معتدل...وهذا مخلقة لذلك، أي مجدرة له...والخلّق والخلق: السجية. يقال: "خالص المؤمن وخالق الفاجر". وفلان يتخلّق بغير خلقه، أي يتكلفه. قال الشاعر: (إن التخلّق يأتي دونه الخلق). والخلاق: النصيب، يقال: لا خلاق له في الآخرة».[3]

وقال ابن فارس: «ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدّر عليه. وفلان خليق بكذا، وأخلق به، أي ما أخلقه، أي هو ممن يقدّر فيه ذلك. والخلاق: النصيب، لأنه قد قدّر لكل أحد نصيبه...والخلق: خلق الكذب، وهو اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس. قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[4]».[5]

أما ابن سيده المرسي فيقول: «والخلق والخلق: الخليقة أعني الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[6].الجمع أخلاق لا يكسر على غير ذلك. و تخلّق بخلق كذا: استعمله من غير أن يكون موضوعا في فطرته، قال:

يا أيها المتحلّي غير شيمتـــــــــه إن التخلق يأتي دونه الخلـــــــــــق

---

[1] سورة الشعراء، الآية: 137.

[2] الفراهيدي، كتاب العين، ج4، ص 151.

[3] الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ص 1471 وما بعدها.

[4] سورة العنكبوت، الآية: 17.

[5] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 214.

[6] سورة القلم، الآية:4.

...وخالق الناس: عاشرهم على أخلاقهم. قال:

خالق الناس بخلق حســـــــــن لا تكن كلبا على الناس يهـــــــــرّ

ورجل خليق ومختلق: حسن الخلق، والأنثى خليقة وخليق ومختلقة، هذه كلها عن اللحياني... والخلق: الكذب، وخلق الكذب يخلقه وتخلّقه واختلقه: ابتدعه، قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[1] وقرئ خلق الأولين، وخلق الأولين. فمن قال: خلق الأولين، فمعناه كذب الأولين، وخلق الأولين قيل: شيمة الأولين، وقيل: عادة الأولين، ومن قرأ: خلق الأولين: فمعناه افتراء الأولين».[2]

وأما الرازي فيقول: «و(الخلق) بسكون اللام وضمها السجية، وفلان (يتخلّق) بغير خلقه أي يتكلّفه».[3]

ويقول أيضا ابن منظور: «الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع...».[4]

وقد أورد مرتضى الزبيدي عن الخلق ما نصه: «والخلق بالضم و ضمتين: السجية، وهو ما خلق عليه من الطبع، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن: أي كان متمسكا به، وبآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف.

---

[1] سورة الشعراء، الآية: 137.

[2] ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج4، ص 536 وما بعدها.

[3] الرازي، مختار الصحاح، ص 95.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 86 وما بعدها.

وقال ابن الأعرابي: الخلق: المروءة. والخلق: الدين. وفي التنزيل:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[1]. والجمع أخلاق، لا يكسر على غير ذلك، وفي الحديث: ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق».[2]

والفيروز أبادي يقول: «والخلق، بالضم وبضمّتين: السّجيّة والطبع، والمروءة والدين».[3]

2.1.3 اصطلاحا:

يقول الجاحظ: «إن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة.

وكثير من الناس يوجد فيهم ذلك، فمنهم من يسير إليه بالرياضة، ومنهم من يبقى على عادته، ويجري على سيرته».[4]

فالخلق سجية متمكنة في النفس، تبعث على القيام بأفعال حسنة كانت أم قبيحة بحسب ما تمليه تلك الأخلاق، كل ذلك من غير تفكير ولا تأمل، فالأفعال تبع لما في النفوس.

يقول ابن عاشور: «الخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة (أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة من الفكر) تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل. فخلق المرء مجموع غرائز (أي طباع نفسية) مؤتلفة من انطباع فكري: إما جبلي في أصل خلقته، وإما كسبي ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما

---

[1] سورة القلم، الآية:4.

[2] مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج25، ص 257.

[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 881.

[4] الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق و التوزيع، طنطا، ط1، 1410ه/1989م، ص 12.

شاهد. وينبغي أن يشاهد اختيارا من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه ويقتدي به ويسمى تقليدا، ومحاولته تسمى تخلّقا.

قال سالم بن وابصة:

عليك بالقصيد فيما أنت فاعلـــــه إن التخلّق يأتي دونه الخلـــــــــق

فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها، ولو رام حمل نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه. وقد يتغير الخلق تغييرا تدريجيا بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرائه بتحذير من هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه أو لخوف عقابه، وأول ذلك هو المواعظ الدينية».[1]

وقد فصل القول في حقيقة الخلق أبو حامد الغزالي فقال: «اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق، وأنه ما هو. وما تعرضوا لحقيقته، وإنما تعرضوا لثمرته. ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه، و لم يصرفوا العناية إلى ذكر حده، وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب...فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا، يقال فلان حسن الخلق والخلق، أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر...

فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة، المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا. و إن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا.

[1] ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج19، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م، ص 171 وما بعدها.

وإنما قلنا أنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة، لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال، أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقه السخاء و الحلم. فها هنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل و القبيح. والثاني: القدرة عليهما. والثالث: المعرفة بهما. والرابع: هيئة للنفس، بما تميل إلى أحد الجانبين، ويتيسر عليها أحد الأمرين، إما الحسن و إما القبيح».[1]

ويعرف حبنكة الميداني الأخلاق قائلا: «الخلق صفة مستقرة في النفس- فطرية أو مكتسبة – ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة. فالخلق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق، و ينهى عن مذمومها.

ونستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان: فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون – بحسب العادة – آثاره في السلوك، إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف صادة عن ظهور آثار الخلق في السلوك.

وليست كل الصفات المستقرة في النفس من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للحمد أو للذم، فبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية.

إن الغريزة المعتدلة ذات آثار في السلوك، إلا أن هذه الآثار ليست مما يحمد الإنسان أو يذم عليه.

[1] محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي و بذيله كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للإمام الغزالي وكتاب تعريف الإحياء بفضائل الإحياء للشيخ العيدروس، ج3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1411هـ/1991م، ص 176 وما بعدها.

فالأكل عند الجوع بدافع الغريزة ليس مما يحمد أو يذم في باب السلوك الأخلاقي، لكن الشره الزائد عن حاجات الغريزة العضوية أمر مذموم، لأنه أثر لخلق في النفس مذموم، هو الطمع المفرط وعكس ذلك أثر لخلق في النفس محمود، هو القناعة».[1]

وأما ابن يعقوب مسكويه فيعرف الخلق بأنه: «حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاح من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا.

ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم: الخلق خاص بالنفس غير الناطقة، وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ. ثم اختلف الناس أيضا اختلافا ثانيا فقال بعضهم: من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون: ليس شيء من الأخلاق طبيعيا للإنسان ولا نقول أنه غير طبيعي. وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعا أو بطيئا. وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لأنا نشاهده عيانا ولأن الرأي الأول يؤدي إلى إبطال قوة التمييز والعقل وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا».[2]

---

[1] الميداني حبنكة (عبد الرحمن حسن)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج1، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ/1991م، ص 176 وما بعدها.

[2] ابن يعقوب مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، د.ت، ص 41.

وقد ارتبط مفهوم الأخلاق بالإيمان ومقتضياته، وما ينبثق عنه، وذاك ما ذهب إليه ابن تيمية حيث أرجعها إلى العناصر الآتية:

- ✓ الإيمان بالله وحده لا شريك له، ورازقا بيده الملك وإليه يرجع الأمر كله.(توحيد الربوبية).
- ✓ معرفة الله سبحانه وتعالى، و أنه وحده المستحق للعبادة لا إله غيره.(توحيد الألوهية).
- ✓ حب الله سبحانه وتعالى حبا لا يزاحمه حب آخر؛ فمحبته أصل الحب كله.
- ✓ الالتزام بتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة.
- ✓ الارتقاء عن الدنايا، والسمو عن الأهواء والأنانية قصد تحقيق الرؤية الموضوعية والمباشرة لحقائق الأشياء أو الاقتراب منها.
- ✓ في حال تحقق الرؤية الموضوعية والمباشرة يستلزم أن يكون السلوك والعمل خلقا من الدرجة الأولى.
- ✓ إذا تحقق كون العمل والسلوك خلقا من الدرجة الأولى؛ تحقق بلوغ الكمال الإنساني.

إن المنهج الذي سلكه ابن تيمية يعد أرقى وأكمل وأكثر نضجا ممن سبقه من علماء المسلمين أو غيرهم في هذا المضمار، باعتبار أن العلماء والفلاسفة قد قصر فكرهم و نقص تصورهم بل عجزوا عن تحقيق الكمال الإنساني، في حين نجد أن ابن تيمية قد أوضح الارتباط الوثيق بين الأخلاق والإيمان، فكان تصورا خلقيا صحيحا فمتى فقد الإيمان فقدت الأخلاق، وبالتالي فسعادة الإنسان المأمولة، وكماله المنشود في تحقيق الإيمان والسير على نهجه القويم.[1]

[1] انظر، صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج1، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، د.ت، ص 62 وما بعدها.

وقد اقتفى ابن القيم أثر شيخه ابن تيمية في ربط الإيمان والأخلاق، لأن الإيمان يصلح بين العبد وربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه.[1]

2.3 لفظة (خلق) في القرآن الكريم:

ورد ذكر لفظة (خلق) في القرآن الكريم مرتين:

أولا: قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾[2]

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له؛ بعدما حذرهم وأنذرهم؛ ورغبهم ورهبهم؛ وبين لهم الحق ووضحه...وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ قرأ بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خلقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بفتح الخاء و تسكين اللام.

قال ابن مسعود، والعوفي عن عبد الله بن عباس، و علقمة، ومجاهد: يعنون ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين. كما قال المشركون من قريش: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)﴾[3]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24)﴾[5].

وقرأ آخرون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ - بضم الخاء واللام - يعنون: دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد. ونحن تابعون لهم، سالكون وراءهم، نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138)﴾[6]

---

[1] انظر، المرجع السابق، ج1، ص 63.

[2] سورة الشعراء، الآية: 137.

[3] سورة الفرقان، الآية: 5.

[4] سورة الفرقان، الآيتان: 4،5.

[5] سورة النحل، الآية: 24.

[6] سورة الشعراء، الآية: 138.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: دين الأولين. وقاله عكرمة، وعطاء الخراسانيّ، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير».[1]

وقد جاء عن تفسير هذه الآية في تفسير الجلالين ما نصه: «(إن) ما (هذا) الذي خوفتنا به (إلا خلق الأولين) اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم».[2]

أما تفسيرها في التنوير والتحرير: «وقوله: خلق الأولين، قرأه نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة وعاصم وخلف بضم الخاء وضم اللام. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بفتح الخاء وسكون اللام.

فعلى قراءة الفريق الأول خلق بضمّتين، فهو السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر وقد فسر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خلق حسن، ويقال في ضده: سوء خلق، أو خلق ذميم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[3] وفي الحديث: "وخالق الناس بخلق حسن". فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخلق الحسن، كما قال الحريري في (المقامة التاسعة): "وخلقي نعم العون، و بيني و بين جاراتي بون". أي في حسن الخلق.

والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة (أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة من الفكر) تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل. فخلق المرء مجموع غرائز (أي طباع نفسية) مؤتلفة من انطباع فكري: إما جبلي في أصل خلقته، و إما كسبي ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد.

---

[1] ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي)، تفسير القرآن العظيم، ج6، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، ص 153 وما بعدها.

[2] المحلي (جلال الدين محمد بن محمد) والسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، د.ت، ص 488.

[3] سورة القلم، الآية: 4.

وينبغي أن يسمى اختيارا من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه و يقتدي به ويسمى تقليدا، ومحاولته تسمى تخلقا.

قال سالم بن وابصة:

عليك بالقصيد فيما أنت فاعلـــــه إن التخلّق يأتي دونه الخلـــــــــق

فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها، ولو رام حمل نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه. وقد يتغير الخلق تغييرا تدريجيا بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرائه بتحذير من هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه أو لخوف عقابه. وأول ذلك هو المواعظ الدينية.

ومعنى الآية على هذا يجوز أن يكون المحكي عنهم أرادوا مدحا لما هم عليه من الأحوال التي أصروا على عدم تغييرها فيكون أرادوا أنها خلق أسلافهم وأسوتهم فلا يقبلوا فيه عذلا ولا ملاما، كما قال تعالى عن أمثالهم: ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[1]. فالإشارة تنصرف إلى ما هم عليه الذي نهاهم عنه رسولهم.

ويجوز أن يكونوا أرادوا ما يدعو إليه رسولهم: أي ما هو إلا من خلق أناس قبله، أي من عقائدهم وما راضوا عليه أنفسهم وأنه عبر عليها وانتحلها، أي ما هو بإذن من الله تعالى كما قال مشركو قريش: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[2]، والإشارة إلى ما يدعوهم إليه.

وأما على قراءة الفريق الثاني فالخلق بفتح الخاء وسكون اللام مصدر هو الإنشاء والتكوين، والخلق أيضا مصدر خلق، إذا كذب في خبره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[3]. وتقول العرب: حدثنا فلان بأحاديث الخلق وهي الخرافات المفتعلة، ويقال له: اختلاق بصيغة الافتعال

[1] سورة إبراهيم، الآية: 10.

[2] سورة الأنعام، الآية: 25.

[3] سورة العنكبوت، الآية: 17.

الدالة على التكلف والاختراع، قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[1] وذلك أن الكاذب يخلق خبرا لم يقع.

فيجوز أن يكون المعنى أن ما تزعمه من الرسالة عن الله كذب وما تخبرنا من البعث اختلاق، فالإشارة إلى ما جاء به صالح.

ويجوز أن يكون المعنى أن حياتنا كحياة الأولين نحيا ثم نموت، فالكلام على التشبيه البليغ وهو كناية عن التكذيب بالبعث الذي حذرهم جزاءه في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135)﴾[2]. يقولون: كما مات الأولون ولم يبعث أحد منهم قط، فكذلك نحيا نحن ثم نموت ولا نبعث. وهذا كقول المشركين: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] فالإشارة في قوله: إن هذا إلا خلق الأولين إلى الخلق الذي هم عليه كما دل عليه المستثنى.

فهذه أربعة معان واحد منها مدح، واثنان ذم، وواحد ادّعاء».[4]

ثانيا : قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[5]

قال ابن كثير في تفسيره: «قال العوفي، عن ابن عباس: أي: وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد.

وقال عطية: لعلى أدب عظيم. وقال معمر، عن قتادة: سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: كان خلقه القرآن، تقول كما هو في القرآن.

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن.

---

[1] سورة ص، الآية: 7.

[2] سورة الشعراء، الآية: 135.

[3] سورة الجاثية، الآية: 25.

[4] ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج19، ص.ص 171. 173.

[5] سورة القلم، الآية: 4.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم. فقالت: كان خلقه القرآن...

ومعنى هذا أنه عليه السلام، صار امتثال القرآن، أمرا ونهيا، سجية له، وخلقا تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل. كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: "أفّ" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال البخاري: حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها، وأحسن الناس خلقا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير...

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، و لا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله عز وجل».[1]

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص.ص 190.188.

وقد جاء في "تفسير الجلالين" عن هذه الآية ما نصه: «(وإنّك لعلى خلق) دين (عظيم)»[1].

أما صاحب تفسير "التحرير والتنوير" فيقول: «والخلق: طباع النفس، وأكثر إطلاقه على طباع الخير إذا لم يتبع بنعت...والعظيم: الرفيع القدر وهو مستعار من ضخامة الجسم، وشاعت هذه الاستعارة حتى ساوت الحقيقة.

و(على) للاستعلاء المجازي المراد به التمكن كقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[3]، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]، ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

وفي حديث عائشة أنها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن. أي ما تضمنه القرآن من إيقاع الفضائل والمكارم والنهي عن أضدادها.

والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي صلى الله عليه وسلم فهو حسن معاملته للناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن.

ولهذا قالت عائشة: كان خلقه القرآن، ألست تقرأ: قد أفلح المؤمنون، الآيات العشر.[6]

---

[1] المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، ص 758.

[2] سورة البقرة، الآية: 5.

[3] سورة النمل، الآية: 79.

[4] سورة الزخرف، الآية: 43.

[5] سورة الحج، الآية: 67.

[6] قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) ﴾ (سورة المؤمنون، الآيات: 1-10).

وعن علي: الخلق العظيم: هو أدب القرآن ويشمل ذلك كل ما وصف به القرآن محامد الأخلاق، وما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم من نحو قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)﴾[2] وغير ذلك من آيات القرآن. وما أخذ به من الأدب بطريق الوحي غير القرآن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[3]، فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم، ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مظهر لما في شرعه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[4]، وأمره أن يقول: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[5].

فكما جعل الله رسوله صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة. وبهذا يزداد وضوحا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه، ومتمكن منه في دعوته الدينية.

واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 159.

[2] سورة الأعراف، الآية: 199.

[3] رواه البخاري، وابن سعد، والحاكم، وأحمد، وابن عساكر، عن أبي هريرة مرفوعا. قال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. (الألباني "أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري"، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ/1995م، الحديث رقم 45، ص 112).

[4] سورة الجاثية، الآية: 18.

[5] سورة الأنعام، الآية: 163.

والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن نظره، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.

وأما مظاهرها في رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك كله وفي سياسته أمته، وفيما خص به من فصاحة كلامه وجوامع كلمه».[1]

[1] انظر، ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج29، ص.ص 65.63.

1. بر الوالدين:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الْوَالْدِينْ رَبْحِي وْ رَاسْ مَالِي، وْ طَاعَتْهُمْ فَرْضْ الْعَالِي.**

الإنسان السوي هو الذي يقدر والديه حق قدرهما، ولن يتأتى له ذلك ولو حرص كل الحرص، وأنى له ذلك وهما اللذان حرصا على رعايته منذ كان خلقا ضعيفا لا يقدر على الأمر من شيء، فالأم بقلبها الطاهر ونفسها الزكية وروحها السنية، من حملت في بطنها تسعة أشهر عدّا ذلك الجنين فغذته من دمها، لتضعه بعد مشقة الحمل، وعناء الوضع، مصيّرة حجرها له مهدا، وهي التي أنالته إحسانا ورفدا، إنها بحق هبة الرحمن وفيض الحنان والبلسم الرباني، والأب الذي تحمل العناء لأجل راحة ولده، شقي وتعب لكن من دون منة، بل سروره ومبلغ فرحه أن يرى إبنه يعيش في رغد، ليس ينغص حياته شيء، كلا ولا يكدر صفوه حادث، فتلك راحته ومسرته رغم متاعب الحياة.

وقد أمر الله بطاعة الوالدين وبرهما، بل وشدد على ذلك، فالمؤمن الكيس من بر والديه، والفطن من تبصر الخير في حسن معاملتهما، و الرشيد من أحسن صحبتهما، والمجتمع الجزائري وهو الذي نهل ثقافته من صفو تعاليم الإسلام السمحة يشدد على أمر البر بالوالدين والإحسان إليهما، و أن الخير كل الخير في برهما وطاعتهما، والشر كل الشر في عقوقهما، ومما يتمثلون به قولهم: **مَنْ طَاعْ الْوَالْدِينْ نَالْ الدَّنْيَا وَالدِّينْ.** (طَاعْ: أطاع).

من حقق بر الوالدين تحقق له خيري الدنيا والدين، فنال رضا الله تعالى، وفتحت له أبواب البركة، وأقر الله عينيه بكل ما يرضى، هذا في العاجلة، أما في الآجلة فروح وريحان وجنة نعيم تجري من تحتها الأنهار خالدا فيها، لأن الإنسان إذا أحسن إلى والديه فمعناه أنه ائتمر بأمر الله عز وجل، ومن أطاع الله فقد فاز فوزا عظيما.

يقول أحمد عيسى عاشور: «إذا نظر الإنسان إلى ما تعانيه الأم، وتقاسيه، من ألم الحمل والوضع، وما تتحمله من المشقة والعناء في تربية ولدها، والمحافظة عليه، والقيام بشؤونه صغيرا، والعطف عليه كبيرا، وما يلاقيه الوالد كذلك من الكد، والكدح والسعي عليه، قياما بواجب

الرعاية والحفظ، والإنفاق والتعليم. لاشك أن ذلك المجهود، من كل من الأبوين، يدعو الولد إلى البر، بل يوجب المبالغة، في البر والإحسان والإكرام والصلة».[1]

قال الحسن البصري: حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم.[2]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وأطعْ أباك بكلِّ ما أوصى بـــــــهِ إن المطيعَ أباه لا يتَضَعْضَـــــــــــعُ[3]

فبر الوالدين من طاعة الله عز وجل، حيث قرنه بتوحيده وعبادته، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾[4]، يقول الذهبي: «فَانْظُر رَحِمك الله كَيفَ قرن شكرهما بشكره قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا ثَلَاث آيَات نزلت مقرونة بِثَلَاث لَا تقبل مِنْهَا وَاحِدَة بِغَيْر قرينتها أَي (إِحْدَاهمَا) قَول الله تَعَالَى: ﴿أطِيعُوا الله وَأَطيعُوا الرَّسُول﴾ فَمن أطَاع الله وَلم يطع الرَّسُول لم يقبل مِنْهُ، (الثَّانِيَة) قَول الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاة وَآتوا الزَّكَاة﴾ فَمن صلى وَلم يزك لم يقبل مِنْهُ، (الثَّالِثَة) قَول الله تَعَالَى: ﴿إن اشكر لي ولوالديك﴾ فَمن شكر الله وَلم يشْكر لوَالِديهِ لم يقبل مِنْهُ».[5]

كما أن بر الوالدين من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14)﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32)﴾[7].

---

[1] أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1985م، ص 24.

[2] الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م، ص 151.

[3] الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 1426هـ/2005م، ص 107.

[4] سورة لقمان، الآية: 14.

[5] الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز)، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت، ص 40.

[6] سورة مريم، الآية: 14.

[7] سورة مريم، الآية: 32.

ومن أبواب بر الوالدين كف الأذى عنهما؛ والتواضع لهما؛ والإنفاق عليهم؛ خاصة عند الكبر حال ضعفهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)﴾[1].

كما أن بر الوالدين مما أوصى الله به الأمم السابقة وأخذ به الميثاق عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)﴾[2].

وفي الكتاب العظيم، ذكر لفظ والد –بصيغه المختلفة– سبعا وعشرين مرة؛ في خمس وعشرين آية، وجاء لفظ الأب –بصيغه المختلفة– مائة وست عشرة مرة؛ في مائة وست آيات، أما لفظ الأم؛ فقد ذكر ما يناسب الباب منه –بصيغه المختلفة– أربعا وعشرين مرة؛ في إحدى وعشرين آية.[3]

قال الحزيمي: «وبر الوالدين من أوجب الواجبات، وأعلى المقامات في الإسلام، فقد قرنه الله تعالى بوحدانيته وعبادته، وجعله في مرتبة تلي مرتبة الإيمان والتوحيد، كما أوصى به الرسول عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة، وفصل فيها مجالات البر بالوالدين التي يجب الالتزام بها، وأوجه العقوق التي يجب الحذر منها. وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ليس هناك عمل أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة. وعندما سأل رجل سعيد بن المسيب عن معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[4]. قال: خاطبهما كما يخاطب العبد سيده، وذلك إظهار لتقديرهما، واحترامهما، واحترامهما، وتبيانا لما لهما من فضل. و بر الوالدين، ومصاحبتهما بالمعروف، من أوجب الواجبات، وأعظمها أجرا، فهو مقدم على الجهاد في سبيل الله، الذي لا يصح الخروج إليه إلا

[1] سورة الإسراء، الآيتان: 23و24.

[2] سورة البقرة، الآية: 83.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2005م، ص 287.

[4] سورة الإسراء، الآية: 23.

بإذنهما. فطاعة الوالدين واجبة على العموم في كل شيء، ولا تترك طاعتهما أبدا، إلا إذا أمرا ولدهما بالشرك، أو دفعاه إلى فعل ما يخالف شرع الله، فحينئذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».[1]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكُنْ حافظاً للوالدين وناصـــــــراً لجارِكَ ذي التقوى وأهْلِ التقـــارُبِ[2]

وقد سئل الحسن رضي الله عنه عن بر الوالدين فقال: أن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك، ما لم يكن معصية، والدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[3].[4]

وبر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، بل إنه مقدم على الجهاد في سبيل الله عز وجل، فعن أبي عبد الرحمان الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». متفق عليه.[5]

يقول الحريملي النجدي: «الحديث: دليل على أنّ الصلاة في وقتها أفضل الأعمال، وأن بر الوالدين أفضل من الجهاد».[6]

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد1، ص 292 وما بعدها.

[2] الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، ص 26.

[3] سورة لقمان، الآيتان: 14،15.

[4] الراغب الأصبهاني (أبو القاسم حسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص 399.

[5] النووي (أبو زكرياء يحي بن شرف)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محقق على منهج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مشتملة على تعليقات الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه: محمود بن الجميل، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط2، 1425ه/2004م، الحديث رقم 317، ص 118.

[6] الحريملي النجدي (فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423ه/2002م، ص 221.

عن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجرة من الله تعالى؟» قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» متفق عليه. وهذا لفظ مسلم. وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد».[1]

يقول الحريملي النجدي: «في هذا الحديث تقديم برِّ الوالدين على الهجرة والجهاد».[2]

وَسَأَلَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ عَنْ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ، فَقَالَ: «أَلَكَ وَالِدَانِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ.[3]

وَسَأَلَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – آخَرُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ» ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ.[4]

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَغْزُوَ الرُّومَ وَإِنَّ أَبَوَايَ يَمْنَعَانِي؟ قَالَ: «أَطِعْ أَبَوَيْكَ فَإِنَّ الرُّومَ سَتَجِدُ مَنْ يَغْزُوهَا غَيْرَكَ».[5]

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «بر الوالدين من أفضل الأعمال، بل هو الحق الثاني بعد حق الله ورسوله».[6]

قال الجمهور: يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين عليه، والجهاد فرض كفاية فإذا تعين الجهاد فلا إذن.[1]

---

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 326، ص 120.

[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 225.

[3] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، ص 313.

[4] المرجع نفسه، ج4، ص 313.

[5] الحسين بن حرب (أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي)، البر والصلة، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط1، 1419هـ، ص 36.

[6] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ملخص تحقيقات الحافظ بن حجر والهيثمي والشيخين الألباني والأرناؤوط، مركز التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م، ص 697.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ, وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ». أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم.[2]

فطاعة الوالدين وبرهما فرض على كل مسلم اتقى الله جل وعلا وخشيه، ومن رام رضى الله عز وجل أطاع والديه وأحسن إليهما، ودعا لهما بالرحمة والمغفرة، فطاعتهما واجبة، بل من تمام صلاح المرء أن يحسن معاملة والديه، وفي ذلك يقول المثل الشعبي الجزائري: **طَاعَةْ الْوَالْدِينْ مْنَ الدِّينْ**. ولذلك وجب على كل إنسان أن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وهما اللذان أحسنا إلى الأبناء، تعبا من أجل راحتهم، وجاعا من أجل شبعهم، وعطشا من أجل ترويتهم، وتعريا من أجل كسوتهم، ففضلهما سابق، وإنعامهما ثابت لا ينكره إلا من عميت بصيرته فزل وضل وغوى.

فعلى كل إنسان أن يعاملهما المعاملة الحسنة، ويصاحبهما في الدنيا معروفا وإحسانا، ويغمرهما بالرحمة خاصة إذا بلغا الكبر، فلا يوضعان إلا في أشرف موضع، ومهما فعل الإنسان لهما فلا ولن يبلغ رد الجميل إليهما، ولذلك نجد المثل الشعبي الجزائري يحث على إنزالهما المنزلة الأليق بهما فيقول: **الْوَالْدِينْ تَاجْ فُوقْ الرَّاسْ**. (فُوقْ: فَوْقَ، الرَّاسْ:الرأس).

بحق إنهما الإكليل النفيس، والنعمة التي يجب أن تصان فتقدر قدرها وتعلم قيمتها، فمن رام العز والمجد أكرم والديه، وجعلهما منه بمنزلة الرأس، وما ذاك إلا دليل علو مقامهما، وارتقاء قدرهما، وهما الذان قرن الله تعالى طاعته بطاعتهما، وأوصى بهما خيرا.

الوالدان هما أغلى ما يملك الإنسان في هذا الوجود، إنهما الربح لمن ابتغاه، والظفر لمن رجاه، لا يخيب من أطاعهما، ولا يخسر من بَرَّهُمَا، إنهما عنوان الفلاح ودليل النجاح في الدنيا والآخرة.

---

[1] محمد بن عبد الوهاب (ابن سليمان التميمي النجدي)، الكبائر، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ، ص 170.

[2] ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، دار الفلق، الرياض، ط7، 1424هـ، الحديث رقم 1471، ص 581.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **مَرْضِي الْوَالْدِينْ مَا يْشُوفْ بْلَى وَلَّا سْوَايَعْ مْخَبَّلَه.** (يشوف: بمعنى ينظر، سوايع: يعني ساعات، مخبّله: أي الأحزان وكل ما يكدر صفو الحياة).

هذا خير دليل على أن البر جالب للنعم، دافع للنقم، ومن رام العيش السعيد، فلينشده في طاعة والديه، حينها يكفيه الله عز وجل شر البلاء، ويشمله باللطف في القضاء.

سئل ديو جانس: أي الخصال أحمد عاقبة؟ قال: الإيمان بالله عز وجل، وبرّ الوالدين، ومحبة العلماء، وقبول الأدب.[1]

وحتى يتحقق البر لابد من شروط ثلاثة قد أوردها الدكتور عبد الرؤوف الحناوي:

الأول: أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين.

الثاني: أن يطيعهما في كل ما يأمرانه به وينهيانه عنه، سواء أوافق رغباته أم لم يوافقهما، ما لم يأمراه بمعصية الله تعالى.

الثالث: أن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبان فيه من غير أن يطلباه منه عن طيب نفس وسرور، مع شعوره بتقصيره في حقهما ولو بذل لهما دمه وماله.[2]

و لبر الوالدين صور و مظاهر في الحياة والممات، تصب كلها في طاعتهما بالمعروف والإحسان إليهما.[3]

أ. في حياتهما:

* المعاملة الحسنة، واللطف واللين في القول، والمسرور والبشارة والبشاشة عند اللقاء، وعدم التعرض لهما بقول أو فعل يتأذيان منه.

* الرفق بهما والرحمة، والدعاء لهما، وعدم التعالي عليهما حتى ولو كانا كافرين، بل الواجب خفض جناح الذل من الرحمة لهما.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد)، العقد الفريد، ج2، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د.ط، 1402هـ/1982م، ص 261.

[2] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط2، 1415هـ، ص 17.

[3] انظر، كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص.ص 251. 254.

* طاعتهما بالمعروف في كل أمر يأمرانه ما دام ليس فيه عصيان، وإن كان منهما أمر بمعصية فيجب عدم الإذعان لهما بالطاعة مع مصاحبتهما بالمعروف من دون أذية ولا إضرار.

* خدمتهما على أكمل وجه، فهما سبب في دخول الجنة بإذن الله تعالى.

* الإنفاق عليهما ولو كان غنيين، وفي حال فقرهما فالإنفاق واجب، قال تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.[1]

ب. بعد مماتهما:

بر الوالدين بعد مماتهما لا يقل أهمية عن برهما حال حياتهما، وبرهما بعد الممات له صور قد جمعها حديث أبي أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه إذ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما » أخرجه أبو داود ورجاله ثقات.

وَسَأَلَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، خِصَالٌ أَرْبَعٌ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا؛ فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا» ذَكَرَهُ أَحْمَدُ.[2]

ولما كان لحقوق الوالدين الشأن العظيم، وجب أداؤها على أكمل الأوجه وأتمها، والحرص على تحقيقها دونما تقصير، وقد عدها بعض العلماء عشرة حقوق، كما أوردها القاضي حسين في قوله: «حقوق الوالدين عظيمة فلا تهملها، فبها تحصل على السعادة، وتنال الحسنى وزيادة، وقد قال بعض العلماء إن حقوق الوالدين على الولد سواء كان ذكراً أو أنثى؛ عشرة:

1. أن الأبوين إذا احتاجا إلى طعام أو دواءٍ أو أحدهما، وجب على أولادهم القادرين إطعامهما ومعالجتهما.

[1] سورة البقرة، الآية: 215.

[2] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص 314.

2. إذا احتاجا إلى الكسوة، وجب على الولد كسوتهما.

3. إذا احتاجا إلى الخدمة وجبت خدمتهما، وهذا ليس تفضلاً وإنما يجب ذلك عند الضرورة.

4. إذا دعا الوالدان ولدهما وجب إجابتهما.

5. إذا أمر الوالد بأمر فيه طاعة وجب تنفيذه.

6. إذا تكلم الولد مع والديه وجب عليه أن يتكلم معهما باللين وبالكلام الحسن، لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾[1]، وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)﴾[2].

7. أن لا يدعو والده باسمه، بل يصفه بالأبوة.

8. إذا مشى معه أن يمشي خلفه تأدباً. وقيل أن يمشي خلفه نهاراً وأمامه ليلا.

9. أن يرضى لهما ما يرضى لنفسه ويكره لهما ما يكره لنفسه.

10. أن يدعو لهما بالمغفرة والرحمة لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[3]، وأن يثني عليهما بالخير لقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[4]».[5]

---

[1] سورة لقمان، الآيتان: 14و15.

[2] سورة النساء، الآية: 36.

[3] سورة الإسراء، الآية: 24.

[4] سورة لقمان، الآية: 14.

[5] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، راجعه الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، دار الكتاب، اليمن، د.ط، 2009م، ص 150 وما بعدها.

عَنْ عَبْدِ الْغَفُورِ، عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: قُلْتُ لِكَعْبٍ: احْتَسِبْ عِنْدَ اللَّهِ مَا فَاتَنِي مِنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ؟ قَالَ: «لَمْ يَفُتْكَ بِرُّهُمَا، اسْتَغْفِرْ لَهُمَا وَاجْعَلْ لَهُمَا حَظًّا مِنْ صَلَاتِكَ وَصِيَامِكَ وَصَدَقَتِكَ تَكُنْ مِنَ الْأَبْرَارِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».[1]

وبر الوالدين درجتين:

الدرجة الأولى: أداء حقوق الوالدين المادية التي فرضها الشرع فرضا ملزما يعاقب تاركه، وبر الوالدين في هذه الدرجة لا يعتبر فضيلة خلقية، لأنه في الحقيقة وفاء لدين قديم واجب السداد يضاف إلى دين التربية، والحمل، والولادة، والإرضاع، وغيرها من الديون الواجبة الوفاء...

الدرجة الثانية: نتجاوز حدود الحقوق المستحقة للوالدين بمزيد من الطاعة والعطف والرعاية، وهذا لا يكون قضاء لدين، وإنما يوجبه على نفسه طبقا لمبدأ العدل.[2]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الْوَالْدِينْ مَنْهُمْ الرِّبْحْ وْمَنْهُمْ الْخْسَارَه.** (مَنْهُمْ: مِنْهُمْ، الْخْسَارَه: الخسارة).

وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْوَلَدِ؟ فَقَالَ: «هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ» ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ.[3]

فمن رام الربح في الدارين فليلزم بر والديه، وليكرمهما، ومن عقهما فبشراه خسارة الدنيا والدين، وغضب من الله تعالى يصيبه، كيف لا وقد أهمل حقا أوجبه الله تعالى عليه، فليتق الله عز وجل كل إنسان في والديه، وليعلم أن الربح في طاعتهما، والخسارة في عقوقهما، ومن ابتغى النجاة والخير فليتحرى ذلك في دعائهما له، أما إن أسخطهما فله الهلاك والشر.

قَالَ الْهَيْثَمُ الْحَلَمِيُّ: عَنْ مُورِّقٍ الْعِجْلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَعْلَمُونَ نَفَقَةً أَفْضَلُ مِنْ نَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «نَفَقَةُ الْوَلَدِ عَلَى

[1] الحسين بن حرب، البر والصلة، ص 50.

[2] كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، ص 247.

[3] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص 314.

الْوَالِدَيْنِ» وَزَادَ الْهَيْثَمُ قَالَ: وَدُعَاؤُهُمَا له بِالْخَيْرِ يُثَبِّتُ الْأَصْلَ، وَيُنْبِتُ الْفَرْعَ، وَدُعَاؤُهُمَا بِالشَّرِّ يُبِيرُ الْأَصْلَ.[1]

عَنْ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَا دُعَاءُ الْوَالِدَيْنِ لِلْوَلَدِ؟ قَالَ: «نَجَاةٌ». قَالَ قُلْتُ: فَعَلَيْهِ؟ قَالَ: «اسْتِئْصَالُهُ».[2]

قال الحسن بن علي: كان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين، فإن في دعائهما النماء والإنجبار، والاستئصال والبوار.[3]

هذا ودعاء الوالدين مستجاب لاشك فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مستجاب لهن لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على الولد». أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وحسنه.[4]

ويتمثل الجزائريون بقولهم: **الطَّايَعْ وَالِدِيهْ كُلْ خِيرْ يْجِيهْ**. (الطَّايَعْ: المطيع، يْجِيهْ:يأتي إليه).

فالبار بوالديه، المطيع لهما –في غير معصية–، ينال الخير، ويهنأ بالسعادة الدنيوية والأخروية، ويبسط له في عمره وماله، فينعم بالمعيشة الطيبة، والحياة الهنيئة، والعيش الرغد، فمن أطاع والديه فقد أطاع الله تعالى، ومن أطاع الله تعالى فقد حظي بالخير، وحاز الفضل، وجمعت له الفضائل والمكارم والخيرات.

يقول عبد الرؤوف الحناوي: «الولد البار يهنأ بعمره ويطمئن في عمله، وتحفه السعادة من كل جانب، إذ السعادة الحقيقية في رضى النفس وقناعتها لا في كثرة المال وبسط الجاه، ولا يتأتى

---

[1] الحسين بن حرب، البر والصلة، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص 22.

[3] مجدي فتحي السيد، بر الوالدين والكرم والجود (سلسلة درة الواعظين من صحيح حكايات وقصص الصالحين)، العدد الثالث، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1417هـ/1997م، ص 6.

[4] أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، ص 28.

هذا إلا إذا أدى واجبه باندفاع ورغبة، وما أحلى الحياة إذا طال فيها العمر، وانبسط فيها المال، وغمرتها السعادة! وما أهنأ العيش إذا رافقته طمأنينة النفس، وراحة الضمير، ومحبة الناس!

أما من قدر عليه رزقه، وضاقت به سبل العيش، وخشي قصر العمر فقد وصف له النبي صلى الله عليه وسلم العلاج الشافي فقال، فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه: "من سره أن يمد له في عمره، ويزاد له في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه" رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».[1]

ولنا في السلف الصالح الأسوة الحسنة في برهم بآبائهم، كيف لا وهم الذين شربوا من أصفى مورد، وأنقى منبع، واستناروا بمشكاة الإسلام، وكان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، وهو الذي حاز مكارم الأخلاق، وتزين بحلل الإيمان، فكان خلقه القرآن، ومن تلك الصور ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالت: رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانا أبر من كان في هذه الأمة بأمهما، عثمان بن عفان وحارثة بن النعمان.

فأما عثمان فقال: ما قدرت أن أتأمل أمي منذ أسلمت، وأما حارثة فإنه كان يفلي رأس أمه، ويطعمها بيده ولم يستفهمها كلاما قط تأمر به، حتى يسأل من عندها بعد أن تخرج: ما قالت أمي؟[2]

وكان أبو مرة مولى عقيل يقول: كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرا، وإذا أراد أن يدخل صنع مثله.[3]

[1] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص 23 وما بعدها.

[2] مجدي فتحي السيد، بر الوالدين والكرم والجود، ص 7.

[3] المرجع نفسه، ص 7 وما بعدها.

وما روي عن السري بن يحي، عن عبد الكريم بن رشيد قال: «كان حجر بن عدي بن الأدبر الكندي يلمس فراش أمه بيده، فيتهم غلظ يده فيتقلب عليه على ظهره فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها».[1]

وعن ابن عون قال: «كان محمد بن سيرين إذا كان عند أمه خفض من صوته وتكلم رويدا».[2]

وعن الأشجعي قال: «استسقت أم مسعر منه ماء في الليل، فقام فجاءها به وقد نامت، وكره أن يذهب فتطلبه ولا تجده، وكره أن يوقظها، فلم يزل قائما والإناء معه حتى أصبح».[3]

وعن هاشم بن عروة، أن رجلا رئي وهو يطرق بالكعبة وقد حمل أمه وهو يقول:

إن لها مطية لا أنكـــــــــــــــر إذا الركاب نفرت لا أنفـــــــــــــــر

ما حملت وأرضعتني أكثـــــــــــــــر[4]

وقيل لعلي بن حسين رضي الله عنهما: إنك من أبر الناس بوالدتك، ولسنا نراك تأكل معها، قال: إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك.[5]

و من ذلك ما أورده المأمون إذ قال: لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ على بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن، فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة، فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح، فلم يزل قائما وهو في يده إلى المصباح حتى استيقظ يحيى من منامه.[6]

---

[1] ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي)، مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 167.

[2] المرجع نفسه، ص 168.

[3] المرجع نفسه، ص 169.

[4] المرجع نفسه، ص 170.

[5] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 399.

[6] الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد)، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، تحقيق: أ. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط2، 1418ه/1997م، ص19.

وقيل: طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء، فلما أتاه بالشربة نام أبوه، فما زال الولد واقفا بالشربة في يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه.[1]

وقال ابن المنكدر: بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي. وقيل: إن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه.[2]

وعن هشام بن عروة عن أبيه – أو غيره – أن أبا هريرة رضي الله عنه أبصر رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ قال: أبي. فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله.[3]

وعن معاوية بن صالح قال: «جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أمي عجوز كبيرة، أنا مطيتها أجعلها على ظهري، وأنحني عليها بيدي، وألي منها مثل ما كانت تلي مني، أو أديت شكرها؟ قال: لا. قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: إنك تفعل ذلك بها وأنت تدعو الله عز وجل أن يميتها، وكانت تفعل ذلك بك وهي تدعو الله عز وجل أن يطيل عمرك».[4]

والبر واجب على الأبناء، وحق ثابت للوالدين، إلا أن الأم تستحق الحظ الأوفر، فأحق الناس بالصحبة الأم ثم الأم ثم الأم ثم الأب، فهي من حملت وتألمت وجعا تسعة أشهر فصبرت، ثم وضعت ولا يخفى على كل عاقل معنى الوضع وألم الدفع، وهي التي ربت وسهرت وغير ذلك من الأمور التي يعجز اللسان عن عدها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص19.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص19.

[3] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص 79.

[4] ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص 164 وما بعدها.

قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك» متفق عليه. في رواية: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك، ثم أدناك أدناك».[1]

وعن فضل الوالدين وبخاصة الأم، يقول العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «أحق الناس بحسن صحبة الإنسان: فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أحق الناس بذلك الأم، فأعيد عليه السؤال فقال: "أمك" مرة ثانية، كرر ذلك ثلاث مرات، ثم بعد ذلك الأب، لأن الأم حصل عليها من العناء والمشقة للولد ما لم يحصل لغيرها، حملته أمه وهنا على وهن، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[2] وفي الليل تمهده وتهدئه حتى ينام، وإذا أتاه ما يؤلمه لم تنم تلك الليلة حتى ينام. ثم إنها تفديه بنفسها بالتدفئة عند البرد، والتبريد عند الحر وغير ذلك، فهي أشد عناية من الأب بالطفل، ولذلك كان حقها مضاعفا ثلاث مرات على حق الأب، ثم إنها ضعيفة أنثى لا تأخذ بحقها، فلهذا أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وأوصى بالأب مرة واحدة، وفي ذلك الحث على أن يحسن الإنسان صحبة أمه، وصحبة أبيه أيضا بقدر المستطاع».[3]

ولله درّ الشيخ عبد الرحمان المجذوب إذ يقول:

ما كان كالحرث تجـــــــــــاره ما كان كالأم حبيـــــــــــــــب

ما كان كالشر خســـــــــــاره ما كان كالدين طليـــــــــــــــب[4]

وقد عدد عبد الرؤوف الحناوي بعض مناقب الأم، وأنى له أن يعدّها، فقال: «أما الوالدة فقد حملتك في بطنها تسعة أشهر، تزيدها بنموك ضعفا، وتحملها فوق طاقتها عناء، وهي الضعيفة الجسم، الواهنة القوة. ثم أخرجتك، فيئست في خروجك من حياتها، فلما بصرت بك إلى جانبها نسيت آلامها، وعلقت فيك آمالها، ورأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم انصرفت إلى خدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها وتنميك بهزلها، وتقويك بضعفها، تخاف عليك رقة النسيم وطنين

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 321، ص 118 وما بعدها.

[2] سورة الأحقاف، الآية: 15.

[3] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 699 وما بعدها.

[4] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 52.

الذباب، وتؤثرك على نفسها بالغذاء والراحة. ولما تم فصالك في عامين وبدأت بالمشي، أخذت تحيطك بعنايتها، وتتبعك نظراتها، وتسعى وراءك خوفا عليك، وبقيت ترعاك وتحنو عليك حتى آخر لحظاتها من الدنيا. ومن هنا قدمها الله تعالى في الطاعة على أبيك، ووصاك بها الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر مما وصى بأبيك».[1]

قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر وذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية، وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[2]، فسوى بينهما في الوصاية وخص الأم بالأمور الثلاثة، قال القرطبي المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر.[3]

قال ابن أبي الدنيا: «الأمهات أكثر إشفاقا، وأوفر حبا، لما باشرت من الولادة، وعانين من التربية، فإنهم أرق قلوبا، وألين نفوسا، وبحسب ذلك، وجب أن يكون التعطف عليهم أوقر، جزاء لفعلهن، وكفاء لحقهن».[4]

وذلك ما بيّنه ابن حجر العسقلاني في قوله: «للأم ثلاث أمثال ما للأب من البر، وذلك لصعوبة الحمل والوضع والرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية، والوالد لم يتحمل ما تحملته الأم، فضمه إلى البر لا لتسببه في إيجاده ومحبته والشفقة عليه والإنفاق».[5]

---

[1] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص 55.

[2] سورة لقمان، الآية: 14.

[3] محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ص 171.

[4] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 126.

[5] كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، ص 245.

ولله درّ القائل:

لِأُمِّك حق لو علمت كثيـــــــر كثيرك يا هذا لديه يسيـــــــــر

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكـــي لها من جواها أنة وزفيـــــــــر

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة فمن غصص منها الفؤاد يطيـــــر

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها وما حجرها إلا لديك سريـــــر

وتفديك مما تشتكيه بنفسهـــــا ومن ثديها شرب لديك نميـــــر

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها حنانا وإشفاقا وأنت صغيـــــــر

فآها لذي عقل ويتَّبع الهـــــوى وآها لأعمى القلب وهو بصيـــر

فدونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقيـــــــــر[1]

ومن فوائد بر الوالدين:

1. من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
2. من أفضل العبادات وأجل الطاعات.
3. طريق موصل إلى الجنة.
4. الزيادة في الأجل والنماء في المال و النسل.
5. رفع الذكر في الآخرة وحسن السيرة في الناس.
6. من برَّ آباءه برّه أبناؤه والجزاء من جنس العمل.
7. برّ الوالدين يفرج الكرب.
8. من حفظ ودّ أبيه لا يطفئ الله نوره.[2]

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 149.

[2] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج3، ص 779.

2. الصدق:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **مَنْ كَانْ حُرّْ، قَالْ الحَقّْ يَا لُو كَانْ مُرّْ.**

(حُرّْ: الشريف، يَا لُو كَانْ مُرّْ: حتى ولو كان مرّا).

إن الصدق عز وشرف، وعلو ورفعة، وتبيان لحقيقة الأمر كما هو، وإيصاله على ما هو عليه من غير زيادة ولا نقصان، وذلك ما يجب أن يتحراه كل من طلب الفلاح، وابتغى سبل النجاح، ومن أحسن ما قيل في الصدق قول محمودٍ:

الصدق حلوٌ وهو المُرُّ والصدق لا يتركه الحـــــــــــــــرّ

جوهرة الصدق لها جوهـــــــــر يحسدها الياقوت والـــــــــــدّرّ[1]

يقول القاضي حسين عن ماهيته: «هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، أي مطابقة الخبر للواقع، ويكون في القول والعمل والاعتقاد، والصدق حلية المتقين وصفة المرسلين، وبه جاء النبي الأمين، وفي الذكر الحكيم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33)﴾[2]، وفي سورة الأحزاب نبأ نجاة الصادقين من العذاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)﴾[3]، وفي سورة المائدة بيان منافع الصدق وفوائده: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)﴾[4]، والصدق صفة كمال ومدح، وخلة ثناء وحمد، وليست هناك صفة تكفل استقرار المجتمع، وتضمن الثقة بين الأفراد مثل الصدق، ولذلك اعتبر أساسا من أسس الفضائل الذي ينبني عليه المجتمع الفاضل، وقد اعتبر بعض العلماء الصدق عنواناً لرقي الأمم، فإذا فقد المجتمع الصدق حل محله عدم الثقة، وفقدان

---

[1] الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور)، أحسن ما سمعت، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ص 87.

[2] سورة الزمر، الآية: 33.

[3] سورة الأحزاب، الآية: 23.

[4] سورة المائدة، الآية: 119.

التعاون، والصدق نجاة وعز، والكذب هلاك وذل، والصدق ضرورة من ضرورات المجتمع التي ينبغي أن ينال حظاً عظيماً من العناية في الأسرة، والمدرسة، والجامعات، والوزارات، والحقول، والمصانع، وكافة المؤسسات والمنتديات، والجمعيات والنقابات، فبالصدق ترد الحقوق، وبالصدق تحصل الثقة بين الناس، وبالصدق تزدهر الحياة، والصدق من أرفع الصفات الإنسانية، وأقوي الدعائم التي يقوم عليها أي مجتمع ينشد فلاحاً ونجاحاً، ولما يتبوؤه الصدق من المكانة الرفيعة، والخلق الحميد، فقد دعاء الله المؤمنين للتخلق به فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

والصادق هو الله جل وعلا، نطق به القران إسماً وفعلاً للمولى تبارك وتعالى، فقد جاء في سورة الأنعام: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾[3]، وقال تبارك اسمه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[4]، والصدق وعد الله، والصدق كلام الله، والصدق صفة من صفات النبيين والمؤمنين، ومن لزم الصدق وتحلى به ظفر وغنم.

بالصدق تعمر الديار، وتصح الأخبار، وتدار المصانع، وتزدهر الحياة، وتحصل النجاة، ويرتفع قدر الإنسان، وتتعزّز الثقة بين الإخوان، ويثمر التعاون، ويقوم العدل، ويعم الخير، ويكثر النفع، وتتطور البلاد. والعاقل لا يختار في إدارة الأعمال الهامة إلا أهل الصدق».[5]

وقد جاء ذكر لفظ الصدق في القرآن الكريم – بصيغه المختلفة – مائة وسبعا وعشرين مرة، في مائة وعشرين آية. فقد ذكره الله عز وجل مجردا، وكذلك مضافا إلى عدة أشياء أخرى منها: مدخل صدق، ومقعد صدق، ولسان صدق، ووعد الصدق، وقدم صدق، ومبوأ صدق.[6]

---

[1] سورة التوبة، الآية: 119.

[2] سورة الأنعام، الآية: 146.

[3] سورة النساء، الآية: 87.

[4] سورة النساء، الآية: 122.

[5] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص.ص 647.645.

[6] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 2، ص 1030.

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «الصدق: معناه مطابقة الخبر الواقع، هذا في الأصل. ويكون في الإخبار فإذا أخبرت بشيء وكان خبرك مطابقا للواقع قيل إنه صدق...وكما يكون الصدق في الأقوال فهو في الأفعال وهو أن يكون الإنسان باطنه موافقا لظاهره بحيث إذا عمل عملا يكون موافقا لما في قلبه...وهو من سمات المؤمنين».[1]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **اللّي قَالْ الصَّحْ يَرْبَحْ**. (اللّي: الذي، الصَّحْ: الصّدق).

فالصدق أعز من السلاح، فإنه يقي من شر العواقب، بل هو الجالب للخير، وإن ظن المرء بأن الكذب ينجيه فقد خاب ظنه، فلا نجاة إلا بالصدق، ومن تحرى الصدق فقد نال خيري الدنيا والآخرة.

وفي المثل الفصيح: دَعِ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُكَ فإِنَّهُ يَضُرُّكَ، وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَضُرُّكَ فإِنّه يَنْفَعُكَ.

يضرب في الحث على لزوم الصدق حتى يصير عادة.[2]

وقال محمود الوراق:

الصدق منجاة لأربابـــــــــــــه وقربة تدني من الـــــــــــــرَّبِّ[3]

وقال المهلب بن أبي صفرة: ما السيف الصارم في يد الرجل الشجاع بأعز له من الصدق.

عن ابن مسعود رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» متفق عليه.[4]

---

[1] انظر، محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 126.

[2] الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري)، مجمع الأمثال، ج1، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص 271.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 14.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 55، ص 41 وما بعدها.

يقول الحريملي النجدي: «البر: اسم جامع للخير كله. والفجور: الأعمال السيئة. قال القرطبي: حق على كل من فهم عن الله أن يلازم الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال. فمن كان كذلك لحق بالأبرار، ووصل إلى رضاء الغفار. وقد أرشد تعالى إلى ذلك كله بقوله عند ذكر أحوال الثلاثة التائبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾[1]».[2]

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» رواه الترمذي وقال : حديث صحيح.[3] وصححه الألباني.[4]

يقول الحريملي النجدي: «قوله: (يَريبُكَ) هُوَ بفتح الياء وضمها: ومعناه اتركْ مَا تَشُكُّ في حِلِّهِ وَاعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

معنى هذا الحديث: يرجع إلى الوقوف عند الشبهات، ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه.

وفيه إشارة إلى الرجوع إلى القلوب الطاهرة والنفوس الصافية عند الاشتباه، فإن نفس المؤمن جبلت على الطمأنينة إلى الصدق، والنفر من الكذب».[5]

وعن عمارة بن أبي حفصة، سمع أبا مجلز يقول: قال رجل لقومه: «عليكم بالصدق فإنه نجاة».[6]

---

[1] سورة التوبة، الآية: 119.

[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 54.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 56، ص 41.

[4] عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ومعه شرح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ/2010م، ص 260.

[5] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 55.

[6] ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص 115.

قال العلامة عبد الرحمان السعدي: «والصدق يهدي إلى كل بر وخير، كما أن الكذب يهدي إلى كل شر وفجور، والصادق حبيب إلى الله، حبيب إلى عباد الله، معتبر في شرف دينه ودنياه، بل عنوان الشرف والاعتبار وعلو المترلة...ومن عرف تحريه للصدق ارتفع مقامه عند الخلق، كما كان مرتفعا عند الخالق، واطمأن الناس لأقواله وأفعاله، وصار له مرتبة عالية في الشرق، وحسن الاعتبار والثناء الجميل، وأمن الناس من بوائقه ومكره وغدره».[1]

إن الصدق مطلب كل تقي، وشعار كل نقي، وتحريه واجب، كما قال محمد الغزالي: «إن الله خلق السموات والأرض بالحق، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقا، ولا يعملوا إلا حقا. وخيرة البشر وشقوتهم، ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح.... ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه».[2]

فالظفر والفوز ونيل الأجر والثواب من نصيب من صدق في أقواله وأفعاله، وكفى شرفا للذي تجمل بهذا الخلق الكريم، وتزين بهذه الصفة الممدوحة قول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)﴾[3]، فكان الصديق في المرتبة الثانية بعد الأنبياء.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نضرة الوجه في الصدق.[4]

وقد تمثل الجزائريون بقولهم: **الصَّحْ مْلِيحْ، وْ مُولَاهْ عَمْرُو مَا يْطِيحْ**. (عَمْرُو: أبدا، يْطِيحْ: يسقط).

---

[1] عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ص 255.

[2] انظر، محمد الغزالي، خلق المسلم، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 35.

[3] سورة النساء، الآية: 69.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 2، ص 1038.

فمن ابتغى الأمان والسلامة فعليه بالصدق، إنه المخرج من كل ضيق، والمأمن من كل مفزع، والجالب للخير، والدافع لكل شر، فهو المسلك الموصل لمرضاة الله تعالى، والموجب لمحبته سبحانه وتعالى.

قال زهير:

وفي الحلم إدهان وفي العفو دربـــــة وفي الصّدق منجاة من الشرّ فاصـــدق[1]

وإقامة الصدق في القول والفعل لا تتحقق إلا بإقامته في النية والقصد، يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «مظهرُ الصدقِ في النية والقصدِ من شأنه إقامةُ الصدقِ في القولِ وفي الفعلِ على وجههِ، كما أنَّ الصدقَ في القول سُلَّمٌ إلى الصدقِ في الفعل، والصدقُ في الفعلِ سلَّمٌ إلى الصدقِ في النيةِ والمقصد، إلا أنَّ النيةَ والمقصدَ ينعطفُ صدقُهما على الأقوالِ كلِّها وعلى الأفعالِ كلِّها فتُقيمهما على وجهِهما الأمثل، فالقول والفعل يستقيمان على الوجه الأمثل في الصدق إذا استقامت النية مع الله تبارك وتعالى، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سُئلَ عن الرجل يقاتل شجاعةً والرجل يقاتل حميةً والرجل يقاتل كي يُرى مكانه..أيهم في سبيل الله؟ فأجاب أنَّ صاحبَ صدقِ النية هو في سبيل الله بقوله: "مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيلِ الله"، فحينئذٍ ينبغي لكلِّ مؤمنٍ ويتأكدُ عليه أن يتطلَّبَ معانيَ الصدق وتحقيقَها في أقوالِه وفي أفعالِه وفي أحواله؛ وما شأن الذي يمر به العمرُ لا يبالي بِخَلسةِ الكَذبةِ منه في القول ثم في الفعل إلا شأن الغافل عن ربه، إلا شأن الذي لا يبالي بصلاحِ قلبه، إلا شأن الذي لا يستعدُّ لآخرته، فينبغي أن يرفعَ المؤمنُ نفسَه عن هذا المستوى...ألا أيها المؤمن تنبه..ألا أيها المؤمن

[1] ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي أبو المعالي بهاء الدين البغدادي)، التذكرة الحمدونية، ج2، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ، ص 219.

تفطَّن..ألا أيها المؤمن توجَّه في إقامة الصدقِ على وجهِه في أقوالك وفي أفعالك وفي مقاصدك ونياتك..حتى تدخلَ دوائرَ الصادقين الذين يرفعُ مراتبَهم ربُّ العالمين جل جلاله».[1]

والصدق يتحمل في ستة معان، كما بينها أبو حامد الغزالي:

أ- صدق اللسان: وذلك لا يكون إلا في الأخبار، أو فيما يتضمن الأخبار وينبه عليه، والخبر إما ما يتعلق بالماضي أو المستقبل.

ب- صدق النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو ألا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى.

جـــ- صدق القيم: العزم يسبق العمل، ومثاله أن يقول الإنسان في نفسه: إن رزقني الله بمال تصدقت بشطره.

د- صدق في الوفاء بالعزم: إذا حصل الإنسان على تاق إليه لزمه الوفاء.

هـــ- صدق العمل: هو اجتهاد الإنسان على أن يوافق ظاهره باطنه.

و- صدق في تحقيق مقامات الدين كلها: كالصدق في الحزن، الرجاء، التعظيم، والزهد، والرضا، والتوكل، والحب.

قال أبو سليمان: اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية طلبتك.[2]

فالصدق فضيلة الفضائل وأمنها، والأصل الذي تتفرغ عنه جميع الأخلاق الشريفة، والصفات الكريمة الحميدة التي يتحلى بها الإنسان، قال الراغب الأصبهاني: والصدق أحد أركان بقاء العالم حتى ولو توهم مرتفعا لما صح نظامه وبقاءه، وهو أصل المحمودات وركن النبوات، ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع.[3]

---

[1] انظر، عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق (مجموعة حلقات تلفزيونية سجلها الحبيب العلامة عمر بن محمد بن حفيظ للقناة الفضائية اليمنية في شهر شعبان 1422هـــ)، أعدها وخرج أحاديثها: مجموعة من طلاب دار المصطفى، دار الفقيه للنشر والتوزيع، حضرموت-اليمن، ط1، 1424ه/2003م، ص 49 وما بعدها.

[2] محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 387.

[3] كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، ص 66.

وقال حكيم: الصدق أزين حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة.[1]

وقيل: لكل شيء حلية، وحلية النطق الصدق.[2]

وللصدق دواع موجبة له، كما بينها الماوردي:[3]

أ- العقل: لأنه موجب لقيح الكذب، فالعقل داع إلى كل مستحسن.

ب- الدين: لأن الشرع يأمر بالصدق ولو جلب ضرا - وقلما يفعل -، وينهى عن الكذب ولو جلب نفعا - وقلما يفعل -.

جـ- المروءة: فإنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.

د- حب الاشتهار بالصدق: حتى لا يرد عليه قول، ولا يلحقه ندم.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الصراحة راحة**. فالصدق بحق راحة لصاحبه ولمن سمعه، فقائله جبلت نفسه على المكارم وحسن الخلال وأجمل الأخلاق، ومن تكلم معه بالصدق يرتاح سواء إن سمع ما يرضيه أو ما يسخطه.

ولا بد أن يكون الإنسان شجاعا حتى يكون صادقا، ولا يول أي اهتمام وهو على منبر الصراحة، فلا يعلو عليه أحد ولا يخش في الله لومه لائم، قال عمر رضي الله عنه: عليك بالصدق وإن قتلك.[4]

كذلك قالوا في المثل الشعبي الجزائري: **قُلْ الْقَمْحْ خِيرْ مْنَ الشْعِيرْ وْمَا يْحَاسْبَكْشْ اللهْ**.

(مَا يْحَاسْبَكْشْ: لا يحاسبك).

والعرب قد تمثلت بقولها: الحق خير ما قيل.[5]

---

[1] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 61.

[2] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 14.

[3] انظر، الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 225 وما بعدها.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 49.

[5] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 230.

ومن أمثالهم أيضا: قَوْلهم سبني واصدق. يُقَال ذَلِك فِي الحض على الصدْق وَالنَّهْي عَن الْكَذِب.[1] وأصلُ السبِّ إصابة السُّبَّة، يعني الإست.[2]

يقول إني لا أبالي إن تسبني بما أعرفه من نفسي بعد أن تجانب الكذب.[3]

فالصادق لا يبالي بأحد طالما أقر بالحق، وعرفه إذ علمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه».[4]

يقول العلامة الألباني رحمة الله تعالى عليه معلقا على الحديث المتقدم: «وفي الحديث النهي المؤكد عن كتمان الحق خوفا من الناس، أو طمعا من المعاش، فكل من كتمه مخافة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء كالضرب والشتم وقطع الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه، ونحو ذلك، فهو داخل في النهي ومخالف النبي صلى الله عليه وسلم».[5]

ومن كلام لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك.[6]

والجزائريون يتمثلون بقولهم: **الْحَقّْ حَقّْ، وَالْكْذَبْ تَسْفِيهْ.**

فالصدق هو تبيان الحق، والحق معلوم واضح وضوح النهار، لا ينكره إلا من فقد بصيرته، والعرب تتمثل بقولها: الصَّدْقُ عِزٌّ وَالْكَذِبُ خُضُوعٌ. قاله بعض الحكماء، يضرب في مَدْحِ الصدق وذمّ الكذب.[7]

---

[1] أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران)، جمهرة الأمثال، ج1، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 509.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 342.

[3] ابن سلاّم (أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي)، الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400ه/1980م، ص 46.

[4] محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1421ه/2001م، ص 40.

[5] المرجع نفسه، ص 40.

[6] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 49.

[7] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 408.

ومن أمثالهم أيضا: الحقّ أَبْلَج وَالْبَاطِل لجلج. يُرَاد بِهِ أَن الْحق منكشف وَالْبَاطِل ملتبس.

يُقَال انبلج الصُّبْح إِذا انْكَشَفَ وَمِنْه سمي الكشفة بَين الحاجبين بلجة.

واللجلج من قَوْلهم: تلجلج فِي القَوْل إِذا تتعتع فِيهِ وَلم يسْتَوْف الْعبارَة، عَن مَعْنَاهُ قَالَ الشَّاعِر:

ألم تَرَ أَن الْحق تَلقاهُ أبلجا وَأَنَّك تلقى بَاطِل القَوْل لجلجا

وَيُقَال: لجلج اللُّقْمَة فِي فِيهِ إِذا أدارها وَلم يسغها، قَالَ الشَّاعِر:

يلجلج مُضْغَة فِيهَا أنيض أصلت فَهِيَ تَحت الكشح دَاء

وَقَالَ بَعضهم الْحق أَبْلَج وَطَرِيق الصدْق مَنْهَج ومسلك الْبَاطِل أعوج وَقَالَ الشَّاعِر:

فَإِن الْحق لَيْسَ بِهِ خَفَاء وَلَا تخفى الْخِيَانَة والخلاب[1]

وكان يقال: الصدق قوة، والكذب عجز.[2]

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني حبيب قال، حدثني بعض المشايخ قال: سمعت رجلاً يقول: لو صور الصدق لكان أسداً، ولو صور الكذب لكان ثعلباً، وما صاحبهما منهما ببعيد.[3]

كتب أحمد ابن إسماعيل إلى ابن المعز رقعة في فصل منها يصف الحق بقوله: «ولم أر كالحق أصدق قائلا، ولا أفضل عالما، ولا أجمل ظاهر، ولا أعز ناصرا، ولا أوثق عروة، ولا أحكم عقدة، ولا أغلى حجة، ولا أوضح محجة، ولا أعدل في النصفة، ولا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري على أحد إلا جرى له، يستوي الملك والسرقة في راحته، ويعتدل البغيض والحبيب في محضه، طالب حاكم على خصمه، وصاحبه أمير على أميره، من دعا إليه ظهر إليه برهانه، ومن جاهد

[1] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 364.

[2] الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب)، الموشى-الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1371ه/1953م، ص 41.

[3] أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس)، البصائر والذخائر، ج9، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط1، 1408ه/1988م، ص 77.

عليه كثر أعوانه، يمكن من آلة القهر، ويجعل في أيديهم آلة النصر، ويحكم لهم بغلبة الحاجلة، وسعادة الآجلة».[1]

ولله در محمد بن إسحاق الواصلي إذ أنشد:

وإذا الأمور تزاوجـــــــــــــت فالصدق أكرمها نتاجـــــــــــــا

الصدق يعقد فـــــــــــــوق رأس حليفه بالصدق تاجـــــــــــــا

والصدق يقدح زنـــــــــــــده في كل ناحيـــة سراجـــــــــــــا[2]

فالصدق منجاة وطمأنينة، والصادقون ينجيهم الله بصدقهم، ويرفعهم درجات، ذلك لنهجهم النهج القويم والصراط المستقيم، والصدق يجمع لصاحبه أجر الدارين ويجعله خير الفريقين، ويرضي عنه رب العالمين.

يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «فيا أيها المؤمن ابذل همَّك ونظرَك إلى صدقِ القول، وربِّ نفسَك عليه وربِّ أولادَك على ذلك في سلوكِك وانتهاجِك منهج الصدق حتى تغرسَ في نفوسهم أنَّ من أفظعِ الفظائع في حياتهم أن يقولوا كلمةً كذبًا، وعلِّمهم أنهم إن رأوا النجاةَ في الكذب فإنَّ فيه الهلاك، ولا يكذب أحدٌ ليُنجي نفسَه إلا وَقعَ في ورطةٍ أكبر منها قريباً ولا يطولُ به ذلك غالبا..فلأجل ذلك وجبَ على المؤمنِ أن يهتمَّ بأن يصدقَ في الحديث، فإنَّ فيه النجاةَ وإن رأى وتخيَّل أنَّ فيه هلكةً فإن الله يُنجي الصادقين سبحانه وتعالى، ولو حصل عليه تعبٌ أو ملامةٌ في حالٍ عوَّضه الله تبارك وتعالى بإصلاحِ أحوالٍ كثيرةٍ وأمورٍ خطيرة».[3]

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص71.

[2] ابن حبان البستي (أبو حاتم محمد)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، قرأه وعلق عليه الشيخ أبو سعيد بلعيد بن أحمد الجزائري، دار الإمام مالك للكتاب، البليدة، ط1، 1430هـ/2009م، ص 41.

[3] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 41 وما بعدها.

حدثنا أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ الْحَنَّاطُ، قَالَ: سَمِعْتُ سَرِّيًّا السَّقَطِيَّ، يَقُولُ: أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَعَفَافُ الطُّعْمَةِ، وَحُسْنُ الْخَلِيقَةِ.[1]

فالصدق شرف وعلو وكرامة، لا يتحلى به إنسان ويتحراه إلا رفعت مترلته، وعظمت همته، وشرفت نفسه، وسمت روحه، وهدي إلى النجاة، وبلغ بر الأمان.

فقد قيل: الصدق دليل التقوى، وجمال النجوى، وكمال الدين والدنيا.[2]

وكذلك قولهم: الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به.[3]

وقال أرسطاطاليس: أحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه.[4]

ويقال: الصدق يدل على اعتدال وزن العقل.[5]

ومن فوائد الصدق:

1. الصدق طريق الأبرار إلى الجنة.
2. الصادقون هم أحباب الله المقربون.
3. مدح الله أنبياءه وخلاّصه بأنهم مصدّقون وصادقون ويوم القيامة ينفعهم صدقهم.
4. الصادقون يحبهم الناس ويثقون بهم ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.
5. الصادق يعتز بنفسه ويرفع نفسه بين أفراد مجتمعه.

---

[1] البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي)، شعب الإيمان، ، ج6، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ/2003م، ص 517.

[2] الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط2، 1401هـ/1981م، ص 412.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 14.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص 14.

[5] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج9، ص 97.

6. الصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.

7. الصدق دليل القوة وسمة الثقة بالنفس.

8. الصدق منجاة والكذب مهواة.

9. الصدق في الحديث يجعله مؤثرا في القلوب.

10. الصادق محشور مع النبيّين والشهداء والصالحين.[1]

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج6، ص 2516.

3. التواضع:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الْمَتْوَاضَعْ يَرْفْعَهْ الْعَالِي، وْ شَانَهْ غَالِي**. (شَانَهْ: شأنه).

التواضع خلق حميد يقتضي الحب والتماسك المجتمعي، كما أنه يستوجب عدم المبالغة في تعظيم النفس، إنه دليل العز والرفعة، وأصل الريادة والسيادة، فمن تواضع لله رفعه، ومن تعاظم على خلق الله وضعه، يقول الحزيمى: «والتواضع من الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وأن يلزم نفسه به، فهو مما أوصى الله به رسوله عليه الصلاة والسلام، ودعا عباده المؤمنين إلى التخلق به، والتواضع دليل على رسوخ الإيمان بالله في قلوب المؤمنين، وسبب من أسباب تقوية أواصر الأخوة والمودة فيما بينهم، فالمؤمن الحق يعلم أن الدنيا وما فيها إلى زوال، وأن الله هو من قسم الأرزاق، ووضع الناس في درجات، وترك التواضع يؤدي إلى اقتراف جريمة عظيمة، وهي الاعتراض على أقدار الله، والكبر والتعالي على خلقه، والزهو بالنفس والعمل».[1]

ويقول المحاسبي: «وأصل الأشياء كلها وتمامها وملاكها بإذن الله تعالى: التواضع، فأنت إذا تواضعت وصلت إلى هذه الأشياء كلها، وقويت عليها، وعلى أكثر منها، فعند ذلك ينشرح صدرك بإذن الله تعالى، ويمتلئ قلبك نورا، ويعلمك الله ما لم تكن تعلم»[2].

قال فتحي السيد معلقا على قول المحاسبي: «يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم فضلا من فضائل التواضع في الدنيا والآخرة، فيقول: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه" رواه مسلم.

وفيه وجهان: أحدهما يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويحل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا، ولا مانع من الاثنين معا، وفضل الله أعظم من كل فضل.

ونبينا صلى الله عليه وسلم هو إمام المتواضعين، يقول الحسن البصري رحمه الله: والله ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان – القصعة الكبيرة –

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد1، ص 410.

[2] الحارث المحاسبي (أبو عبد الله الحارث بن أسد)، شرح المعرفة وبذل النصيحة، حققه وعلق عليه أبو مريم مجدي السيد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1413هـ/1993م، ص 36.

ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزا، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف عبده، ويعلف دابته بيده صلى الله عليه وسلم».[1]

وعن أنس رضي الله عنه أنه مر بصبيان فسلم عليهم، وقال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله» متفق عليه.[2]

ولنا في السلف الصالح رحمهم الله الأسوة الحسنة، كيف لا وهم تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وإمام المتواضعين، قال عنهم العلامة ابن عثيمين: «وكان من عادة السلف رحمهم الله، أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد، وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عز وجل ولإخوانه من المسلمين».[3]

وقد فصل القول على التواضع القاضي حسين إذ قال: «التواضع: من الخلال الحميدة، والصفات الحسنة، فالتواضع شعار الإيمان، ونور الإسلام، ومنبع الرضى، ودلائل قبول الله جل وعلا، والمتواضع يمده الله بعنايته، ويحيطه برعايته، ويستره ويظله برضوانه، والمتواضع حبيب الله تعالى وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قريب من الله ورسوله، فهو بتواضعه ينال صفات الأخيار ويحظى بدرجات عظيمة من الله الواحد القهار، والمتواضع ينجو من ظلم الناس فيفوز بالسعادة والسيادة والعز، وفي محكم التنزيل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)﴾[4] ، فخلق المؤمنين التواضع، والابتعاد عن الكبرياء والترفع عن الخيلاء، والإحسان إلى الفقراء، وإكرام الأتقياء، لذلك يبارك الله في أموالهم، فترتفع المضرة عنهم بلطف الله الخفي،

[1] المرجع السابق، هامش ص 36.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 609، ص 193.

[3] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 881.

[4] سورة المنافقون، الآية: 8.

والمتواضع يسود ويعظم في القلوب ويكرم، ويرفعه الله في الدنيا، ويبلغه في الآخرة الدرجات العلا، فيثبّت له بتواضعه في القلوب منزلة محبوبة، ومكانة مكينة مرموقة في الدنيا والآخرة، فالاختيال على الناس حماقة، والتواضع عز وريادة، وقد أوحى الله إلى نبيه من الحكمة ما فيه الخير والنعمة والريادة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[1]، أي لا تكن في مشيك ذا مرح وهو الاختيال، فلن تجعل في الأرض خرقاً بشدة وطأتك (طُولاً) أي بتطاولك، وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي، بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى».[2]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزين بغيره».[3]

لم يذكر لفظ التواضع في القرآن الكريم بشكل صريح مطلقا، ولكن معناه جاء بألفاظ أخرى، كخفض الجناح، والتذلل، كما أن جميع الآيات التي تأمر بترك التعالي على الناس، أو تنهى عن الكبر و الفخر والغرور، كلها تتضمن معنى الدعوة إلى التواضع.[4]

والتواضع وصية الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾[5]، وقال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾[6].

---

[1] سورة الإسراء، الآيات: 37-39.

[2] انظر، حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 411 وما بعدها.

[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 46.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 405.

[5] سورة الحجر، الآية: 88.

[6] سورة الشعراء، الآية: 215.

كما أن التواضع للمؤمنين من لوازم الحب في الله والبغض في الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)﴾[1].

وقد وصف الله المؤمنين بلين الجانب، والتواضع في سيرهم وتعاملهم مع غيرهم، وذلك مدح الله تعالى لهم إذ لا يبغون العلو في الأرض، بل يمشون هونا بتواضع، لا يترفعون على غيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)﴾[2].

والتواضع من أسباب الفلاح والنجاح، فقد أعد الله تعالى للمتواضعين جنات تجري من تحتها الأنهار، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾[3].

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد» رواه مسلم.[4]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم.[5]

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «التواضع: ضد التعالي وهو ألا يرتفع الإنسان على غيره بعلم ولا نسب ولا مال ولاجاه ولا إمارة ولا وزارة ولا غير ذلك، بل الواجب على المرء أن يخفض جناحه للمؤمنين، أن يتواضع لهم كما كان أشرف الخلق وأعلاهم مترلة عند الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع للمؤمنين، حتى إن الصبية لتمسك بيده لتأخذه إلى أي

[1] سورة المائدة، الآية: 54.

[2] سورة الفرقان، الآية: 63.

[3] سورة القصص، الآية: 83.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 607، ص 192.

[5] المرجع نفسه، الحديث رقم 608، ص 192.

مكان تريد فيقضي حاجتها عليه الصلاة والسلام. وقول الله تعالى:﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ)، أي: تواضع، وذلك أن المتعالي والمترفع يرى نفسه أنه كالطير يسبح في جو السماء، فأمر أن يخفض جناحه ويتزله للمؤمنين الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم. وعلم من هذا أن الكافر لا يخفض له الجناح وهو كذلك، بل الكافر ترفّع عليه واعل عليه، واجعل نفسك في موضع أعلى منه، لأنك مستمسك بكلمة الله، وكلمة الله هي العليا، ولهذا قال الله عز وجل في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3] يعني: أنهم على الكفار أقوياء ذوو غلظة، أما فيما بينهم فهم رحماء».[4]

يقول الحريملي النجدي: «التواضع: الانكسار والتذلُّل، وضده: التكبر والرَّفع، ومَنْ تواضع لله رفع الله قدره، وطيَّب ذِكْرَه، ورفع درجته في الآخرة».[5]

وقد عرف الراغب الأصفهاني في كتابه (الذريعة) التواضع بقوله: «التواضع مشتق من الضعة، وهو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته. ولا تكاد تظهر فضيلة التواضع في عامة الناس، لانحطاط درجتهم، وإنما نجدها في الملوك والعلماء، والتواضع باب من أبواب التفضل، لأنه ترك بعض حقه، وهو أيضا توسط بين الكبر والخيلاء من جهة، والضعة والهوان من جهة أخرى».[6]

---

[1] سورة الحجر، الآية: 88.

[2] سورة الشعراء، الآية: 215.

[3] سورة الفتح، الآية: 29.

[4] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 877.

[5] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 399.

[6] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 405.

فالمتواضع لله ولعباده يرفعه الله درجات، فإن الله ذكر الرفعة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾[1].

فمن أجلّ ثمرات العلم والإيمان: التواضع، فإنه الانقياد الكامل للحق، والخضوع لأمر الله ورسوله، امتثالا للأمر، واجتنابا للنهي، مع التواضع لعباد الله، وخفض الجناح لهم، ومراعاة الصغير والكبير، والشريف والوضيع.[2]

والتواضع لله عز وجل على ضربين: أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله، ولا راء له عنده حالة يرجي بها أسباب الولاية، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذي يتفضل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العجب عن الطاعات، والتواضع الآخر: هو ازدراء واستحقاره إياها عند ذكر ما فارق من المأثم حتى لا يرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات.[3]

وقد قيل في المثل الشعبي الجزائري: **الْمُومَنْ خَاضَعْ مَتْوَاضَعْ**، أي: أنه خاضع لأوامر ربه ومنتهٍ عن نواهيه، ومتواضع لله في إتيانه الطاعات، وانتهائه عن المنهيات، وكذا تواضعه لعباد الله، باعتبار أنه لا فضل له عليهم إلا فيما قدم من خير، وذاك منه يقين بأن أكرم العباد على الله وخيرهم التقي النقي الوفي الصفي، الذي لا يرى لنفسه على غيره سلطانا، ويعلم أن الناس سواسية، ولا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى، فلا الشكل واللون والجنس يحدد قدر الإنسان، وإنما هي الأعمال التي يأتيها، فمن أتى صالحا كان في عليين، ومن اقترف طالحا كان أسفل سافلين، وهذا هو المقاس الذي يترل الناس منازلهم، ويحدد تفاوتهم.

---

[1] سورة المجادلة، الآية: 11.

[2] عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ص 270.

[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 47.

أنشد الكريزي:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعـــا فكم تحتها قوم منـــــــك أرفـــــــع

فإن كنت في عز وخير ومنعـــــــة فكم مات من قوم هم منك أمنـــــــع[1]

وقال أبو تمام:

متبدل في القوم وهو مبجـــــــــل متواضع في الحي وهو معظـــــــــم[2]

ولله درّ أبو العتاهية إذ قال:

يا من تشرّف بالدّنيا وزينتهـــــــــا ليس التّشرّف رفع الطّين بالطيـــــــن

إذا أردت شريف النّاس كلّهـــــــم فانظر إلى ملك في زيّ مسكيـــــــن

ذاك الّذي عظمت والله نعمتـــــــه وذاك يصلح للدّنيا وللدّيـــــــــــن[3]

والتواضع عبادة يتقرب بها العبد من ربه، وهو دليل على نباهة صاحبه، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: يَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ: التَّوَاضُع. وَفِي رِوَايَةِ حَفْصٍ: " إِنَّكُمْ لَتَدَعُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ: التَّوَاضُعَ.[4]

وقد قَالَ الْأَوْزَاعِيّ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ، يَقُولُ: أَفْضَلُ الْعَمَلِ الْوَرَعُ، وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُعُ.[5]

وقال المبرد: «النعمة التي يحسد صاحبها عليها التواضع».[6]

والمتواضع هو من قبل الحق وانصاع إليه، وعمل به، وتقبله ولو ممن هو أدنى منه سنا أو منزلة في الدنيا، عندها يتحقق له الخير، وتفتح له أبواب السعادة، ويحظى بالقبول عند الله تعالى.

---

[1] المرجع السابق، ص 48 وما بعدها.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 320.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1 ،ص 36.

[4] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 460.

[5] المرجع نفسه، ج10، ص 461.

[6] محمد الغزي (محمد بن محمد العامري الدمشقي أبو البركات بدر الدين ابن رضي الدين)، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، عني بتحقيقه: د. عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1388هـ/1968م، ص 31.

قال الْجُنَيْد بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيَّ: سَمِعْتُ ذَا النُّونِ الْمِصْرِيَّ، يَقُولُ: مِنْ كَمَالِ سَعَادَةِ الْمَرْءِ سَبْعُ خِصَالٍ: صَفَاءُ التَّوْحِيدِ، وَغَرِيزَةُ الْعَقْلِ، وَكَمَالُ الْخَلْقِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَخِفَّةُ الرُّوحِ، وَطِيبُ الْمَوْلِدِ، وَتَحْقِيقُ التَّوَاضُعِ.[1]

وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو: أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.[2]

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: سُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنِ التَّوَاضُعِ، فَقَالَ: يَخْضَعُ لِلْحَقِّ وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْهُ.[3]

وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في تعمق الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو قوتك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.[4]

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن من التواضع، الرضا بالدون من شرف المجلس، وأن تسلم على من لقيت.[5]

و قال الحسن البصري: التواضع أن تخرج من مترلك، ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا.[6]

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علّمني التواضع. فقال: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير مني؛ وإن رأيت أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ، فأنا شرّ منه.[7]

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 500.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 141.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 510.

[4] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 141 وما بعدها.

[5] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 408.

[6] المرجع نفسه، المجلد 1، ص 408.

[7] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1 ،ص 202.

ولله درّ القائل:

إن التواضع من خصال المتّقي وبه التّقي إلى المعالي يرتقي
ومن العجائب عجب من هو جاهل في حاله أهو السعيد أم الشّقي؟[1]

فالتواضع خلق كريم، يزيد صاحبه علوا، ويلبسه وقارا، ويرتفع به إلى آفاق العز والهمة، إنه مجلبة للألفة، مدفعة للفرقة، صاحبه في راحة، وقد رحم الله عبدا عرف قدر نفسه وقدر غيره، يقول المثل الشعبي الجزائري: **عَاشْ مَنْ عْرَفْ قَدْرَهْ**. بمعنى أن الإنسان لو عرف قدره وقف عنده، فمهما بلغ من المراتب، وأوتي من الفضائل، وضع نفسه في مرتبة لا يرى فيها أن له فضلا على الغير، فمن علم حقيقته، وضع نفسه في الموضع الأليق بها، فتجده خافضا لجناحه، متواضعا غير متعال على غيره.

حدثنا أَبُو صَالِحٍ الْفَرَّاءُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ تَقْمَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا حَتَّى تُعْلِمَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِدُنْيَاكَ، وَأَنْ تَرْفَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى تُعْلِمَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ فَضْلٌ عَلَيْكَ.[2]

من طبع النفس الإنسانية أن تتطلع إلى أعلى المراتب، وأرقى الدرجات، ولكن الكيس الفطن هو الذي يكبح جماحها عن التكبر، ويكسبها التواضع بالتمرين الروحي، ويغذيها من منهل الحق، حتى تتبين الأمور وحقيقتها التي تزكيها.

وقد قيل: من لم يتضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره.[3]

وقيل: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره.[4]

---

[1] عبد الملك القاسم، من تواضع لله رفعه، دار القاسم، د.ط، د.ت، ص 23.
[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 502.
[3] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 410.
[4] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 319.

ومن ترفع عن غيره وضعوه دون قدره، ومقتوه لسوء فعاله، فقد قيل: من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس.[1]

حدثنا أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ ذَا النُّونِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: مَنْ أَرَادَ التَّوَاضُعَ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ لَهُ: افْهَمْ مَا أُلْقِي إِلَيْكَ رَحِمَكَ اللهُ، مَنْ أَرَادَ التَّوَاضُعَ فَلْيُوَجِّهْ نَفْسَهُ إِلَى عَظَمَةِ اللهِ، فَإِنَّهَا تَذُوبُ وَتَصْغُرُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى سُلْطَانِ اللهِ ذَهَبَ سُلْطَانُ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ كُلَّهَا حَقِيرَةٌ عِنْدَ هَيْبَتِهِ، وَمِنْ أَشْرَفِ التَّوَاضُعِ أَنْ لَا يَنْظُرَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ دُونَ اللهِ، وَمَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ"، يَقُولُ: مَنْ تَذَلَّلَ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ إِلَى اللهِ رَفَعَهُ اللهُ، يَعْنِي بِالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ.[2]

وقال جعفر بن محمد: رأس الخير التواضع فقيل له: وما التواضع؟ قال: أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تسلّم على من لقيت، وأن تترك المراء وإن كنت محقّا. وقد روي عن عليّ عليه السلام و لم يذكر المراء فيه وزاد فيه: وتكره الرياء والسمعة.[3]

قيل لبعضهم: ما التواضع؟ قال: أخلاق المجد، واكتساب الود.[4]

قال بعض الأوائل: اعتد الزهد واقتنه فإن فيه راحة للبدن من النصب، وإعتاق للنفس من العبودية، وقطعاً للحسرة، وإذهاباً للندامة، وتخفيفاً للسأم؛ أما التواضع فليكن من الشيم المحبوبة عندك، فإنه يقربك إلى ربك، ويذهب عنك حسد الناس، ويوجب محبتهم وعطفهم. ولتكن سيرتك فيمن دونك من الناس الرأفة بهم، والرحمة لهم، والسد لما قويت عليه من فائتهم، وحب السعة في معايشهم، والسلامة لهم في أبدانهم، فإنك إذا فعلت ذلك عمهم جودك وخيرك.[5]

---

[1] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 222.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 502.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 99.

[4] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 319.

[5] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج3، ص 97.

ومن أحسن ما سمعت في التواضع قول بعضهم:

لعمرك ما الأشراف في كل بلـــــــدةٍ وإن عظموا للفضل إلا صنائـــــــع

أرى عظماء الناس للفضل خشعـــــــاً إذا ما بدا والفضل لله خاشـــــــع

تواضع لما زاده الله رفعـــــــــــةً فكل رفيعٍ عنده متواضـــــــــع[1]

إن التواضع شرف لصاحبه، بل مدعاة الشرف، وسبب تحقيقه، وذلك ما تمثّلته العرب بقولها: التَّوَاضُعُ شَبَكَةُ الشَّرَفِ.[2] فمن ابتغى أن يبلغ أسمى درجات العز والمجد، عليه أن يستحضر سلّم التواضع، فهو سبيل الارتقاء، والموصل إلى العلياء، فقد قيل: التواضع سلم الشرف.[3]

ولقد أحسن من قال: تَاجُ المُرُوءَةِ التَّوَاضُعُ.[4]

كما أن الجزائريين يتمثلون بقولهم: **الْمْتَوَاضَعْ يَرْفْعَهْ الْعَالِي، وْشَانَهْ عَالِي**. (شَانَهْ: شأنه). بمعنى أن المتواضع قدره رفيع، وشأنه عال، فما تواضع إنسان إلا لرفعة نفسه، وكمال عقله، وصواب فكره، فتجده محبوبا بين الناس، إذ قدروا قدره لما وقف عند حده، وعرف قدرهم من بعدما تبين له الحق، فعلم أن الناس سواسية، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، فما نظر إلى غيره نظرة احتقار، ولا أنزل أحدا مترلة ذل ولا مهانة، هذا مع حفظ كرامته.

فالتواضع دليل على الرفعة، وعلو الهمة، وسمو الروح، وغنى النفس، ومعرفة الحق، ألم يترل الشعاع إلى الأرض من الشمس وهي المتربعة في الآفاق، أو كالبدر سما في العلياء، وقد ارتسم حسنه على صفحات الماء.

---

[1] الثعالبي، أحسن ما سمعت، ص 86.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 151.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 222.

[4] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 151.

يقول البحتري:

دنوت تواضعا وعلوت مجـــــــدا فشأناك انحدار وارتفـــــــــــاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامـــــــى ويدنو الضوء منها والشعـــــــاع[1]

وقال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر لاح لناظـــــــــر على صفحات الماء وهو رفيـــــع

و لا تك كالدخـــــــان يعلو تجـــبرا على طبقات الجو و هو وضيـــــع[2]

وفي المثل الجزائري: **السُّبُولَه الْعَامْرَه رَاسْهَا في الأرْضْ، وْالسُّبُولَه الخَاوْيَه رَاسْهَا في السَّمَا.** (السُّبُولَه: السنبلة، العامره: الممتلئة، راسها: رأسها، الخاوية: الفارغة، السما: السماء).

ومعنى ذلك أن السنبلة الممتلئة حبا منحنية، وذلك دليل على أنها مملوءة حبا، وفي مقابلها تلك السنبلة التي يعلو رأسها في السماء شامخا، لكن علوها دليل على فراغها، ومثلهما المتواضع الممتلئ علما وإيمانا، والمتكبر لفراغ عقله وقبح جهله.

وقريب من ذلك المثل الشعبي الجزائري: **السُّبُولَه الْعَامْرَه رَاسْهَا مَايَلْ، وَالْخَاوْيَه فَ السَّمَا تَتْمَايَلْ.** (السُّبُولَه: السنبلة، العامره: الممتلئة، مايل: منحني، فَ: في، السَّمَا: السماء).

جاء في كلام بعض الشعراء:

ملء السنابل تنحني بتواضـــــــــــع والفارغات رؤسهن شوامـــــــــــخ[3]

إن انحناء المتواضع دليل على رفعته، وعلو مكانته، أما الذي يبغي على الخلق متكبرا، فذاك السافل بعينه، بعيد عنه الشرف ما بعدت السماء عن الأرض.

أنشد المسيّب بن واضح عن يوسف بن أسباط:

وكفى بملتمس التواضع رفعـــــــــة وكفى بملتمس العلو سفـــــــــالا[4]

---

[1] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 105.

[2] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 409.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 412.

[4] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 49.

قال ابن المعتز: أشد العلماء تواضعا أكثرهم علما، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء.[1]

وقال آخر:

متواضع والنبل يحرس قـــــــــــدره وأخو التواضع بالنباهة ينبـــــــــــل[2]

ولله درّ القائل:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعـــــة فإن رفيع القوم من يتواضـــــــــــع[3]

وقد قيل: ثمرة القنع الراحة، وثمرة التواضع المحبة.[4]

وقَالَ ذا النُّونِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّوَاضُعِ: تَصْغِيرُ النَّفْسِ مَعْرِفَةً بِالْعَيْبِ، وَتَعْظِيمُ النَّاسِ حُرْمَةً لِلتَّوْحِيدِ، وَقَبُولُ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.[5]

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.[6]

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: التَّوَاضُعُ حَسَنٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ، وَالْكِبْرُ سَمِجٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْفَقِيرِ أَسْمَجُ.[7]

ومما تجدر الإشارة إليه في الأخير أن التواضع المحمود ما لم يجعل صاحبه في موضع هوان وضعة بين الخلق، فمن تواضع لله أحرز كل خير، ونال الشرف برفعة الله تعالى له، أما أن يبتذل نفسه من أجل دنيا يصيبها فذلك عين الخبل، وصاحبه إلى السفلة منسوب، ولسوء فعاله مذموم، يقول ابن قيم الجوزية: «والفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 409.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 320.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 409.

[4] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 606.

[5] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 502.

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 119.

[7] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 504.

ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عمله وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

أما المهانة: فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها، كتواضع السُّفّل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة».[1]

قَالَ ذا النُّونِ: ...ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الاسْتِغْنَاءَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ: التَّوَاضُعُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُتَذَلِّلِينَ، وَتَرْكُ تَعْظِيمِ الْأَغْنِيَاءِ، وَتَرْكُ الْمُخَالَطَةِ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا الْمُتَكَبِّرِينَ.[2]

من فوائد التواضع:

1. التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين.
2. وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنته.
3. وهو السبيل إلى القرب من الله ومن ثَمَّ القرب من الناس.
4. التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين.
5. يحب الله المتواضعين ويكلؤهم برعايته ويحيطهم بعنايته.
6. المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.
7. وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.
8. التواضع يؤدي إلى حصول النصر والبركة في المال والعمر.[3]

---

[1] ابن قيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء، تخريج وتوثيق: خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص273.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج2، ص 464.

[3] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج4، ص 1268.

4. القناعة والتعفف:

يتمثّل الجزائريون بقولهم: **الْبَرَكَه فَ الْقْلِيلْ**. (الْبَرَكَه: البَرَكَة، فَ: في).

القناعة من المنح العظيمة، والعطايا الجليلة التي تورث الرضى، فمن حازها حصل على السعادة الأبدية، حينها يجد الإنسان نفسه راضيا بما قسمه الله له، إن أكرمه ونعمه فلسانه بحمد ربه رطب، وإن قدر عليه رزقه فحمدٌ ثانٍ، هذا مع تعفّفه عن سؤال غيره، لعلمه بأن المسؤول هو الله، يؤتي فضله من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، كل ذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

والقناعة، بالفتح: الرضا بالقسم. وقد قنع بالكسر يقنع قناعة، فهو قنع وقنوع. وأقنعه الشيء، أي أرضاه. وقال بعض أهل العلم: إن القنوع قد يكون بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي، وهو من الأضداد.[1]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تبلَّغْ باليسيرِ فكلُّ شـــــــــــــــيءٍ من الدنيا يكون له انتهـــــــــــــــاءُ[2]

وقد أحسن من قال:

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعـــــــا وليس بمغنيك الكثير من الحـــــــــــرص

وإنّ اعتقاد الهمّ للخير جامعـــــــــا وقلّة همّ المرء يدعو إلى النّقـــــــــص[3]

وقال عليّ بن موسى: القناعة تجمع إلى صيانة النفس وعزّ القدرة طرح مؤن الاستكثار والتعبّد لأهل الدنيا. ولا يسلك طريق القناعة إلّا رجلان: إمّا متقلّل يريد أجر الآخرة، أو كريم يتنزّه عن لئام الدنيا.[4]

---

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 301.

[2] الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، ص 16.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 158.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 119.

قال الكندي:

العبد حر ما قنـــــــــــــــــع والحرّ عبد ما طمـــــــــــــــــع[1]

يقول حسين بن محمد المهدي: «القناعة خلة كريمة، وصفة جميلة، يترتب عليها الرضا والراحة والطمأنينة، فهي شعور غامر بالرضا يحدث نتيجة لإيمان الإنسان بقدر الله، وقد تحصل القناعة عند حصول المرء على ما يستحقه من مكانة أو مال أو وضع اجتماعي يتوازى مع جهده المبذول فإن طمح إلى ما يستحيل الوصول إليه وليس له القدرة في الحصول عليه كان طموحه خياليا، وكذلك إذا طمع فيما في أيدي الناس فحاول الوصول إليه بغير وجه مشروع، فإن من كان حاله ذلك صاحبته مشاعر سلبية ضد الآخرين، وذلك قد يولد له إحباطا...فالعاقل اللبيب يكون غنيا راضيا عاملا طموحا لما فيه الخير دون اعتداء على حقوق الآخرين، فالقناعة شعور إيجابي، وليس هو الرضا بالأدنى، وإن كان النظر إلى من هو أدنى يحدث الرضا في النفس، وفي الحديث: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ"، فكن راضيا بما كتب الله، مبتهجا بما متعك الله من نعمة السمع والبصر والصحة والمال والولد والأهل والإخوان، وإحدى هذه النعم تكفي للبيب ليكون راضيا مطمئناً، فإنما القناعة الرضا بما كتب والسعي إلى اكتساب الخيرات والمسارعة إلى أعمال الصالحات، فانعدام القناعة قد يجعل الإنسان قلقا كثير التذمر والاضطراب لا يبالي باقتراف سلوك غير أخلاقي، لهذا فإن القناعة تعين على الهدوء والتفكير السليم ومضاعفة الجهد».[2]

القناعة ضد الطمع، وتقول العرب عن القنوع، قنع فلان بما قسم له، ورضي به، واجتزأ بقسمة القدر، وإنه لرجل قنوع، عفيف أو نزيه، أو ظلف، أو عزوف النفس، وزهيد العين. وإنه ليقنع من الدنيا باليسير، ويجتزئ منها باللفاء، ويتقنع بالكفاف، ويرضى بميسور العيش، ويجمل في الطلب.[3]

[1] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 124.

[2] انظر، حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 298 وما بعدها.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1573.

وفي كتاب الله العزيز، جاء ذكر القناعة في آيتين، إلا أن أيا منهما لم يذكر فيها معنى القناعة بشكل مباشر. ولكن ذكرت بمعانيها في الآيات التي ورد فيها تكفل الله سبحانه بالأرزاق، والآيات التي جاء فيها الأمر بالرضا بما قسم الله من الأرزاق، أو الآيات التي تنهى عن الطمع.[1]

من أفضل من تدفع إليهم الصدقات؛ القانعون، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273)﴾[2].

ومن الأسباب التي تعين المؤمن على القناعة إيمانه و يقينه بأن الرزاق هو الله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)﴾[4].

ومن الأسباب أيضا يقينه بأن بعد العسر يسرا، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾[6].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس » متفق عليه.[7]

---

[1] المرجع السابق، المجلد 3، ص 1573.

[2] سورة البقرة، الآية: 273.

[3] سورة هود، الآية: 6.

[4] سورة فاطر، الآية: 2.

[5] سورة الطلاق، الآية: 7

[6] سورة الشرح، الآيتان: 5و6.

[7] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 527، ص 173.

يقول الحريملي النجدي: «(العَرَضُ) بفتح العين والراء: هُوَ المالُ. أي: ليس حقيقة الغنى كثرة المال مع الحرص، وإنما الغني من استغنى بما آتاه الله، وقنع به، وإنما كان الممدوح غنى النفس، لأنها حينئذٍ تكفّ عن بث المطامع فتعز.

وقال الشاعر:

ومن ينفق الساعاتِ في جمع مالـــــــه مخافة فقر فالذي فعل الفقـــــــــــر

وقال بعض العارفين:

رضينا بقسمة الجبار فينـــــــــــا لنا علم وللجهل مـــــــــــــالُ

فإن المال يفنى عن قريـــــــــــب وإن العلم كنز لا يـــــــــــزال»[1]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» رواه مسلم.[2]

يقول الحريملي النجدي: «الكفاف: ما كف عن السؤال مع القناعة».[3]

وعن عمرو بن تغلب (بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام) رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجالا، وترك رجالا، فبلغه أن الذين ترك عقبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فوا لله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطى، ولكني إنما أعطي لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب».

قال عمر بن تغلب: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم. رواه البخاري. الهلع: هو أشد الجزع وقيل: الضجر.[4]

---

[1] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 351.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 528، ص 173 وما بعدها.

[3] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 352.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 531، ص 174.

قال العلامة ابن حجر العسقلاني رحمة الله تعالى عليه: «قوله: "لما في قلوبهم من الجزع والهلع" قال ابن بطال: مراده في هذا إثبات خلق الله تعالى الإنسان بأخلاقه من الهلع والصبر والمنع والإعطاء، وقد استثنى الله المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون لا يضجرون بتكررها عليهم ولا يمنعون حق الله في أموالهم، لأنهم يحتسبون بها الثواب ويكسبون بها التجارة الرابحة في الآخرة، وهذا يفهم منه أن من ادعى لنفسه قدرة وحولا بالإمساك والشح والضجر من الفقر وقلة الصبر لقدر الله تعالى ليس بعالم ولا عابد، لأن من ادعى أن له قدرة على نفع نفسه أو دفع الضر عنها فقد افترى. انتهى ملخصا، وأوله كاف في المراد فإن قصد البخاري أن الصفات المذكورة بخلق الله تعالى في الإنسان لا أن الإنسان يخلقها بفعله، وفيه أن الرزق في الدنيا ليس على قدر المرزوق في الآخرة، وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية، فكان صلى الله عليه وسلم يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة، وفيه أن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله، وفيه أن المنع قد يكون خيرا للممنوع...»[1]

القناعة، الرضا بالقسم، يقال: قنع الرجل قناعة، إذا رضي، وقال: أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتـــــــــــــــها وإذا ترد إلى قليل تقنـــــــــــــــع[2]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرا القناعة، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم، ولو لم بكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال.[3]

[1] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 810.

[2] ابن السني (حافظ أبو بكر أحمد بن إسحاق)، القناعة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يوسف، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، د.ط، د.ت، ص 11.

[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 124 وما بعدها.

قال محمد بن حميد الأكاف:

تقنع بالكفاف تعش راخيـــــــــــــا ولا تبع الفضول من الكفـــــــاف

ففي خبز القفار بغيـــــــــــــر أدم وفي ماء القرات غني وكـــــــــاف

وفي الثوب الموقع ما يغطـــــــــــى به من كل عربي وانكشـــــــــاف

وكل تزين بالمرء زيـــــــــــــن وأرينه التزين بالعفـــــــــــــاف[1]

وقال بكر بن حماد:

تبارك من ساس الأمور بعلمـــــــــه وذلّ له أهل السّمـــــــــوات والأرض

ومن قسم الأرزاق بين عبـــــــــاده وفضّل بعض الناس فيها على بعـــــض

فمن ظنّ أنّ الحرص فيها يزيـــــــده فقولوا له يزداد في الطّول والعـــــرض[2]

وقال أيضا:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى النـــــــــاس واقنع بيأس فإنّ العزّ في اليـــــــــاس

واستغن عن كلّ ذي قربى وذي رحـــــم إنّ الغنيّ من استغنى عن النّـــــــاس[3]

فعلى كل عاقل أن يدرك أن ما قسم له من رزقه قد قسم، ولن ينقص منه شيئا ولن يستزيد منه شيئا، فليقنع بما أتاه الله، ولا تعد عيناه إلى ما متع الله به غيره، فكل ورزقه، قد كتب له مقسم الأرزاق من ليس يظلم أحدا، بل فضله يؤتيه من يشاء من عباده، وأعقل الناس من إذا أصبح معافى في بدنه قد وجد قوت يومه فقد كفي.

[1] المرجع السابق، ص 125.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 158.

[3] المرجع نفسه، ج3، ص 158.

أعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم الله له.[1]

وسئل بزرجمهر عن الرزق، فقال: إن كان قد قسم فلا تعجل وإن كان لم يقسم فلا تتعب.[2]

وقال الحسن رضي الله عنه: الحريص الجاهد والقنع الزاهد، كلاهما مستوف حظّه، وأكله غير منتقص ما قدر له، فعلام التهافت في النار؟[3]

قال الحسن: ابن آدم، لست بسابق أجلك، ولا ببالغ أملك، ولا مغلوب على رزق، ولا بمرزوق ما ليس لك؛ فعلام تقتل نفسك؟

قال ابن عبد ربّه: قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعري فقلت:

لست بقاض أملـــــــــــــــي ولا بعاد أجلـــــــــــــــي

ولا بمغلوب على الـــــــــــرّ زق الذي قدّر لـــــــــــي

ولا بمعطى رزق غـــــيـــــــــ ـــري بالشّقا والعمـــــــــــل

فليت شعري ما الّـــــــــــذي أدخلني في شغلـــــــــــي[4]

وله أيضا:

أتطلب رزق الله من عند غيـــــره وتصبح من خوف العواقب آمنـــــا

وترضى بصرّاف وإن كان مشركـــا ضمينا ولا ترضى بربّك ضامنـــــا[5]

إن العفة سببٌ لغنى النفس، يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «والقصد أنَّ المسلم إذا عفَّ عما في أيدي الناس يسَّر الله تعالى له أسباب غِنى النفس، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العَرض ولكنَّ الغنى غنى النفس"؛ ولأجل ذلك قالوا إنَّ الفقرَ الذي استعاذَ منه رسولُ الله هو فقرُ القلب الذي يبقى صاحبُه مُتشوفاً إلى ما في أيدي الناس وممتدةً عينُه إليه فيعيش

[1] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 411.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1 ص 601.

[3] المرجع نفسه، ج1 ص 601.

[4] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 157.

[5] المرجع نفسه، ج3، ص 158.

فقيراً ولو ملكَ الكثير، ولو ملكَ الدنيا بما فيها فإنَّ هذا الفقرَ يؤدي إلى كثيرٍ من الآفات والمهاوي، حينئذٍ يجب على المسلم أن يسلكَ مسلكَ تلك العفة فلا يزال يبذل الفضلَ من يده ويمسك الفضلَ من لسانه ولذا لما طلبَ الوصيةَ بعضُ المستَوصينَ من بعضِ الأخيار قال له: فُكَّ كفَّك وكُفَّ فَكَّك. فُك كفَّك: كفك فُكَّه أنفق، وكُفَّ فَكك: لسانك فمَك، فهذا الفَك كُفَّه، فإنه من أمسكَ الفضلَ من لسانه وبذلَ الفضلَ من يده كُتب ذاكراً شاكرًا، ومن لا فلا يكتبُ ذاكراً ولا يُكتب شاكراً..."وما فتحَ أحدٌ على نفسِه بابَ مسألةٍ إلا فتحَ الله عليهِ بابَ فقر" هو يسأل ويزداد في السؤال والفقر يزداد عليه، وذلك الذي يسأل طمعا .. أما الذي يسأل لغيره من المحتاجين أو يسأل للمصالح العامة فيطلب من الأغنياء و الأثرياء أن ينفقوا فيها وأن يبذلوا فيها وأن يسارعوا إلى المثوبات في الإنفاقِ في تلك السبُل المرضيَّات فليس داخلاً في هذا الحديث، إنما الذي يسأل لنفسه طمعًا فيما في أيدي الناس هو الذي يفتحُ الله له أبوابَ الفقر.

ويمضي المسلمُ الصادقُ في إسلامه على القناعةِ بما رزقَه الله وعلى الاسترزاقِ بما شرعَ تبارك وتعالى وعلى توكُّله على الله جل في علاه وعلى استعفافه عما في أيدي الناس وعدم التفاته واستشرافه إليه؛ حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما جاءك من هذا المال مِن غير إشرافِ نفسٍ فخُذه فإن كان لك حاجة فتمَوَّله، و إلا فتصدَّق به، ومالا فلا تُتبِعه نفسك"؛ لا تُتبع عينَيك ونفسَك ما لم يأتِك من نفسه فما أتاكَ من نفسه فالمنهجُ الصواب فيه لا نسأل ولا نرد مهما جاء من وجهٍ غير حرامٍ وجاء من وجهٍ طيب فيُقبل فإن كان لك حاجة فخذه وإلا فتصدَّق به...فنِعم المسلك هذا وبئس امتدادُ العين إلى ما في أيدي الناس».[1]

ومن رام طلب الغنى ففي القناعة مطلبه، إنها الراحة للقلوب، والرواح للأرواح، والغنى للنفوس، والقرة للأعين، ومن كان طبعه القناعة رضي بما آتاه الله تعالى من الرزق، سواء مدّ له فيه، أو قَدَرَهُ عليه.

[1] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص.ص 85.83.

والعرب تمثّلت بقولها: خَيْرُ الغِنَى القُنُوعُ، وَشَرُّ الفَقْرِ الْخُضُوعُ.[1]

وفي كتاب للهند: لا ينبغي للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذي به يدفع الحاجة عن نفسه، وما سوى ذلك إنما هو زيادة في تعبه وغمه.[2]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **أَلْبَسْ مَا سْتَرْ وْكُولْ مَا حْضَرْ**. (أَلْبَسْ: إلبس، كُولْ: كُلْ). أي يكفيك من اللباس ما يكسو العري، ويكفيك من الطعام ما يسد الرمق، فإن قنعت فلن تعدم الهناء، والإنسان إن رضي برزقه كفي ووقي.

ومن هذا قالت الحكماء: أقل الدنيا يكفي وأكثرها لا يكفي![3]

من أمثال العرب: مَنْ لَمْ يُغْنِيهِ مَا يَكْفِيهِ، أعْجَزَهُ ما يُغْنِيهِ. يضرب في مدح القَنَاعة.[4]

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما طلعت الشمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان من على الأرض غير الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» رواه أحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.[5]

من الناس من أوتي القليل لكنه مطمئن القلب مرتاح البال؛ رضي بما قسمه الله له فأغناه الله، فالفقير فقير القلب، والمعدم من عدم القناعة، يقول المثل الشعبي الجزائري: **التّمَرْ وَاللّبِينَه وْ رَبِّي يْهَنِّينَا**، (اللّبِينَه: أي اللبن)، وقريب منه المثل الشعبي الجزائري: **الْخُبْزْ، الْمَا وَالْهْنَا**. (الْمَا: الماء، الهنا: أي الهناء).

والعرب تتمثّل بقولها: حَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيٌّ.[6]

---

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 244.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 160.

[3] المرجع نفسه، ج3، ص 160.

[4] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 318.

[5] ابن السني، القناعة، ص 23.

[6] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 195.

وقالوا: لا غنى إلا غنى النفس.[1]

فالهناء هو المقصود، وراحة البال هي المرجوة، وقد يعيش الإنسان في رغد من العيش، ولكنه يعدم السعادة، لأنها ملازمة للقناعة والرضى بالكفاف، فالخبز والماء مع طيبة روح وغنى نفس، يهنأ بهما الإنسان، ويعيش كأنه حاز الدنيا وما فيها، في مقابل ذلك تجد الذي أوتي مالا ولكنه حريص دائما على اللهث وراء جمعه وتكنيزه، فمهما حصّل إلا وقلبه الجشع ينادي: هل من مزيد، فتجده مهموما محزونا، أعمى الحرص بصيرته.

قالوا: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة الحرص التعب.[2]

وقالوا: الراضي القانع يعيش آمنا مطمئنا، مستريحا مريحا؛ والشّره الحريص لا يعيش إلّا تعبا نصبا في خوف وأذى.[3]

قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين. فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف.[4]

ويقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

خبزة والقلـــــــــــــــــب مشـــروح والضحك هو ايدامـــــــــــــه

خزار والكبش مذبـــــــــــــــــــوح مايلذشي على طعامـــــــــــه[5]

(خزار: البخيل).

المال ليس غاية، وإنما وسيلة، والمرء يحصل على السعادة إذا حاز القناعة، والرضى بما قسم الله تعالى له من الرزق، فانشراح القلب مطلب لا يحوزه إلا قنوع، ولا يعدمه إلا حريص.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 156.

[2] المرجع السابق، ج3، ص 156.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 119.

[4] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 48.

[5] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب، ص 42.

ولله درّ القائل:

من كان ذا مال كثير ولـــــــــم يقنع، فذاك الموسر المعســـــــــــر

وكلّ من كان قنـــــــــوعا وإن كان مقلا، فهو المكثـــــــــــــر

الفقر في النفس وفيها الغنـــــــى وفي غنى النفس الغنى الأكبـــــــر[1]

وقال الخليل بن أحمد:

إن لم يكن لك لحـــم كفاك خل وزيـــــــــــــت

إن لا يكن ذا فكسرة وبيـــــــــــــــت

تظل فيه وتـــــــــأوي حتى يجيئك مـــــــــــوت

هذا لعمري كفـــــــــاف فلا يغرك ليـــــــــــــت[2]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **كوخ نضحك فيه، خير من قصر نبكي فيه.** فالمراد هو راحة البال؛ وليس كثرة المال، ومن رام هذا الأخير أتعب روحه وجسمه ثم لا يحصل منه إلا على ما كتبه الله له.

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم: وحسبك من غنى شبع وري. وهذا المثل لامرئ القيس بن حجر الكندي، وكانت له معزى، فقال يذكرها:

فتملأ بيتنا أقطاً وسمنـــــــــــا وحسبك من غنى شبـــــــــعٌ وريٌ[3]

وقال الشاعر:

حسب الفتى من عيشـــــــــــــه زاد يبلغه المحـــــــــــــــــــلا

خبز وماء بـــــــــــــارد والظل حين يريد ظـــــــــــــلا[4]

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 158.

[2] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 127.

[3] ابن سلام، الأمثال، ص 167.

[4] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِستٍّ مِنَ الْخَيْرِ: «حُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَقُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَاسْتَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا فَلَا تَسْأَلْهُمْ ».[1]

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّهُمَا سَمِعَا أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ، اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2]» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.[3]

وفي المثل الشعبي الجزائري: **مَا تَدِّي غِيرْ مَا كْتَابْ لِيكْ**. (تَدِّي: تأخذ، مَا كْتَابْ: ما قدّر، لِيكْ: لك).

قيل: احتمل الفقر بالتنزّه عما في يدي غيرك، والزم القناعة بما قسم لك، فإنّ سوء حمل الفقر يضع الشريف، ويخمل الذكر، ويوجب الحرمان.[4]

ولله درّ القائل:

حتى متى أنا في حلّ وترحـــــــــــال وطول شغل بإدبار وإقبـــــــــــال
ونازح الدار ما أنفك مغتربـــــــــا عن الأحبّة ما يدرون ما حـــــــالي
بمشرق الأرض طورا ثم مغربهـــــــــا لا يخطر الموت من حرص على بـــالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعـــــــــة إن القنوع الغنى، لا كثرة المـــــــال[5]

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: يا بني إذا طلبت الغنى، فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه.[6]

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج5، ص 105 وما بعدها.
[2] سورة البقرة، الآية: 273.
[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج5، ص 110.
[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 117.
[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 160.
[6] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 124.

والعرب تتمثّل بقولها: غَثُّكَ خَيْرٌ من سمين غَيْرك. يضْرب مثلا للقناعة بِالْقَلِيلِ من حظك يَقُول إِن قليلك إِذا قنعت بِهِ كَانَ خيرا لَك من كثير غَيْرك يطمح إِلَيْهِ طرفك فتذل وتهون وتتعب وتنصب وَمن أمثالهم فِي القناعة قَول مرار بن منقذ:

وَإِن قرَاب الْبَطن يَكْفِيك ملـــــــــؤه وَيَكْفِيك سوآت الْأُمُور اجتنابهـــــــا[1]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الرزق رزقان: فرزق تطلبه، ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك.[2]

ومن أمثال العرب: يَكْفِيك نصيبك شح الْقَوْم. يضْرب مثلا فِي القناعة بِمَا تيَسّر[3]

قال فيلسوف: القناعة عزّ، والاعتبار كنز، والخنوع عجز.[4]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **اللّي مَاشِي مَكْتُوبَه مْنَ الْفُمْ تْطِيحْ**. (اللّي: الذي، مَاشِي مَكْتُوبَه: غير مقدّرة، تْطِيحْ: تسقط).

يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

الكاتبة تنادي ومعاها الخيـــــــــــــر ولو كان من بعيد تجيبهـــــــــــــــا

والخاطي عليك من يديك يطيـــــــــــر رزقك ما هو فيهـــــــــــــــــا[5]

فيهـــــــــــــــا[5]

وقال الشاعر:

لا بدّ ممّا ليس منه بـــــــــــــــــدّ اليأس حرّ والرجاء عبـــــــــــــــد[6]

عبـــــــــــــــد[6]

[1] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 81.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 160.

[3] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 429.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص 245.

[5] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب، ص 37.

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 156.

وله أيضا:

فلا تحرصنّ فإنّ الأمـــــــــــــــور بكفّ الإله مقاديرهـــــــــــــــا

فليس بآتيك منهيّهـــــــــــــــا ولا قاصر عنك مأمورهـــــــــــــــا[1]

وفي المثل العربي: خُذْ حَقَّكَ فِي عَفَافٍ، وَافِياً أَوْ غَيْرَ وَافٍ. يضرب في القَنَاعة باليسير.[2]

يتمثّل الجزائريون بقولهم: **امْشِ بَالْحْفَا، حَتَّى يَاتِيكْ الصَّبَّاطْ**. (بَالْحْفَا: حافيا، يَاتِيكْ: يأتيك، الصَّبَّاطْ: الحذاء).

وفي المثل العربي: اِرْض من المركوب بالتعلق. يضْرب مثلا للرضا بِدُونِ الْحَاجة أَي ارْض من الْأَمر بِدُونِ تَمَامه وَمن الْعَيْش بِدُونِ الكفاف يحثه على القناعة.

وَأَصله فِي الرّكُوب يُقَال للرجل تعلق بعقبة تركبها، والعقبة أَن يركب قَلِيلا ثمَّ ينزل فيركب صَاحبه، وَقد اعتقب الْقَوْم رواحلهم.[3]

وقال عبد الله بن عباس: القناعة مال لا نفاد له.[4]

وقَوْلهم: اِرْض من العشب بالخوصة. أَي ارْض من الْأَمر بِالْقَلِيلِ وَهُوَ مثل فِي القناعة وَمن أمثالهم فِي ذَلِك: بؤسي لمن لم يرض بالكفاف.[5]

وقال الأضبط بن قريع:

ارض من الدهر ما أتاك بـــــــــــــــه من يرض يوما بعيشه نفعـــــــــــــــه

قد يجمع المال غير آكلـــــــــــــــه ويأكل المال غير من جمعـــــــــــــــه[6]

---

[1] المرجع السابق، ج3، ص 159.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 248.

[3] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 90.

[4] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 160.

[5] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 178.

جمعـــــــــــــــه[1]

وفي المثل الشعبي الجزائري: **اَلْهْنَا هُوَ الْغْنَى**. (اَلْهْنَا: الهناء، الْغْنَى: بمعنى القناعة).

ومنه قَوْلهم: إِن القنوع الْغَنِيّ لَا كَثْرَة المَال.

والقنوع يسْتَعْمل فِي مَوضِع القناعة وَلَيْسَ بالجيد فَإِنَّمَا القنوع السُّؤَال.

وَقَالَ آخر:

والعيش لَا عَيْش إِلَّا مَا قنعت بِـــــــــــــهِ قد يكثر المَال والإنسان مفتقـــــــــر[2]

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم: القناعة خيرٌ من الضّراعة. التقلّل خيرٌ من التذلّل.[3]

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: القناعة سيف لا ينبو، والصبر مطية لا تكبو، وأفضل عدة صبر على شدة.[4]

وقال بعض السلف: العز والغنى يجولان، فإذا لقيا القناعة استقرا.[5]

وقالوا: الغنيّ من استغنى بالله، والفقير من افتقر إلى الناس. وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: مالان: الغنى بما في يدي عن الناس، واليأس عما في أيدي الناس! وقيل لآخر: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر، والقصد في الباطن.[6]

يقول المثل العربي: إنَّ فِي الْمَرْنَعَةِ لِكُلِّ كَرِيمٍ مَنْفَعَة.

المرنعة: الخِصْب. والمنفعة: الغنى والفَضْل، ويروى "مقنعة" من القَنَاعة، وبالفاء من قولهم "مَنْ قَنَع فَنَع" أي استغنى، ومنه قوله:

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 159.

[2] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 179.

[3] الوشاء، الموشى – الظرف والظرفاء، ص 214.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص 149.

[5] المرجع نفسه، ج5، ص 187.

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص 156.

أظِلّ بيتيَ أم حَسْنَاء نَاعِمَـــــــــــــةً حَسَدْتَنِي أم عَطَاء الله ذَا الْفَنَـــــــــــعِ[1]

القناعة نعمة من نعم الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده، ففي بهوها الراحة والاطمئنان، وظلالها وارفة على من تظلل بالرضى، ومن سلك سبيلها لا هم يصاحبه، ولا غم يلازمه.

وقد أنشد أحدهم:

إنّ القناعة من يحلل بساحتهـــــــــــا لم يلق في ظلّها همّا يؤرّقـــــــــــــه[2]

قال فيلسوف: من عدم العقل لم يزده السلطان عزاً، ومن عدم القناعة لم يزده المال غنى.[3]

وقد أحسن من قال: أنت العزيز ما التحفت بالقناعة.[4]

ورضي الله عن الإمام علي حيث يقول:

أَفادَتني القَناعَةُ كُلَّ عِـــــــــــــزٍّ وَهَل عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَناعَـــــــــــــه

فَصَيِّرها لِنَفسِكَ رَأس مـــــــــــــالٍ وَصَيِّر بَعدَها التَقوى بِضاعَـــــــــــــه

تَحُز رِبحاً وَتُغنِ عَن بَخيـــــــــــــلٍ وَتَنعَمُ في الجِنانِ بِصَبرِ ساعَـــــــــــــه[5]

وقال آخر:

وإنّ القناعة كنز الغنـــــــــــــى فصرت بأذيالها ممتســـــــــــــك

فلا ذا يراني على بابـــــــــــــه ولا ذا يراني له منهمـــــــــــــك

فصرت غنيّا بلا درهـــــــــــــم أمرّ على الناس شبه الملـــــــــــــك[6]

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].[2]

---

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 44.

[2] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 125.

[3] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص 63.

[4] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 411.

[5] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 300 وما بعدها.

[6] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 128.

من فوائد القناعة:

(1)القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(2)القانع تعزف نفسه عن حطام الدّنيا رغبة فيما عند الله.

(3)القنوع يحبّه الله ويحبّه النّاس.

(4)وهو سعيد النّفس بما قسم له من الدّنيا.

(5)لو قنع النّاس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم.

(6) تشيع الألفة والمحبّة بين النّاس.[3]

[1] سورة الطلاق، الآيتان: 2و3.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 601.

[3] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج8، ص 3175.

5. الكرم والضيافة:

يتمثّل الجزائريون بقولهم: **الْجُودْ مْنَ الْجْدُودْ**. (الْجْدُودْ: الأجداد).

لقد رغب الإسلام في خلق الكرم، وحث على ذلك، لأنه دليل على سخاء الإنسان وجوده، فكان لزاما على كل مؤمن بالله واليوم الآخر أن يكرم ضيفه، فذاك دليل على كمال إيمانه، وصفاء روحه، ونقاء قلبه.

وفي أمثاله قالت العرب: أَكْرَمُ مَنَ العُذَيْقِ المُرجَّبِ.

قَال حمزة: إن أكثر العرب تقوله بغير ألف ولام، والعُذَيق: النخلة يَكْثُر حملها فيُجْعلَ تحتها دِعَامة، وتسمى الرُّجْبَة، ويقولون: رَجَّبتُ النخلة، ونخلة مُرَجَّبة، وعِذق مُرَجَّب، فيقول: هو في الكرم كهذه النخلة من كثرة حملها، وللأعداء إذا احْتَكَّوا به لمنزلة الجذيل الذي من احْتَكَّ به كان دواء من دائه.[1]

يقول الحزيمي: «والكرم والضيافة عادة منتشرة لدى كافة الأمم قديما وحديثا، فهو من شيم النبلاء من الناس لكل زمان ومكان. ولكن قواعد الدعوة، وعوامل المبادرة إليها، وواجبات الضيافة، والقدرة على تحمل أعبائها، وحدود الكرم، تختلف أيضا من شخص إلى شخص، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر. ولعل أكثر البيئات التي تنتشر فيها عادة الكرم والضيافة من باب أداء الواجب، ودون تكلف أو تصنع، هي البيئات الريفية والصحراوية، حيث تقسو الحياة أحيانا، ويحتاج الناس إلى مساعدة بعضهم البعض، ولا يجد عابر السبيل القادم فيها مكانا للمبيت، ومحلا يشتري منه طعامه. بينما تضعف هذه الخصلة في المجتمعات المدنية، التي تسيطر على أهلها الأهداف

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 170.

المادية، وتضعف بين سكانها العلاقات الاجتماعية، ولذلك يحكم الضيافة فيها واجبات وآداب وقواعد محددة، ويغلب على عادات الكرم لدى أهلها والتكلف و البذخ».[1]

والكريم من صفات الله تعالى العلى، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)﴾[4].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفسافها».[5]

يقول ابن عبد ربه الأندلسي: «ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى، تسمّى بها، فهو الكريم عز وجل. ومن كان كريما من خلقه، فقد تسمّى باسمه، واحتذى على صفته».[6]

ومن مرادفات الكرم في اللغة العربية: الجود فهو جواد، و السخاء فهو سخي، والأريحية فهو أريحي، والنجابة فهو نجيب، والروعة فهو أروع، والغطرفة فهو غطريف، والندى فهو ندي، والفيض فهو فياض، والمروءة فهو مريء.[7]

قيل للحسين بن علي رضي الله عنهما: ما الكرم؟ قال: التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل.[8]

وقيل لعمرو بن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك متورّعا.[9]

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1645.

[2] سورة الرحمان، الآية: 27.

[3] سورة الإنفطار، الآية: 6.

[4] سورة العلق، الآية: 3.

[5] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج3، ص 366.

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج1، ص 188.

[7] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1637.

[8] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج4، ، ص 185.

[9] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج2، ص 261.

وقيل لبعضهم: ما الكرم؟ فقال: طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لأن أختبز صاعا أو صاعين فأدعوا إليه نفرا من إخواني أحب إليّ من أن أعتق رقبة.[1]

و قد جاء في القرآن الكريم ذكر لفظ الكرم –بصيغه المختلفة– سبعا وأربعين مرة، في ست وأربعين آية. كما ورد لفظ الضيافة – بصيغه المختلفة – في ست آيات، كذلك ذكر معاني الضيافة في مواضع أخرى.[2]

وإكرام الضيف من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27)﴾[3].

وعن فضل الكرم، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)﴾[4].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري ومسلم.[5]

عن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه أنَّ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: «مَنْ كانَ يُؤمنُ بِاللَّه واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّه واليَوم الآخِرِ فليصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يؤمِنُ بِاللَّه وَاليوْمِ الآخِرِ فَلْيَقلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» متفقٌ عليه.[6]

---

[1] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 745.

[2] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1637.

[3] سورة الذاريات، الآيات: 24-27.

[4] سورة الإنسان، الآيتان: 8،9.

[5] النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف)، الأربعون النووية، عني به قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 1430هـ/2009م، الحديث الخامس عشر، ص67.

[6] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 706، ص 192.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «"وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَليُكرِمْ ضَيْفَهُ"، الضيف هو النازل بك، كرجل مسافر نزل بك، فهذا ضيف يجب إكرامه بما يعد إكراماً.

قال بعض أهل العلم – رحمهم الله –: إنما تجب الضيافة إذا كان في القرى أي المدن الصغيرة، وأما في الأمصار والمدن الكبيرة فلا يجب، لأن هذه فيها مطاعم وفنادق يذهب إليها ولكن القرى الصغيرة يحتاج الإنسان إلى مكان يؤويه. ولكن ظاهر الحديث أنه عام: "فَليُكْرِمْ ضَيْفَهُ"».[1]

ويقول ابن دقيق العيد: «والضيافة من الإسلام وخلق النبيين والصالحين. وقد أوجبها بعض العلماء وأكثرهم على أنها من مكارم الأخلاق. وقال صاحب الإفصاح: في هذا الحديث من الفقه أن يعتقد الإنسان أن إكرام الضيف عبادة لا ينقصها أن يضيف غنياً ولا يغيرها أن يقدم إلى ضيفه اليسير مما عنده، فإكرامه أن يسارع إلى البشاشة في وجهه ويطيب الحديث له، وعماد أمر الضيافة إطعام الطعام فينبغي أن يبادر بما فتح الله من غير كلفة».[2]

وقد قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه معلقا على ما أورده النووي من أحاديث في باب إكرام الضيف: «ذكر المؤلف رحمه الله في باب الضيافة وإكرام الضيف الأحاديث التي تدل على إكرام الضيف وقراه، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"، وهذا من باب الحث والإغراء على إكرام الضيف، يعني أن إكرام الضيف من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تمام الإيمان بالله واليوم الآخر، وذلك أن الذي يكرم ضيفه يثيبه الله تعالى يوم القيامة، وربما أثابه يوم القيامة وفي الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾[3] فيثيبه الله في الدنيا بالخلف، وفي الآخرة بالثواب، ولهذا قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه"، وإكرام الضيف

---

[1] محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر، د.ط، د.ت، ص 178.

[2] ابن دقيق العيد (تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ/2003م، ص 69.

[3] سورة الشورى، الآية: 20.

يختلف بحسب أحوال الضيف، فمن الناس من هو من أشراف القوم ووجهاء القوم فيكرم بما يليق به، ومن الناس من هو من سقط القوم فيكرم بما يليق به، ومنهم من هو دون ذلك، فالمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام أطلق الإكرام فيشمل كل الإكرام، فمن الناس إذا نزل بك ضيفا لا يرضيه أن تأتي له بطعام عليه دجاجتان وما أشبه ذلك، يحتاج إلى أن تأتي بطعام عليه ذبيحة، ويكون من إكرامه أيضا أن تدعو جيرانك وما أشبه ذلك، ومن الناس من هو دون ذلك. المهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقيد الإكرام بشيء بل أطلق، فيكون راجعا إلى ما يعده الناس إكراما».[1]

وقال أنس بن مالك: كلّ بيت لا يدخله ضيف سبعة أيام لم تدخله الملائكة.[2]

فعلى كل عاقل أن يكون سخيا كريما بما آتاه الله تعالى من فضل المال، فالرزق رزق الله عز وجل، يبسطه لمن يشاء، والله يحب المحسنين، فإذا جاد الإنسان على غيره، زاده الله تعالى من فضله، وبارك له في رزقه، وفي ذلك المعنى نجد بعض الأمثال الشعبية الجزائرية التي تحث على الكرم والجود من غير خوف من الفقر، بل نلمس فيها اليقين بأن الله تعالى قد وعد كل منفق بالزيادة في الفضل وحسن الثواب، ولا ينقص مال من صدقة، بل إن الله تعالى يربي المال بها، كما قال عز وجل في محكم التنزيل: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾[4]، هذه وغيرها من الآيات التي تدعو إلى الكرم والجود، وأن الله عز وجل هو الرزاق من بيده الخير كله وله ما في السموات والأرض، وإنما هو رزقه أودعه لدى الإنسان ليبلوه أيجود أم يبخل، فمن جاد فلنفسه ومن بخل فعليها، والعاقل من تبصر وتيقن بأن الله يخلف على المنفق، يقول المثل الشعبي الجزائري: **اطْلَقْ يَدَّكْ، رَبِّي يَغْنِيكْ**، أو ما يقاربه في قولهم: **اطْلَقْ يَدَّكْ، رَبِّي يْزِيدَكْ**. (يَدَّكْ: يداك)،

---

[1] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 994.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 745.

[3] سورة التغابن، الآيتان: 17،18.

[4] سورة البقرة، الآية: 274.

وكذلك: **اطْلَقْ مَا فَ الْجِيبْ، يَاتِيكْ مَا فَ الْغِيبْ.** (فَ: في، ياتيك: يأتيك)، وبلفظ آخر: **اطْلَقْ مَا فَ الْجِيبْ، وْرَبِّي يْجِيبْ.** (فَ: في، يجيب: يعطيك)

فتلك دعوة إلى الجود دون خوف من الفقر، فلا يعد بالفقر غير الشيطان، وما يعد الله إلا غنى ومغفرة وأجرا عظيما، يقول الله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) ﴾[1].

يقول محمد الغزالي: «وقد يسبق الظن إلى أن السخاء ينقص الثروة ويقرب من الفقر، ويسلب الرجل نعمة الطمأنينة في ظل ماله الممدود، وخيره المشهود، وهذا الظن من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفوس الكازين الأدنياء.

والحق أن الكرم طريق السعة، وأن السخاء سبب النماء، وأن الذي يجعل يديه ممرا لعطاء الله يظل مبسوط اليد بالنعمة، مكفول اليوم والغد بالغدق الدائم من رحمة الله وكرمه».[2]

فالصدقة لا تنقص من المال، لأنه لو فرض أنه نقص من جهة، فقد زاد من جهة أخرى، فإن الصدقات تبارك المال، وتدفع عنه الآفات وتنميه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال» أخرجه مسلم.[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل» رواه مسلم.[4]

فالجود والكرم من فضائل الأخلاق وأحسنها، والمتحلي بهما نفسه كريمة ويده سخية، ينفق مما أنفق عليه ربه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز و جل: أَنْفِقْ أُنْفِقُ عَلَيْكَ» أخرجه البخاري.[5]

---

[1] سورة البقرة، الآية: 268.

[2] محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 122.

[3] انظر، عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ص 269.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 561، ص 179.

[5] حسن أحمد إسبر، الأحاديث القدسية، دار ابن حزم، لبنان، د.ط، 2007م، الحديث رقم 79، ص 73.

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس» رواه حبان والحاكم.[1]

والمرء على ما عود نفسه من التكرم أو البخل، وإنك تجد كل منفق سخي جواد ذا قلب رحيم، ونفس زكية، وإيمان راسخ بأن ماله الذي أنفق لم يضع، بل ضاع ما أبقى، يقول تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ(96) ﴾[2]، ولن تنقص صدقة من مال قط، بل تزكيه وتنميه في الدنيا والآخرة.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الْيَدْ اللِّي تْمَدْ خِيرْ مَنْ اللِّي تْشَدْ**. (اللِّي: الّذي).

والكرم إما حسي، وإما معنوي؛ يقول الحزيمى: «...ولكن يطلق الكرم بشكل خاص على دعوة الناس إلى الجلسات والحفلات، وتقديم الطعام و الشراب إليهم. وبعبارة أخرى، نجد أن الكرم له جانبان، أولها حسي: ويتمثل في كرم اليد، والعطاء والإنفاق، والضيافة و تقديم الطعام والشراب، وثانيها معنوي: ويظهر في كرم الناس، وحسن الخلق، والتحلي بكريم الخصال، كالتقوى والمسامحة والمروءة والإيثار والتضحية. فأهل الطاعة والتقوى هم الكرام وأهل الكرم».[3]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **اقْصَدْ الدَّارْ الَكْبِيرَه: إِذَا مَا تْعَشِيتْشْ، تْبَاتْ دَافِي**. (الدَّارْ الَكْبِيرَه: بمعنى دار الأجواد والكرام، مَتْعَشِيتْشْ: لم تتناول العشاء، تْبَاتْ دَافِي: تبيت في دفء).

الكرم ضرب من الإيثار، بل هو الإيثار في أعلى مستوياته، لذلك وجب تحقق هذا الخلق بجانبيه: الحسي والمعنوي، فمن قصد كريما لابد وأن ينال الرحب والسعة، حتى ولو كان المقصود ذا خصاصة، فستجده سخيا بما أوتي من رزق، ولن يعدم قاصده الخير أبدا، فلو لم يجد كرما حسيا، لغمره الكرم المعنوي، وما ذاك إلا لشرف من تخلّق بهذا الخلق، وقد أحسن من قال: إكرام الأضياف من عادات الأشراف.[4]

---

[1] ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الحديث رقم 617، ص 249.

[2] سورة النحل، الآية: 96.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1644.

[4] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 429.

وقال يحيى بن معاذ: لو كانت الدنيا لقمةً في يدي لوضعتها في فم ضيفي.[1]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الضِّيفْ بْخِيرَهْ**. (بْخِيرَهْ: بخيره).

والعرب تتمثل بقولها: المائدة مرزوقة. أي من كان مضيافا وسع الله عليه.[2]

وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاماً، فدعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فلما فرغوا قال أثيبوا أخاكم قالوا يا رسول الله وما إثابته؟ قال: «إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه فادعوا له فذلك إثابته» رواه أبو داود.[3]

ومن ذلك المثل الشعبي الجزائري: **الضِّيفْ بْرَزْقَهْ**. (بْرَزْقَهْ: ببركته، أي يكون سببا في زيادة الخير على من أقراه).

يقول شقيق البلخي: ليس شيءٌ أحب إلي من الضيف، لأن مؤونته على الله تعالى، ومحمدته لي.[4]

وقريب من ذلك المعنى المثل الشعبي الجزائري: **الضِّيفْ الْمَبْرُوكْ يْوَكَّلْ الَعْيَالْ**. (يْوَكَّلْ: يكون سببا في توفير الأكل للغير).

ومن موجبات الكرم الاستبشار بالضيف، وطلاقة الوجه، والتوسم بالبشاشة، وكلها دلائل على عدم تكلف الضيافة، ونفي كل ما ينقضها، وعن ذلك يتمثل الجزائريون بقولهم: **اَعْطِينِي ضَحَّكْتَكْ، خَلِّي عَنْدَكْ خُبْزْتَكْ**. (خَلِّي: أترك).

والمعنى جلي واضح بأن المطلوب في الضيافة هو البشاشة والبشر والترحيب عن طيب خاطر، ورواح روح، وصفاء نفس، وسلامة قلب، وطلاقة وجه.

---

[1] المرجع السابق، ص 430.

[2] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 303.

[3] ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين)، الوابل الصيب من الكلام الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط3، 1999م، ص 128.

[4] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 430.

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني، عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا؛ فانظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤم فالزمها، وانظر إلى خصلة عفّت على مثل الكرم فاجتنبها.

ألم تسمع إلى قول حاتم الطائي:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحلـــــــــه ويخصب عندي والمحل جديـــــــــب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القـــرى ولكنّما وجه الكريم خصيـــــــــب[1]

وقال محمود الوراق:

التّيه مفسدة للدين منقصـــــــــــة للعقل مجبلة للذم والسّخـــــــــــط
منع العطاء وبسط الوجه أحسن مـــن بذل العطاء بوجه غير منبســـــــــط[2]

وقد أحسن من قال: بشر الكريم في وجهه يلوح، ونشر الجود من ثوبه يفوح.[3]

وقال آخر:

أبسط وجهي للضيوف النـــــزّل والوجه عنوان الكريم المفضـــــــل[4]

وقد فصل الأبشيهي فيما يتعلق بآداب المضيف، وذكر من جملتها بسط الوجه للضيف، إذ يقول: «وأما آداب المضيف، فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه. فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى، قالوا: فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك؟ وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله هذا الكلام بأبيات، فقال:

إذا المرء وافى مترلا منك قاصـــــــــدا قراك وأرمته لديك المسالـــــــــــك
فكن باسما في وجهه متهلّـــــــــلا وقل مرحبا أهلا ويوم مبـــــــــارك

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 199.
[2] المرجع نفسه، ج2، ص 199.
[3] الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور)، التمثيل والمحاضرة، ص 414.
[4] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 752.

وقدّم له ما تستطيع من القـــــــــرى عجولا ولا تبخل بما هو هالـــــــــك

فقد قيل بيت سالف متقـــــــــــدّم تداوله زيد وعمرو ومالـــــــــــــك

بشاشة وجه المرء خير من القـــــــرى فكيف بمن يأتي به وهو ضاحـــــــــك»[1]

وهناك آداب أخرى، قد ذكرها الأبشيهي، تضاف إلى طلاقة الوجه وبسطه: «...ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وأن لا يحدث بما يروعهم به...فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم، ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه، ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا، ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم، بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن.

...الأليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام، فإنه ذلك أول الشناعة عليه، وعليه أن يسهر مع أضيافه ويؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات، وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف إن كان من أهل ذلك، وأن يري أضيافه مكان الخلاء... وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر إليهم ما وجد. فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر. ويقولون: ما ندري أيهما أعظم وزرا، الذي يحتقر ما قدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه...وكانت سنّة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي. ومن السنّة أن يشيع المضيف الضيف إلى باب الدار، وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته، فقد قيل: ثلاثة تضني: سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء، ونزل الإمام الشافعي رضي الله عنه بالإمام مالك رضي الله عنه، فصب بنفسه الماء على يديه وقال له: لا يرعك ما رأيت مني، فخدمة الضيف على المضيف فرض:

[1] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 303.

أعرض طعامك وابذله لمن أكـــــــلا واحلف على من أبى واشكر لمن فعــلا

ولا تكن سابري العرض محتشمـــــــا من القليل فلست الدهر محتفـــــــــلا

... ومن البلاء من يعزم على الضيف، فيعتذر له، فيمسك عنه بمجرد الاعتذار، كأنه تخلص من ورطة، وقيل لبعض البخلاء: ما الفرج بعد الشدة؟ قال: أن يعتذر الضيف بالصوم...

...فأين هؤلاء من الذي يقول:

قالت أما ترحل تبغي الغـــــــــنى قلت فمن للطارق المعتـــــــــــم

قالت فهل عندك شيء لـــــــــــه قلت نعم جهد الفتى المعـــــــــــدم

فكم وحق الله من ليلـــــــــــة قد أطعم الضيف و لم أطعـــــــــــم

إنّ الغنى بالنفس يا هـــــــــــذه ليس الغنى بالمال والدرهـــــــــــم»[1]

والكريم من يكرم ضيفه ويؤنسه، قال الشاعر:

يستأنس الضيف في أبياتنا أبـــــــدا فليس يعلم خلق أينا الضيـــــــــف[2]

إذا وجب على المضيف آداب يتحلى بها، بل إتيانه لها من تمام خلقه الحسن، فإن للضيف أيضا آداب يجب أن يتقيد بها، وواجبات لابد أن يقوم بها، ومعايب يعمل جاهدا على عدم إتيانها، حتى لا يحرج من أكرمه، ولا يتسبب في إزعاج من أضافه، وذاك ما بينه الأبشيهي إذ يقول: «وأما آداب الضيف: فهو أن يبادر إلى موافقة المضيف في أمور منها: أكل الطعام، ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن. فقد حكي أنه ورد على بعض الأعراب ضيف، فدخل به إلى بيته وقدم له الطعام، فقال الضيف لست بجائع، وإنما أحتاج إلى مكان أبيت فيه، فقال الأعرابي: إذا كان هذا، فكن ضيف غيري، فإني لا أرى أن تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك...

[1] انظر، المرجع السابق، ج1، ص.ص 307.303.

[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 607.

ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة، وموضع قضاء الحاجة، وأن لا يتطلع إلى ناحية الحريم وأن لا يخالفه إذا أجلسه في مكان وأكرمه به، وأن لا يمتنع من غسل يديه. وإذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها. فقد نقل في بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيء الخلق بهم، فبلغ ذلك بعض الأذكياء، فقال: الذي يظهر لي من هذا الرجل أنه كريم الأخلاق، وما أظن سوء أخلاقه إلا لسوء أدب الأضياف، ولا بد أن أتطفل عليه لأرى حقيقة أمره، قال: فقصدته وسلمت عليه، فقال: هل لك أن تكون ضيفي. قلت: نعم، فسار بين يدي إلى أن جاء إلى باب داره، فأذن لي، فدخلت، فأجلسني في صدر مجلسه، فجلست حيث أجلسني، وأعطاني مسندا، فاستندت إليه، فأخرج لي شطرنجا، وقال: أتتقن شيئا؟ قلت: نعم. فلعبت معه، فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه، وأنا آكل، فلما فرغنا قدم طستا وإبريقا وأراد أن يسكب الماء على يدي، فلم أمنعه من ذلك، وأراد الخروج من بين يدي بعد أن قدم نعلي، فلم أرده عن ذلك، فلما أراد الرجوع. قلت: يا سيدي أنشدك الله إلا فرجت عني كربة؟ قال: وما هي؟ فأخبرته الخبر، فقال: والله ما يحوجني لذلك إلا سوء أدبهم، يصل الضيف إلى داري، فأجلسه في الصدر، فيأبى ذلك، ثم أقدم إليه الطعام، فلا أتحفه بشيء مستظرف إلا رده عليّ، ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل، فيحلف بالطلاق الثلاث ما تفعل، ثم أريد أن أشيعه، فلا يمكنني من ذلك، فأقول في نفسي لا يحكم الإنسان على نفسه حتى في بيته، فعند ذلك أشتمه وألعنه وأضربه.

وفي معنى ذلك يقول بعضهم:

لا ينبغي للضيف أن يعتـــــــــــــرض إن كان ذا حزم وطبع لطيـــــــــــف
فالأمر للإنسان في بيتـــــــــــــــه إن شاء أن ينصف أو أن يحيـــــف»[1]

ومن ذلك المثل الشعبي الجزائري: **الضِّيفْ مَا يَشَرَّطْ، وْ مُولْ الدَّارْ مَا يْفَرَّطْ.** (يَشَرَّطْ: يلزم، مُولْ: صاحب).

[1] انظر، الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 307 وما بعدها.

أي أن الضيف لا ينبغي أن يكون محرجا في ضيافته، ومزعجا لمضيفه، بتصرفات لامسؤولة، ربما يكون وقعها شديدا على صاحب الدار، خاصة تلك التي تمس الأحوال الشخصية والتطلع إلى ما في البيت، والتعدي على الحدود، وفي ذلك يتمثل الجزائريون: **الضِّيفْ يَاكُلْ مَا حْضَرْ، وَيْنَقَّصْ مْنَ النْظَرْ**. (يَاكُلْ: يأكل، يْنَقَّصْ: يغض).

ومن الآداب مداراة صاحب البيت فيما يحب وما لا يحب، إذ لا ينبغي إتيان أمر من الضيف يثير نفس مضيفه، بل الواجب عليه أي يصغي إليه إذا تحدث، ولا يقاطعه في ذلك، ويبادله الكلام من غير جدال ولا نقاش، ولو كان مخطئا في بعض كلامه، فالأولى تصحيح ذلك بالكلام الطيب، والقول اللين. يقول المثل الشعبي الجزائري: **إِذَا غَنَّى مُولْ الدَّارْ، الضِّيفْ يَشْطَحْ**. (مُولْ: صاحب، يَشْطَحْ: يرقص).

ومن الآداب أيضا كثرة الالتفات، وعدم غض البصر، ومن ذلك من يتكلم معه صاحب البيت، وهو لاه عنه وساه، وإن كان الصواب في أن ينظر إلى المتكلم، وعدم صرف النظر إلى غيره، وذلك من الآداب التي يجب أن تتحقق في الضيف. بالإضافة إلى النظرة الحقيرة التي قد يبديها الضيف نحو ما يقدم إليه من طعام مثلا، فكل ذلك ممقوت ومنبوذ.

أما المضيف فعليه أن يكون فعله ذلك خالصا لوجه الله تعالى، من غير تكلف ولا تصنع، كما في المثل الشعبي الجزائري: **الْجُودْ مْنَ الْمَوْجُودْ**. ولا يبتغي بكرمه الأهداف أو المصالح الدنيوية، أو التباهي وما أشبه ذلك من الأمور التي تهدم صنيعه، وتمحق أجره.

قال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنها: من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله. أما سمعت قول الله عز وجل؟ ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾[1].[2]

[1] سورة هود، الآية: 71.

[2] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 304.

وفي المثل العربي: بَرِّزْ نَارَكَ وَإِنْ هَزَلْتَ فارَكَ. الفار ههنا: عَضَلُ العَضُدَين تشبيها بالفار كما تشبه به أيضاً فارة المسك لانتفاخها.

يقول: آثِرِ الضيفَ بما عندك وإن نَهَكْتَ جِسْمَك.[1]

وسئل الحسن عن حسن الخلق، فقال: الكرم، والبذلة، والتودد إلى الناس.[2]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الضيف مهما علم بكرم وسخاء مضيفه، فلا ينبغي أن يثقل عليه الإقامة، لأنه ربما أوقعه في الحرج، وأخرج فعله الممدوح من جود وكرم إلى تصنع وتكلف، وربما يؤثمه إذا لم يجد ما يقريه به، كما ورد في المثل الشعبي الجزائري: **الله يَرْحَمْ مَنْ زَارْ وْ خَفَّفْ.** (خَفَّفْ: لم يطل المكوث).

لذلك جاءت بعض الأمثال الشعبية الجزائرية تدعو إلى إكرام من تكون زيارته غبا، فذلك من تجب في حقه الضيافة، بل ويُسْتَقْبَلُ بالرحب والسعة، أما من يكثر الترداد على بيوت الغير فله المهانة والتضجر منه، ومن تلك الأمثال: **ضِيفْ عَامْ يَلْزَمْ لِيهْ الذْبِيحَه، وْ ضِيفْ شْهَرْ يَلْزَمْ لِيهْ مَاكْلَه مْلِيحَه، وْ ضِيفْ كُلّْ يُومْ يَلْزَمْ لِيهْ طْرِيحَه.** (لِيهْ: له، مَاكْلَه: أكلة، طْرِيحَة: الضرب).

ضِيفْ لِيلَه نَرْفَسْ لِيهْ، و ضِيفْ لِيلْتِينْ كِيفْ نَعْمَلْ لِيهْ. (نَرْفَسْ: من الرفيس، وهي أكلة معروفة في المجتمع الجزائري وإن اختلفت تسمياتها من منطقة لأخرى، لِيهْ: له،).

ضِيفْ يُومْ ظْرِيفْ، وْ ضِيفْ يُومِينْ خْفِيفْ، وْ ضِيفْ كُلّْ يُومْ مَا عَنْدَهْ نِيفْ. (ما عنده نِيفْ: لا أنفة له ولا همّة، نِيفْ: الأنف).

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ»...سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 101.

[2] الوشاء، الموشى – الظرف والظرفاء، ص 28.

وَسَلَّمَ: «جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ». قَالَ: تُكْرِمُهُ، وَتُتْحِفُهُ، وَتَخُصُّهُ، وَتَحْفَظُهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ضِيَافَةً. قَالَ: وَقَالَ سُلَيْمَانُ الْخَطَّابِيُّ: «مَعْنَاهُ يَتَكَلَّفُ لَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ الضَّيْفُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَيُتْحِفُهُ وَيَزِيدُهُ فِي الْبِرِّ عَلَى مَا يَحْضُرُهُ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ، وَفِي الْيَوْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ يُقَدِّمُ لَهُ مَا خَفِيَ، فَإِذَا أَمْضَى الثَّلَاثَ فَقَدْ قَضَى حَقَّهُ، فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ اسْتَوْجَبَ بِهِ أَجْرَ الصَّدَقَةِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْهَرَوِيُّ فِي مَعْنَاهُ: يَقْرِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يُعْطَى مَا يَحُوزُ لَهُ مَسَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَالْحِيزَةُ: قَدْرُ مَا يَحُوزُ بِهِ الْمُسَافِرُ مِنْ مَنْهَلٍ إِلَى مَنْهَلٍ».[1]

وفي روايةٍ لِمسلمٍ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسلمٍ أنْ يُقِيم عِنْدَ أخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ»، قالوا: يَا رسول اللَّه، وكَيْف يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلا شَيءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ».[2]

قال العلماء: «المطلوب من المضيف أن يبالغ في إكرام الضيف اليوم الأول وليلته، وفي باقي اليومين يأتي له بما تيسر من الإكرام. وفي الحديث: الحث على النظر إلى حال المضيف، والتخفيف عنه».[3]

ومن الأمثال الشعبية الجزائرية التي تصب في ذلك المعنى:

الضّيَافَه ثلَاثْ ايَّامْ، وَالرَّابَعْ صَدَقَه. (الضّيَافَه: الضيافة، ايَّامْ: أيام، صَدَقَه: صدقة).

الضّيفْ ضِيفْ لُو كَانْ يَقْعَدْ الشْتَا وَالصّيفْ. (يَقْعَدْ: يمكث، الشْتَا: فصل الشتاء).

من فوائد الجود:

1. دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
2. دليل حسن الظن بالله تعالى.
3. حب الناس له وقربهم منه.

---

[1] انظر، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني)، الآداب، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط1، 1408ه/1988م، ص 29.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 707، ص 192.

[3] الحريملي النجدي (فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، سنة 1423ه/2002م، ص 453.

4. رفعة مكانته في الآخرة وحب المولى له.

5. قليل أعداؤه وحساده.

6. حسن ثناء الناس عليه.[1]

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج4، ص 1513.

6. الصبر:

يقول المثل الشعبي الجزائري: **إِذَا صْبَرْتُو نَلْتُو وْأَمْرْ اللهْ نَافَذْ، وْإِذَا مَا صْبَرْتُو خْسَرْتُو وْأَمْرْ اللهْ نَافَذْ.** (صبرتو: صبرتم، نلتو: نلتم، خسرتو: خسرتم، نافذ: واقع لا محالة).

الدنيا دار بلاء وابتلاء، والإنسان فيها بين يسر وعسر، فساعة تجده مستبشرا ضاحكا، وأخرى منكد العيش محزونا، كما يقول المثل الشعبي الجزائري: **بْنَ ادَمْ فَارَحْ وَحْزِينْ إِلَى يُومْ الدِّينْ.** (ابن ادم: ابن آدم، فارح: فَرِحٌ).

فمن تحلى بالتقوى وتزين بالإيمان يشكر ربه على النعماء طلبا في الزيادة، ويصبر على الضراء محتسبا طمعا في الثواب، فالكفر بالأولى سبب للحرمان، والتضجر من الثانية سبب لضياع الأجر، هذا ولن يرفع القضاء ولن يدفع القدر على من لم يصبر، وإنما يجمع له بين مصيبتين، والمؤمن الحق من حقق أركان الإيمان الستة، ومنهم الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

وقد قيل: الصبر ينجز لك الموعود، والجزع لا يرد عليك المفقود، فليسبق صبرك جزعك، تسلم من المصيبة بالأجر، وإلا رجعت إليه بعد الفوت حسيراً.[1]

وكذلك قولهم: اصبر مختاراً مأجوراً، وإلا صبرت مضطراً مأزوراً.[2]

يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: أحدهما: هو الذي يوافق هواه، والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه. وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، فهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين، أو من كليهما، فهو إذا لا يستغني قط عن الصبر.

النوع الأول: ما يوافق الهوى، وهو الصحة؛ والسلامة؛ والمال؛ والجاه؛ وكثرة، اتساع الأسباب؛ وكثرة الأتباع و الأنصار و جميع ملاذ الدنيا، وما أحرج العبد إلى الصبر هذه الأمور،

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج9، ص 134.

[2] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 415.

فإنه إن يضبط نفسه الاسترسال والركون إليها، والانهماك في ملاذها المباحة منها، أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان...قال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء...

النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى والطبع. وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد؛ كالطاعات والمعاصي، أولا يرتبط باختياره؛ كالمصائب والنوائب، أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالة، كالتشفي من المؤذى بالانتقام منه».[1]

يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «كل خُلقٍ كريمٍ يحتاجُ من صاحبِه إلى الصبر..ولأن يدومَ على ذلك الخُلقِ يحتاجُ منه إلى الصبر، ولأن يأخُذَ بالأسبابِ التي تُمَكِّنُ فيه الخُلقَ الطيِّبَ يحتاجُ منه إلى الصبر، فلذلك في مِثل الصبرِ كان مما ينفعُ في تثبيتِه – وهو قاعدةٌ في بقية الأخلاقِ – أن تذكرَ ثوابَ الله الذي أعدَّه للصابرين، وأن تتذكرَ في كل موقفٍ يحتاجُ إلى الصبر عاقبتَه إن صبرتَ، وعاقبتَه إن لم تصبر، ولقد كتبَ بعضُ العارفين من المُعَزِّين لِمُعزًّى يُعزِّيهِ بموتِ قريبٍ له: اعلم إنك إن صبرتَ نَفذَ قضاءُ اللهِ وأنتَ مأجور، وإن جزعتَ نفذَ قضاءُ الله وأنت مأزورٌ، فقضاءُ الله نافذٌ في كلا الحالَين ولكن إن صبرتَ ثبتَ الأجر، وإن جَزعتَ ثبتَ الوِزرُ والعياذ بالله تبارك وتعالى».[2]

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إن صبرت فأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك المقدور وأنت مأزور.[3]

وقد تكرر ذكر لفظ الصبر – بصيغه المختلفة – في القرآن الكريم مائة وثلاث مرات، في ثلاث وتسعين آية.[4]

قال العلامة عبد الرحمن السعدي: «الصبر هو الأساس الأكبر لكل خلق جميل، والتتره من كل خلق رذيل، وهو حبس النفس على ما تكره، وعلى خلاف مرادها طلبا لرضى الله وثوابه،

---

[1] انظر، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص 320 وما بعدها.

[2] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 20.

[3] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 525.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق و الآداب، المجلد 2، ص 997.

ويدخل فيه الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلا تتم هذه الأمور الثلاثة التي تجمع الدين كله إلا بالصبر.

وقد أمر الله بالصبر وأثنى على الصابرين، وأخبر أن لهم المنازل العالية، والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب، وحسبك من خلق يسهل على العبد مشقة الطاعات، ويهون عليه ترك ما تهواه النفوس من المخالفات، ويسليه من المصيبات؛ ويمد الأخلاق الجميلة كلها، ويكون لها كالأساس للبنيان».[1]

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...والصبر ضياء» رواه مسلم.[2]

يقول الحريملي النجدي: «وهو النور الذي يحصل فيه نوعُ حرارة؛ لأَنَّ الصبر لا يحصل إِلا بمجاهدة النفس».[3]

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «الصبر لغة: الحبس. وشرعا: حبس النفس على ثلاثة أمور: الأول: طاعة الله، الثاني: عن محارم الله، الثالث: على أقدار الله المؤلمة، هذه أنواع الصبر التي ذكرها أهل العلم».[4]

وله في موضع آخر: «...الصبر ضياء يعني أنه يضيء للإنسان. يضيء له عندما تحتلك الظلمات وتشتد الكربات فإذا صبر فإن هذا الصبر يكون له ضياء يهديه إلى الحق، ولهذا ذكر الله عز وجل أنه من جملة الأشياء التي يستعان بها، فهو ضياء للإنسان في قلبه وضياء له في طريقة ومنهاجه وعمله؛ لأنه كلما سار إلى الله عز وجل على طريق الصبر فإن الله تعالى يزيده هدى وضياء في قلبه ويبصره».[5]

---

[1] عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ص 244 وما بعدها.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 26، ص 32.

[3] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 36.

[4] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 72.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص 79.

قال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله: «أما قوله صلى الله عليه وسلم: "والصبر ضياء" فمعناه: الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى والصبر على معصيته والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً به مهتدياً مستمراً على الصواب. قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة. وقيل: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقال أبو علي الدقاق رحمه الله: الصبر: أن لا يعترض على المقدور. فأما إظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في حق أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1] مع أنه قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]. والله أعلم».[3]

ويقول عمر بن محمد بن حفيظ: «والصبرُ: حَملُ النفسِ على تَحَمُّل المشاقِّ وتَكلُّفِ المكروهاتِ لها، وتَرْكِ مَحبوباتٍ أو مألُوفاتٍ لها ليسَت في صالِحها تُردِيها أو تُهلِكُها أو تُضَيِّعُ و تُفَوِّت عليها خيرًا كبيرًا..الصبر بهذا المعنى جندٌ من جنودِ العقل، تُضبَطُ به حركةُ الإنسانِ، ويَقُومُ به ميزانُ الإنصافِ للناس، ويُوصِلُه ذلك إلى تركِ الانتصافِ للنفس، وهو وصفٌ مِن أوصافِ الكمال..الصبرُ بهذا المعنى يحمل عليه حقائق الإيمانِ بالرحمنِ جل جلاله، والتصديق برِسالةِ نبيِّه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

الصبرُ على المشاق مِن الواجبات والمندوبات ومما فيه المنافعُ والمصالحُ في الحياةِ الدنيا والآخرة، ويُعبَّر عنه بالصبرِ على الطاعةِ وأدائها على الإحسانِ، والاستمرارِ والمواظبةِ عليها.

وصبرٌ آخر هو عن محبوباتٍ لهذهِ النفسِ ومُراداتٍ لها يعلمُ العقلُ أنَّ فيها ضرَراً عليها ويُؤدِّي بها إلى شؤمٍ وبلاءٍ فتصبرُ عنها مع أصلِ رغبتِها فيها لِما تعلمُ مِن غَوابِيها (أي ما في طياتها من محذور) ومِن عواقِبها، فلذلك تُحجِمُ عنها وتتخلَّى منها وتتباعد وإن كانت محبوبةً لهذه النفس، ويُعبَّر عنه بالصبرِ عن المعاصي، ويؤدي هذا الصبرُ عن المعاصي إلى تَركِ كثيرٍ مما ليسَ بِحرامٍ بل مما

[1] سورة ص، الآية: 44.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 83.

[3] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، ص 86.

ليس بمكروهٍ في الشرع إذا حكمَ العقلُ أنَّ فِعلَه والقيامَ به يُنقِصُ فائدةً، أو يَحُولُ بينه وبين مرتبةٍ رفيعةٍ أو خيرٍ يكونُ له في الدنيا أو الآخرة، هذا الصبرُ يؤدِّي إلى حسنِ تَقَبُّلِ الإنسانِ لمُختلفِ الأحداثِ الواقعةِ عليه، قال جل جلاله ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾[1] قال عمر بن الخطاب: نِعم العِدلان ونِعم العَلاوَة..عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، نعم العدلان والعلاوة الصلوات والرحمة والهداية كلها للصابرين، فما أعظمَ منـــزِلة الصبرِ عند الله تبارك وتعالى، وما أحوجَ العاقلُ إليه، وإنا نرى غيرَ المؤمنين يَصبِرون على مشاقّ كثيرة ليقطعوا على أنفسهم المشاكل، وليتوصَّلوا إلى الأغراضِ الفانية، فكيف حالُنا مَعشَر مَن آمنَ لا نصبرُ عن ما به تحصيلُ سعادةِ الأبد وكفايةُ شرورٍ لا نهايةَ لها».[2]

والصبر النافع الذي يثاب عليه صاحبه ويؤجر ما كان عند الوهلة الأولى من الابتلاء؛ فيفوض ويسلم ويحتسب الأجر على الله جل وعلا؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله سبحانه: ابن آدم، إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض لك ثوابا دون الجنة» أخرجه ابن ماجة.[3]

جزاء الصابرين جنة تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، لأنهم رضوا بما قسم الله لهم، واحتسبوا أجرهم على الله تعالى، فصبروا وصابروا، ولسان حالهم: شكر على السراء، وصبر على الضراء، ولا يضيع الله أجر من صبر، وما الصبر إلا بالله تعالى. وفي معنى ذلك يتمثل الجزائريون: **الصَّبْرْ مَفْتَاحْ الْجَنَّه**. (الْجَنَّه: الجنّة).

يقول القاضي حسين: «الصبر: مشتق من صبر إذا حبس ومنع، وهو حبس النفس عن الجزع وحملها على ما يقتضيه الشرع والعقل، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها. وأنواع الصبر ثلاثة: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى الله

[1] سورة البقرة، الآيات: 155-157.

[2] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 14 وما بعدها.

[3] حسن أحمد إسبر، الأحاديث القدسية، الحديث رقم 119، ص 100.

عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب، وفي الذكر الحكيم: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، وفي سورة الزمر يقول الحق جل وعلا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، والصبر من الفضائل الخُلقية الذي تعود الإنسان السكينة والاطمئنان، وتكون بلسماً لجراحه، ودواءً لمرضه وبلائه، فالصابر يتلقى المكاره بالقبول فيحبس نفسه عن السخط فيتحلى بالسكينة والوقار، والصبر سبب لحصول الضياء في القلب، والهدوء في الطبع، لأن الصابر يعلم أن حبس النفس في الطاعة، وحبسها عن المعصية شجاعة، فالصابر يرى في الشدة حكمه فعليه أن يتلقاها بالرضا ليظفر بالثواب والأجر، والجاهل يضجر ويحزن ويكتئب، ولولا الصبر لانهار الإنسان من البلاء الذي يترل عليه، ولأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة على النحو الذي يحبه الله، وقد عني القران بالصبر ومدحه، ورفع قدره وأعلى مترلته، وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره في القران نحو سبعين مرة مما يدل على عظم أمره وعلو شأنه، فهو أساس لكثير من الفضائل بل هو أمها، لأنه يربي ملكات الخير في النفس».[3]

والصبر على ستة أقسام حسب ما أورده الماوردي:[4]

أولا: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى عنه؛ فيهما تخلص الطاعة ويصح الدين، وهذا النوع إنما يتحقق بتحقق الخوف من الله تعالى؛ فمن خاف الله تعالى صبر على طاعته ووقف عند أوامره ونواهيه.

ثانيا: الصبر على ما تقتضيه أوقاته رزايا و بلاوى تجهد النفس وتكدر صفوا القلب؛ فالصبر عليا مدعاة للراحة منا ومكسب للأجر والثواب، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعب

---

[1] سورة البقرة، الآية: 45.

[2] سورة الزمر، الآية: 10.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 565.

[4] انظر، الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص.ص 260.249.

بن قيس: إنك صبرت، جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت، جرى عليك القلم وأنت مأزور، وقد ذكر أبو تمام في شعره؛ فقال:

وقال علي في التعازي لأشعـــــــــــث وخاف عليه بعض تلك المآتـــــــــم

أتصبر للبلوى عزاء وخشيـــــــــــة فتؤجر أو تسلو سلو البهائـــــــــم

ثالثا: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، وأعوز نيله من مسرة مأمولة، فالصبر عنها بعقب السلو والراحة للبال قال بعض الحكماء: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله، مثل مالا يخطر ببالك فلم تقله.

رابعا: الصبر فيما يخشى حدوثه، من رهبة يخافها، أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها، فلا يتعجل هم ما لم يأت فقد يجهد الإنسان نفسه فيما لا يحصل، قال الحسن البصري رحمة الله : لا تحملن على يومك هم غدك، فحسب كل يوم همه.

خامسا: الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها، وينتظر من نعمة يأملها، فعلى كل إنسان أن يصبر حتى ينال مناه، ويبلغ قصده، و ينجلي عنه والذهول وتفتح له أبوابه المطالب، قال أكثم بن صيفي: من صبر ظفر.

سادسا: الصبر على ما نزل من مكروه، أو حل من أمر مخوف، قال بعض البلغاء: عند انسداد الفرج، تبدو مطالع الفرج وليعلم علم اليقين أن بعد العسر يسرا، وبعد الشدة يأتي الفرج، وقد أنعم الله عليه إذ لم يبتليه بأعظم منها، وكل زائر زائل، لله در القائل:

أيها الإنسان صبـــــــــــــــرا إن بعد العسر يســـــــــــــــرا

كم رأيت اليوم حـــــــــــــرا لم يكن بالأمس حـــــــــــــرا

ملك الصبر فأضـــــــــــــحى مالكا خيرا وشـــــــــــــرا

اشرب الصبر وإن كـــــــــــــا ن من الصبر أمـــــــــــــرا

وقال بعض أهل الأدب :

يراع الفتى للخطب تبدو صـــــــدوره فيأسى وفي عقباه يأتي ســـــــــروره

ألم تر أن الليل لما تراكمـــــــــــــت دجاه بدا وجه الصباح ونـــــــــوره

فلا تصبحن البأس إن كنت عالمـــــــا لبيبا فإن الدهر شتى أمـــــــــــوره

وذكر بعض العلماء أن الصبر ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه:

فالصبر عن الوقوع في المحظورات فرض وكذلك الصبر على أداء الواجبات، وعلى المكاره نفل، والصبر على الأذى المحظور محظور، كمن تقطع يده وهو ساكت والصبر المكروه هو الصبر على الأذى يناله بجهة مكروهه في الشرع، فليس من معاني الصبر المحمود الخضوع والتسليم لأمر يحضره الشرع، وعدم إنكار المعاصي، فإذا كان هناك من يريد مراودة أهلك فترى ذلك وتسكت على ما يجري فهذا الصبر محرم، وإنما الصابر الذي ينكر المنكر، ويصبر على ما أصابه بسبب إنكاره للمنكر...وفي الذكر الحكيم ما حكاه الله عن لقمان الحكيم ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)﴾[1]، والمؤمن يظهر الحق، ويجتهد في الطاعة، ويصبر على امتثال ما أمر الله به ورسوله، ويوصي نفسه بإتباع الحق كما يوصي غيره به, وصدق الله حيث يقول ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾[2].[3]

إن خير ما يتفضل به الله عز وجل ويتكرم به على عباده خلق الصبر؛ باعتباره خير العطاء وأعظم المنن؛ ومنه فليعلم كل امرئ أن الصبر واجب، بل الأوجب أن تلقنه النفس حتى تنقاد إليه، وتذعن لتحمل المشقات واستقبال المصائب بقلب راض غير ساخط، فالسخط لا يرد القضاء؛ وإنما هو مصيبة ثانية.

---

[1] سورة لقمان، الآية: 17.

[2] سورة العصر.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 582.

فالمصائب قد يراها الإنسان رزية، لكنه لو صبر واحتسبها إلى الله تعالى كانت هدية، فصار ما حسبه نقمة نعمة، هذا لو رأى برهان ربه، وعلم أن الله تعالى إنما ابتلاه ليعلم صدقه وجهاده من عدمهما، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31)﴾[2].

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الإبل لكان قليلا: لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه. واعلموا أنّ الصبر من الإيمان بمترلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد.[3]

فالصبر قوة من قوى النفس، وثمرة من ثمرات التوفيق، وأمارة من أمارات الخير؛ من حازه حاز الخير كله، رغم أن فيه مشقة، إلا أنه عواقبه محمودة، فالصابر على البلاء مؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، وموقن بأن الابتلاء منحة ربانية، وهدية لمن كان له قلب تعلق بربه فاطمأن وخضع، يقول المثل الشعبي الجزائري: **الصّْبَرْ هْدِيَّةْ الرَّحْمَانْ**. إنه أثمن الهدايا؛ وأجزل العطايا؛ كيف لا وهو الذي يعطيه الله لخاصته من عباده؛ ليكون سبحانه وتعالى بمعيتهم، ويحرم منه كل متضجر من قضاء ربه وقدره؛ فلو كان الإنسان مؤمنا حقا لحقق الركن السادس من أركان الإيمان؛ ونعني الإيمان بالقدر خيره وشره؛ مع العلم أن كل أمر المؤمن خير؛ فتجده منعما شاكرا؛ أو مبتلى صابرا، والشكر والصبر مرتبتان ترتقيان بصاحبهما إلى مرضاة الله تعالى؛ فيكون من المقربين من الرحمن؛ الفائزين بالجنان.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 142.

[2] سورة محمد، الآية: 31.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3 ،ص 90.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء».[1]

قال عمر رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين، ما باليت أيهما ركبت.[2]

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما، أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر» متفق عليه.[3]

يقول الحريملي النجدي: «في هذا الحديث: الحثُّ على الاستعفاف، وأَنَّ مَنْ رزقه الله الصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا، فقد أعطاه خيرًا كثيرًا».[4]

وعن أبي يحي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجب لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم.[5]

يقول الحريملي النجدي: «في هذا الحديث: فَضْلُ الشكر على السّرّاء والصبر على الضرّاء، فمن فعل ذلك حصل له خيرُ الدارين، ومَنْ لم يشكر على النعمة، ولم يصبر على المصيبة، فاته الأَجر، وحصل له الوِزْر».[6]

---

[1] الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج1، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت، ج1، الحديث رقم 995، ص 231.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 524.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 27، ص 32.

[4] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 37.

[5] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 28، ص 33.

[6] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 37.

فالواجب على كل مبتلى أن يسلم بما حل به، ويعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، ومن ذلك المثل الشعبي الجزائري: **اللِّي مَن نْصِيبَكْ يْصِيبَكْ**. (اللِّي: الذي).

قال الشاعر:

يدبرُ المرءُ أمرًا ثم يُبرمُـــــــــــــــه حتماً فتصرفُهُ عنها المقاديـــــــــــــرُ

ليعلمَ المرءُ أنَّ الأمرَ ليسلـــــــــــــه وفوقَ تقديرِنا لله تقديـــــــــــــرُ[1]

وقال آخر:

الصبر مفتاح الظّفـــــــــــــــــر والأمر يجري بالقـــــــــــــــــدر

ما كان من خيرٍ وشـــــــــــــــ ـــرٍّ ليس يغني من حـــــــــــــذر[2]

ومن ذلك المثل الشعبي الجزائري: **اللِّي مَكْتُوبْ فَ الْجْبِينْ، تْشُوفَهْ الْعِينْ**. (اللِّي: الذي، فَ: في، تْشُوفَهْ: تنظره).

كما أن الابتلاء من الله تعالى إنما هو رحمة منه، فإما زيادة في الأجر، أو تخفيف ذنوب، أو دفع لما هو شر من تلك المصيبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب (وفي رواية: قدر) دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة». رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي والطحاوي وابن حبان والحاكم وأحمد.[3]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة».[4]

---

[1] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 33.

[2] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج7، ص 93.

[3] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج1، الحديث رقم 143، ص273.

[4] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج1، الحديث رقم 993، ص 231.

قالت الفرس: كلمتان يقولهما العاقل عند نائبته، إحداهما هذه الحال خير ممّا هو شر منها، والأخرى لعل الله أن يجعل في هذا المكروه خيرا. وكلمتان يقولهما الجاهل: لعل ما أصابني يدعو إلى شر منه، والأخرى لو كان بدل هذا كذا وكذا من المصيبة.[1]

وفي أمثال العرب: من أراد طول البقاء فليوطن نفسه على المصائب. وقولهم: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.[2]

والشكوى لا تنافي الصبر إذا كانت إلى الله، كما قال يعقوب: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)﴾[3] مع قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)﴾[4] وقال أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)﴾[5] مع وصف الله له بالصبر: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾[6].

أما الشكوى لغير الله قصد التضجر وإبداء السخط قمنا فيه للصبر تضاده وتبطله.[7]

ومن ذلك المثل الشعبي الجزائري: **الشَّكْوَى لله، أَمَّا النَّاسْ غِيرْ يَسْتَشْفَاوْ.** (يَسْتَشْفَاوْ: من التشفّي)، قال عمرو بن عثمان المكي: «الصبر هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والدعة».[8] والدعة».[8] ومعناه أن يكون راضيا بما حل به من غير ضيق ولا سخط ولا تشكي. وقريب منه المثل الشعبي الجزائري: **الشَّكْوَى لْغِيرْ الله ذُلّ.**

---

[1] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 524.

[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 574.

[3] سورة يوسف، الآية: 86.

[4] سورة يوسف، الآية: 83.

[5] سورة الأنبياء، الآية: 83.

[6] سورة ص، الآية: 44.

[7] انظر، ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، مراجعة: سليمان بن عبد الله العميد ومحمد أجمل الإصلاحي وعلي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ، ص.ص 255. 259.

[8] المرجع نفسه، ص 12.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)﴾[1].

فمن شكا إلى الخلق إنما يشكو الخالق، وذلك الجهل بعينه، بل أجهل الجهل وأخطره، وإلا فأين توحيد الأسماء والصفات، وأن الله هو النافع الضار، المعطي المانع، وهو المدبر الخالق المتصرف كيف شاء، له الأمر كله، وهو على كل شيء قدير، هو يعلم والمرء لا يعلم، وهو علام الغيوب.

الدنيا دار بلاء وابتلاء، وكل عسر إلا ويعقبه يسر، والتشكي دليل على ضعف الإيمان، وخلاء القلب من الانصياع لقضاء أرحم الراحمين، بل جحود بنعم الله عز وجل التي لا تعد ولا تحصى، وتكذيب بالآلاء التي من الله عز وجل بها على خلقه.

يقول الشاعر:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكُو الرَّحيمَ إلى الذي لا يَرحَمُكْ[2]

وقد قال الإمام علي رضي الله عنه:

أَلا فَاصبِر عَلى الحَدَثِ الجَليـــــــلِ وَداوِ جَواكَ بِالصَبرِ الجَميـــــــلِ

وَلا تَجزَع وَإِن أُعسِرتَ يَومـــــــاً فَقَد أَيسَرَت في الزَمَنِ الطَّويـــــلِ

وَلا تَيأَس فَإِنَّ اليَأسَ كُفـــــــرٌ لَعَلَّ اللَهَ يَغني مِن قَليـــــــــلِ

وَلا تَظُنَنْ بِرَبِّكَ غَيرَ خَيـــــــرٍ فَإِنَّ اللَهَ أَولى بِالجَميـــــــــلِ

وَإِنَّ العُسرَ يَتبَعُهُ يَســـــــــارٌ وَقَولُ اللَهِ أَصدَقُ كُلَّ قيـــــــلِ

فَلَو أَنَّ العُقولَ تَجُرُّ رِزقـــــــاً لَكانَ الرِزقُ عِندَ ذَوي العُقـــــولِ

وَكَم مِن مُؤمِنٍ قَدجاعَ يَومـــــــاً سَيُروى مِن رَحيقٍ سَلسَبيـــــــلِ[3]

[1] سورة الأنعام، الآيتان: 17، 18.

[2] أزهري أحمد محمود، ترياق الأحزان وراحة الأبدان: الصبر، دار ابن خزيمة، د.ط، د.ت، ص 17.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 568.

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الصَّبَرْ لله، وْ مَا خَابْ مَنْ تْرَجَّاهْ**. فمن كان صبره لله خالصا، نال الأجر، وظفر بالثواب، وكان من جملة من بشراهم صلوات من ربهم ورحمة، أما أن يتضجر الإنسان من ملمة ألمت به، فكان لسان حاله سخط وعدم رضى، وذكر لمصابه على سبيل التشكي، فذاك ممن لا ينالون بسوء فعالهم سوى إشفاء غليل الحاسدين، وإرواء ظمإ الحاقدين، وهو ممن صدق فيهم المثل الشعبي الجزائري: **الشَّكْوَى لَلْعَبْدْ فْضِيحَه**. (فْضِيحَه: فضيحة). أي أنه سيكون ذكر مصابه من جملة ما يتفكّه به ضعاف الإيمان في مجالسهم، ويستأنسون بذكره في تجمعاتهم، ويتسامرون به في سهراتهم.

يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

يا صاحبي كن صبـــــــــــــــــار اصبر على ما جـــــــــــــــرى لك

ارقد على الشوك عريـــــــــــــان حتى يطلع نهـــــــــــــــارك[1]

والمثل الشعبي الجزائري يقول: **الْهَمّْ إِذَا شْكِيتْ يْطُولْ، وْ إِذَا صْبَرْتْ يْزُولْ**. فعن سفيان بن عيينة قال: سمعت رجلا من أهل الكتاب أسلم، قال: أوحى الله إلى داود: يا داود اصبر على المؤونة (الشدة)، تأتك مني المعونة.[2]

فعلى كلى عاقل أن يتجمل بالصبر ويتخذه لباسا يستر به مصابه؛ فيقيه من اليأس والقنوط؛ ومن يصبر لا بد وأن ينال الخير كل الخير، كيف لا وهو الفائز بمعية الله تعالى؛ فالله معه؛ وما أصابه لم يكن ليخطئه؛ فلا التشكي يدفع البلاء؛ ولا الضجر يرفع الابتلاء؛ وإنماحسن الظن بالله عز وجل؛ فهو الذي يبتلي عباده ليعلم الصابرين؛ وليبلوهم أيهم أحسن ظنا به سبحانه، وأيهم راض عن قضائه مسلّم به. فلا كاشف للضر إلا الله؛ وهو أرحم الراحمين.

وقد أحسن من قال: إن كان الصبر مراً فعاقبته حلوةٌ.[3]

---

[1] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، ص 4.

[2] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 135.

[3] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 414.

وقد أحسن الكريزي إذ أنشد:

صبرت ومن يصبر يجد غب صبـــــــره ألذ وأحلى من جنى النحل في الفـــــــم[1]

فلابد للمصائب أن تزول، وللكربات أن تحول، ولله درّ محمد بن بشير إذ يقول:

إن الأمور إذا انسدّت مسالكـــــها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لاتيأسنّ وإن طالت مطالبـــــــه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا[2]

ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم:

وإذا مسّك الزمان بضـــــــــر عظمت دونه الخطوب وجلّـــــــت

وأتت بعده نوائب أخـــــــرى سئمت نفسك الحياة وملّـــــــت

فاصطبر وانتظر بلوغ الأمـــــاني فالرّزايا إذا توالت تولّـــــــت[3]

وقد أنشد عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي:

صبرا جميلا على ما ناب من حـــدث والصبر ينفع أحيانا إذا صبـــــروا

الصبر أفضل شيء تستعين بـــــه على الزمان إذا ما مسك الضـــــرر[4]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة لا حيلة له.[5]

يقول ابن تيمية رحمة الله عليه: «ويقتضي أن الإنسان إذا ابتلي فعليه أن يصبر ويثبت ولا يتكل حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات، و لابد في جميع ذلك من الصبر، ولهذا كان الصبر واجبا باتفاق المسلمين على أداء الواجبات، وترك المحظورات».[6]

---

[1] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 137.

[2] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج8، ص 43.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 116 وما بعدها.

[4] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 135 وما بعدها.

[5] المرجع نفسه، ص 136.

[6] ابن تيمية (تقي الدين أحمد)، أعمال القلوب أو المقامات والأحوال، تم التحقيق بمعرفة الدار، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1411هـ/1990م، ص 43.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **شَدَّه وَتْزُولْ**. (شَدَّه: العسر). وقريب منه ما تمثّله العرب: كَانَت وقرةً فِي حجرٍ. يضْرب مثلا فِي حسن احْتِمَال الْمُصِيبَة، والوقرة: الهزمة تكون فِي الْحجر، وَمَعْنَاهُ أَن الْمُصِيبَة لم تهدمه وَلم تهده كالهزمة فِي الْحجر لَا تذْهب بقوته، الهزمة: حفرٌ يكون فِي الْحجر وَغَيره.[1]

قال أبو عبيد: وكذلك قولهم: كان جرحا فبرأ.[2]

قال أبو العباس: كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلةٌ قال: سحابة ثم تنقشع.[3]

وأنشد منصور بن محمد الكريزي:

تجري المقادير إن عسرا وإن يســـــــرا المقادير أسباب وأبـــــــــــواب

ما اشتد عسر ولا استمد هذا بـــــــه إلا تفتح من مسروره بـــــــــاب[4]

وقال آخر:

تجري المقادير إن عسرا و إن يســـــرا حاذرت وقعها أو لم تكن حـــــذرا

والعسر يجري عن قدر إلى يســـــــــر والصبر أفضل شيء وافق الظفـــــرا[5]

وكذلك تمثل العرب بقولهم: الغمرات ثمَّ ينجلين.

الغمرات: الشدائد، يَقُول: اصبر فِي الشدائد فَإِنَّهَا ستنجلي وَتذهب وَيبقى حسن أثرك فِي الصَّبْر عَلَيْهَا، وَهُوَ من قَول الراجز:

الغمرات ثمَّ ينجليـــــــــــــــــن عَنَّا ويترلن بآخَريـــــــــــــــن[6]

---

[1] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 145.

[2] ابن سلاّم (أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي)، الأمثال، ص 162.

[3] المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م، ص 33.

[4] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 134.

[5] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 2، ص 1008.

[6] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 80.

وللإمام علي رضي الله عنه:

الصَبرُ مِفتاحُ ما يُرجّـــــــــــــى وَكُلُّ خَيرٍ بِهِ يَكـــــــــــــونُ

فَاصبِر وَإِن طالَتِ اللَيـــــــــالي فَرُبَّما طاوَعَ الحُـــــــــزُونُ

وَرُبما نِيلَ بِاصطِبـــــــــــارٍ ما قيلَ هَيهاتَ ما يَكـــــــــونُ

... بالصبر يرتفع البلاء، وتحل السكينة، ويأتي الفرج، وقد قيل: إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون، فلا يبلغ المرء ما يؤمل إلا بالصبر على ما يكره.[1]

فدوام الحال من المحال، والعسر يعقبه اليسر، ولن يغلب عسر يسرين، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾[2]. فقد أفلح من صبر، وخسر من ضجر.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **كُلْ قَرْحَه مْقَابْلَتْهَا فَرْحَه**. (كُلْ: كل، قَرْحَه: القرح، مْقَابْلَتْهَا: في مقابلها، فَرْحَه: الفرح).

ويرحم الله إسماعيل بن صلاح الأمير حيث يقول:

لا تضق بالأمر صـــــــــــــدرا واعتمد صبرا وشكرا

إن في القران حرفـــــــــــــا جاء للمكروه بِشْـــــــــــــرا

إن بعد العسر يســـــــــــــرا إن بعد العسر يســـــــــــــرا

إن يسرا مع يســـــــــــــر يطردان العسر قســـــــــــــرا

رب يسر كامن قـــــــــــــد ظنه الإنسان ضـــــــــــــرا

إن في تدبير أمر العـــــــــــــ ـــالم الكل يســـــــــــــرا

حكمة دقت وجلـــــــــــــت عند رب العرش قـــــــــــــدرا

إنه لابد يحلـــــــــــــو ما تجرّعناه مـــــــــــــرا

[1] انظر، حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 568 وما بعدها.

[2] سورة الشرح، الآيتان: 5و6.

وإذا الشـــــــــــــــدة زادت وتناهت فهي بشـــــــــــــــرا[1]

وجاء في شعر جميل صدقي الزهاوي:

تمسك بحبل الصبر في كل كربـــــة فلا عسر إلا سوف يعقبه يســـــــر[2]

ولله درّ الشيخ عبد الرحمان المجذوب إذ قال:

لا تخمّم لا تدبّـــــــــــــــــــــر لا ترفد الهمّ ديمـــــــــــــــــــه

الفلك ما هو مسمّـــــــــــــــــر ولا الدّنيا مقيمـــــــــــــــــــه[3]

حقيق بالصابر أن يظفر بالأجر ويحصل على الثواب عاجلا أم آجلا، وذاك مصداق للمثل الشعبي الجزائري: **اللّي صْبَرْ وَ اسْتَنَّى، يْنَالْ مَا يَتْمَنَّى.** (اسْتَنَّى: انتظر وتريّث)، وكذا تمثّل الجزائريين بقولهم: **الصَّابَرْ يْنَالْ.**

من صبر نال الأجر، وبلغ مناه، متى ما كتب الله له ذلك، فلا العجلة تحقق المأمول، ولا الضجر يبلّغ المرجو، وإنما التوفيق من الله عزّ وجلّ.

وقد تمثلت العرب بقولها: ثَمَرَةُ الصَّبْرِ نُجْحُ الظَّفَرِ. يضرب في الترغيب في الصبر على ما يكره.[4]

أنشد أبو علي الموصلي:

إني رأيت وفي الأيام تجربـــــــــــــة للصبر عاقبة محمودة الأثـــــــــــــر

وقل من جد في شيء يحاولـــــــــــه فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفـــــــر[5]

---

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 571.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 571.

[3] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، ص 4.

[4] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 154.

[5] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 136.

فالصبر بشير بالظفر والنجاح، وكذا حصول المرغوب وتحصيل المطلوب. يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

نرقد على الشوك عريـــــــــــــان ونضحك للي جفانـــــــــــــي

نصبر لتعوس الأيـــــــــــــام حتى يأتي زمانـــــــــــــي[1]

وأنشد محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي:

كم من أمر قد تضايقت بـــــــــه فأتاني الله منـــــــه بالفـــــــرج

ولعبد مؤيس قربـــــــــــــه قدر الله ، فعاد بالنهـــــــــــــج

قلة الحمد على ذي سرمـــــــــدا ما أضاء الصبح يوما ويلـــــــــج

وكذلك الله رب قـــــــــــادر يصلح الأمر الذي فيه عـــــــوج

وله الحمد على آلائـــــــــــه يستديم اليسر منه والفلـــــــــج[2]

وأنى للصابر أن يخيب، وقد وعده ربه بالمغفرة والثواب، بل كان بمعيته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)﴾[4].

وقد علق ابن القيم الجوزية على ما تقدم فيما معناه: «الصبر لله غناء: بترك حظوظ ومرادها لمراد الله؛ وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه.

الصبر بالله بقاء: إذا استعان العبد بربه هان عليه كل شيء؛ وتحمل الأثقال، فلا يجد مرارة الصبر.

[1] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، ص 4.

[2] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 132 وما بعدها.

[3] سورة البقرة، الآية: 153.

[4] سورة الأنفال، الآية: 46.

الصبر في الله بلاء: البلاء فوق العناء، والصبر فيه فوق الصبر، فإن الصبر بمنزلة الجهاد، فإن الرجل قد يجاهد ويصبر لله مرة فيقع عليه اسم من فعل ذلك لله ولا يقع عليه اسم من فعل ذلك في الله، وإنما يقع على من انغمس في الجهاد والصبر.

الصبر مع الله وفاء: الصبر مع الله هو الثبات على أحكامه؛ فلا يزيغ القلب عن الإنابة؛ ولا الجوارح عن الطاعة، فتعطى المعية حقها من التوفية، كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37)﴾[1]، أي: وفى ما أمر به بصبره مع الله على أوامره.

الصبر عن الله جفاء: فلا جفاء أعظم ممن صبر عن معبوده وإلهه و مولاه؛ الذي لا مولى له سواه: ولا حياة له إلا بمحبته والقرب منه وإيثار مرضاته على كل شيء».[2]

فوالله لو لم يكن غير هذه من فضائل الصبر لكفى. وهذا ما يتمثله الجزائريون بقولهم: **الصَّابَرْ جَابَرْ**. (جَابَرْ: مصيب)، وذلك بمعنى أن من حاز فضيلة الصبر، حتما قد يصيب عين الحقيقة التي تتجلى على قلبه، فتنير روحه، حينها تجده راضيا مرضيا بقضاء ربه، فائزا بمرضاته سبحانه وتعالى.

لن يجزع الإنسان الذي أيقن بأن الدنيا دار بلاء وابتلاء، وما خلق الله تعالى الموت والحياة إلا ليبلو الناس أيهم أحسن عملا، وليختبر إيمانهم، ويمحص أفعالهم، لذلك فالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولن يكتمل إيمان امرئ إلا بتحقق الأركان الستة، فكل معرض لذلك الاختبار دون استثناء، ومن هذا يستقي الجزائريون معنى المثل القائل: **مَا كَانْشْ شَجْرَه مَا هَزّْهَاشْ الرِّيحْ**. (مَا كَانْشْ: لا وجود، مَا هَزّْهَاشْ: لم يهزّها).

ومن الأمور التي لا يجب أن يغفل عليها من ابتلي؛ عزاؤه بما حدث لغيره؛ واستصغاره لما حل به؛ فمهما عظم بلاؤه؛ فإنه هين إذا ما قورن ببلاء الأنبياء عليهم صلوات الله؛ خاصة أولي العزم منهم[3]، وكذا الصالحين، فقد تمثل الجزائريون بقولهم: **النّْبِي حْبِيبْ الله؛ وْ رَبِّي بْلَاهْ.**

---

[1] سورة النجم، الآية: 37.

[2] انظر، ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص 43 وما بعدها.

[3] أولوا العزم من الرسل هم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاء الأنبياء الصالحون ثم الأمثل فالأمثل».[1]

فالصبر وصية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ اقتداء بمن سبقوه من الأنبياء و المرسلين عليهم الصلاة والسلام؛ حتى يستطيع الوقوف أمام مكائد المشركين، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)﴾[4]، وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17)﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)﴾[6].

يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «يحتاجُ المؤمنُ إلى تَذَكُّرِ فضائلِ الأوصافِ الحميدة، وينفعُ أيضاً في تثبيتها فيه ذكرُه لأخبارِ وحكاياتِ أهليها فعندَ ذكرِه لأخبارِ الصابرينَ وقِصَصِهم التي مرَّت في الحياةِ تترَسَّخُ صفةُ الصبرِ فيه وتقوى في تَمَكُّنِها منه، حتى يقتديَ بهم ويهتديَ بهديهم، ولقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصصًا للصابرين من أنبيائه والعباد الصالحين، وحملت لنا السيرةُ النبويةُ صبرَ المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو الذي قال في صبرِه وفي تواضُعِه عليه الصلاة والسلام وقد مشى خلفَه الناسُ في زحمةٍ حتى اضطرُّوه إلى شجرةٍ فتعلَّق بها ردائُه وسقطَ، فقال: "أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة (العضاة: هي كل شجر عظيم له شوك) نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوبًا، ولا جبانًا" ثم لم يزالوا به حتى التَفَتَ

[1] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج1، الحديث رقم 994، ص 231.
[2] سورة يونس، الآية: 109.
[3] سورة النحل، الآية: 127.
[4] سورة طه، الآية: 130.
[5] سورة ص، الآية: 17.
[6] سورة الأحقاف، الآية: 35.

وقال: "رحمَ الله أخي موسى لقد أوذي بأكثرَ مِن هذا فصَبر". ولأجل ذلك قالوا: ما عزَّى مُعَزٍّ وسلَّى نفسَه بمثلِ ذِكرِ مَن ابتُلِي بمثلِ مصيبتِه، إذا ذَكرَ المبتَلِينَ بمثلِ ذلك هانَ عليه الأمر وخفَّت عليه الشدةُ ودعاهُ ذلك إلى تَمَكُّنِ الصبرِ منه».[1]

وقال الأزهري: «أخي المسلم: اجعل عزاءك دائمًا ثبات الصالحين.. وخُلُق الصابرين.. يسهل المصاب..ويهون الخطب..وليكن عزاؤك دائمًا – أخي– تلك الوصية التي عزَّى بها رجلٌ رجلاً مصابًا بابنه فقال له: إنما يَسْتَوجبُ على الله وعده من صبر له بحقه، فلا تجمع إلى ما أصبتَ به من المصيبة الفجيعة بالأجر، فإنها أعظم المصيبتين عليك ، وأنكى الرَّزيَّتين لك! والسلام».[2]

ومن أحبه الله تعالى ابتلاه ليعلم صدق إيمانه، وكل ما قدر الله تعالى على عباده، فهو لحكمة أرادها سبحانه، وقد تمثل الجزائريون عن ذلك بقولهم: **الصابر حبيب الله.**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء». روي من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك.[3]

ومن رام تخطي الصعاب، وتحمل المشاق، فعليه بالصبر فإنه له دواء، ومن ذلك ما تمثل به الجزائريون: **الصَّبَرْ دْوَا الَمْحَايَنْ.** (دْوَا: دواء، الَمْحَايَنْ: المحن)، قال الحسن: جرّبنا وجرّب لنا المجرّبون، فلم نر شيئاً أنفع وجداناً ولا أضرّ فقداناً من الصبر: به تداوى الأمور ولا يداوى هو بغيره.[4]

من خلال ما تقدم تبين أن الصبر من القيم الأخلاقية التي يجب على كل إنسان عاقل أن يتحلى بها، ويتزين بحليها، وهو من الأمور التي يتحقق بها الإيمان، وتترسم التقوى في القلوب، فتشع بنور اليقين، فلا وجود لليل اليأس مع طلوع شمس الرضى بالقضاء والقدر خيره وشره، ولا سبيل للأحزان والأشجان إلى بلوغ صرح الروح التي تشبعت من الوحي الرباني.

---

[1] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 20 وما بعدها.

[2] أزهري أحمد محمود، ترياق الأحزان وراحة الأبدان: الصبر، ص 17.

[3] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج4، الحديث رقم 1664، ص225.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج3، ص 172 وما بعدها.

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: الصبر مطيّة لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو.[1]

ومن ذلك قول عمر بن الخطاب في رسالة لأبي موسى الأشعري: عليك بالصبر، واعلم أن الصبر صبران، أحدهما أفضل من الآخر، الصبر في المصيبات حسن، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى، و اعلم أن الصبر ملاك الإيمان، و ذلك أن التقوى أفضل البر، و التقوى بالصبر.[2]

قال الملك لبزرجمهر: ما علامة الظفر بالأمور المستصعبة؟ قال: المحافظة على الصبر، وملازمة الطلب، وكتمان السرّ.[3]

والصبر سلاح المؤمن، فقد قيل: إذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر.[4]

ولله درّ القائل:

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العـــ ـــلا وترقى إلى العلياء غير مزاحـــم

عليك بحسن الصبر في كلّ حالـــــة فما صابر فيما يروم بنـــــــــادم[5]

من فوائد الصبر والمصابرة:

(1) ضبط النّفس عن السّأم والملل، لدى القيام بأعمال تتطلّب الدّأب والمثابرة خلال مدّة مناسبة، قد يراها المستعجل مدّة طويلة.

(2) ضبط النّفس عن العجلة والرّعونة، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادّيّة أو المعنويّة.

(3) ضبط النّفس عن الغضب والطّيش، لدى مثيرات عوامل الغضب في النّفس، ومحرّضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتّزان في القول أو في العمل.

(4) ضبط النّفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النّفس.

(5) ضبط النّفس عن الطّمع لدى مثيرات الطّمع فيها.

---

[1] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 524.

[2] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 2، ص 1007.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج4، ص 322.

[4] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 524.

[5] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 448.

(6) ضبط النّفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

(7) ضبط النّفس لتحمّل المتاعب والمشقّات والآلام الجسديّة والنّفسيّة، كلّما كان في هذا التّحمّل خير عاجل أو آجل.

(8) دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(9) يورث هداية في القلب.

(10) يثمر محبّة الله ومحبّة النّاس.

(11) سبب للتّمكين في الأرض.

(12) الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار.

(13) معيّة الله للصّابرين.

(14) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

(15) مظهر من مظاهر الرّجولة الحقّة وعلامة على حسن الخاتمة.

(16) صلاة الله ورحمته وبركاته على الصّابرين.[1]

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج6، ص 2471 وما بعدها.

1. عقوق الوالدين:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **عَاصِي وَالِدِيهْ: بَابَهْ مَسْدُودَه، وْ دَعَوْتَهْ مَرْدُودَه.** (بَابَهْ: بَابُهُ).

الله الله في الآباء، فكم منهم من زج به إلى دور العجزة، بعدما وهنت قوته وضعف، فتخلى عنه من كان بالأمس يكد من أجل راحتهم، ومنهم من يتمنى موتهما، وهما اللذان كانا يؤملان حياة أبنائهما، ويرجوان العمر المديد لهم...

وأما الطاغي الباغي المتجبر المتكبر، هذا الذي لا يبالي، ينهرهما في الصباح، ويزجرهما في المساء، فليعلم علم اليقين أن كل شيء يُعَوَّض إلا الوالدين... الزوجة تخلفها زوجة، والولد يخلفه الولد، والمال يعوض بالمال، أما إذا ماتت الأم من أين تأتي بأم تحسن صحبتها -وهي الأحق بها حتى من الوالد-، فتظفر بالأجر؟! وإذا مات الوالد من أين لك بوالد تبره، فيأتيك الثواب؟! وما ندم النادمون إلا بعد فوات الأوان، عندما يمر به حديث أو آية، فيعض على أصابعه حسرةً وندماً: آه! يا ليتني بررتهما في حياتهما! هيهات..هيهات! فات الأوان، وما بقي لك إلا أن تصل ودهما من رحمٍ وصاحبٍ، وأن تستغفر لهما، وتتصدق عنهما، عسى الله أن يكفر عنك ما أتيت من جرم عظيم، بل كبيرة من الكبائر.

يقول عمر بن محمد بن حفيظ: «فإنَّ أخلاقَ هذا الإسلامِ العظيم لا تزال أنوارُها تملأ جوانحَ المسلمِ المستقيمِ؛ ولا تزال تنوِّر مجالاتِ حياته بِنُورِ اللهِ العظيم؛ حتى يهدأ له البال؛ ويتَّسعَ في الاستقرارِ له المجال..وإنَّ مما جاء عن الكبيرِ المتعال من هذه الأخلاقِ الفاضلة بر الوالدين وهو أمرٌ عظَّمت الشريعةُ شأنه؛ ورفعَ القرآنُ مكانَه؛ وتولَّى الحقُّ بنفسه بيانَه..وهو أمرٌ تقومُ به الحياة على وجهها الجميل؛ في معرفةِ المعروفِ والجميل؛ بمعنى أنَّ أكثرَ أممِ الكفر التي لم تدخل في الشريعة لا تعرف للوالدين حقًّا إذا كبِرا وإذا ضَعفا؛ وإنَّ الكثيرَ منهم مَن يذهبُ بأبيه أو أمه إلى أماكنِ الدولة ليكونَ مع العجَزَة ومع الذين ترعَى دُوَلُهم بعضَ مصالحهم؛ فيُخرِجُه من بيتِه ويذهبُ به إلى بيتِ الضعَفةِ والعجَزة فيضَعه هناك..حالُهم مع الآباء هكذا؛ وانعكَس ذلك أيضًا على الحالِ مع الأبناء..فكم مِن أولئك الكفار إذا كَبرَ ابنُه..قال: الغرفة التي تسكنُ فيها في بيتي إما أن تدفعَ إيجاراً عليها؛ أو تخرج لأسَكِّنَ غيرَك فيها وأجرَها عليه! هذا الذي يعيشونه اليوم وهذا الحال الذي

يعايشونه اليوم في كثيرٍ من دولهم، بينما تأخذُ بهرجةُ المظاهرِ والزخارفِ عقولَ بعضِ المسلمين فلا يتَصوَّر هذا عن واقعِهم في بلدانهم التي يَصِفُونها بالتقدم مثلا..حقيقةُ التقدم في تعاليم المؤخِّرِ المقدِّم جل جلاله الذي هو أعلمُ بمصالحِ عبادِه وأعلم بما يرفعُ شأنَ خلقِه؛ فجاءت الشريعة بمثلِ هذا على أنَّ كثيرًا من الأمم تحملُهم طبيعتُهم وفِطرتُهم على معرفةِ شيءٍ من حقِّ الوالد أو الوالدة، ولكن بالاتصال بالإيمانِ وشرعِ الله تعظمُ المنـــزلة وتأخذ مجالاً غيرَ مجالِها الطبيعي بل مجالٌ مع الفطرةِ مستقيم..بسرٍّ لتعظيمٍ وتكريم..شرعَه الذي خلقَ جل جلاله وتعالت عظمته، وعند ضياعِ حقائقِ الإيمان وحُسنِ التربية يفوتُ هذا الخُلق فتحصل الشكوى من عقوقِ الأبناء والبنات وخروجِهم عن الطاعة؛ وما كل ذلك إلا لأنهم لم يستَقوا شرابَ الإيمان ولم تَحِل في قلوبِهم حقائقُ الإعظام للرحمن جل جلاله، فانعكس على هذا أنهم لم يُعظِّموا الآباء..لأنَّ مَن عظَّم اللهَ عرفَ أنَّ اللهَ العظيمَ أمرَه بتعظيمِ أبيه وتعظيمِ أمه وبالإحسانِ إليهما كما جاءنا في القرآن بقضى أي بحكمٍ من الله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1]؛ ثم نصَّ الحقُّ على مرحلةِ الكِبَر..خصصَ هذه المرحلة بعنايةٍ منه في هذه الآيات؛ وهذا الذي منه المعاناةُ الكثير اليوم في خارج نطاق المسلمين وفي الضائعين من المسلمين مع آبائهم ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[2] لا تنطق بكلمةِ تضجُّر قط، كبير ثقيل..صَعب مشيُه..صعب قيامه..قد يعجز عن القيام؛ يحتاج إلى أن تأخذَ وسخَه من تحته؛ وأن تقدِّم له الطعامَ بنفسك وبيدك..لا تقل أف؛ فقد طالما نظَّفوك من أوساخِك وصفَّوك عن أقذارِك في صِغرك، وربَّوك حتى إذا مرضتَ كأنَّ المرضَ فيهم دونك؛ وإذا سهرتَ طارَ النومُ من عيونهم لأجلك، فقل ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[3]؛ قال تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[4]؛ في حالة ضَعفِهما في حالة عجزِهما إذا قالا أتعبتُك يا ولدي، قلِ القولَ الكريم ..قل يا أبي هذه سعادتي وهذا عزِّي وهذه كرامتي أن أخدُمَك، ويا أمي الجنةُ تحتَ قدمِك وأنا مهما

[1] سورة الإسراء، الآية: 23.

[2] سورة الإسراء، الآية: 23.

[3] سورة الإسراء، الآية: 24.

[4] سور الإسراء، الآية: 23.

تذلَّلتُ لكِ وجعلتُ رأسي تحتَ قدمك فَلِي العزةُ ولي الشرف ولي جنةُ الله تعالى، فلا يسمعونَ منك إلا القولَ الكريم ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[1] فوق ذلك قال ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2] تدعو لهما مع هذه الأخلاقِ كلها معهم أنت لا تكتفي بهذا بل تتوجَّه إلى الله أن يجازيَهم عنك إذ ربَّوك وكبَّروك وقد كنتَ صغيرا».[3]

من ابتغى الفلاح والنجاح، فعليه أن يحقق تلازم العبادة وطاعة الوالدين، وليعلم أن العقوق يكون سببا في جعل الأعمال الصالحة هباء منثورا، يقول عبد الرؤوف الحناوي: «في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى عبادة الله وحده مقرونة بالإحسان إلى الوالدين منها: قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[4] وهذا القرآن دليل على ما بينهما من تلازم وارتباط، إذ لا تكفي العبادة مع العقوق، ولا يغني الإحسان مع الإشراك، لأن من طبيعة العبادة الامتثال والطاعة ولا تتم إلا بهما، والعقوق عصيان واستكبار فهو خارج عن طبيعة العبادة ومعناها. وإلى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا – ونصب أصبعيه – ما لم يعق والديه" رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

هذا الحديث برهان صادق على أنه لابد من حسن الصلة بالله عز وجل وحسن معاملة للوالدين ليتم إيمان المرء ويتقبل عمله».[5]

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 23.

[2] سورة الإسراء، الآية: 24.

[3] انظر، عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص.ص 64.62.

[4] سورة النساء، الآية: 36.

[5] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص 10 وما بعدها.

وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا قسم عليه أبوه وأمه لم يبر قسمهما، وإذا أمره بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئا لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة » رواه مسلم.[2]

وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا». قلنا: بلى يا رسول، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئا فجلس، فقال: «ألا قول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.[3]

يقول الحريملي النجدي: «الذنوب: فيها صغائر وكبائر. فالكبيرة: ما توعّد صاحبها بغضب أو لعنة أو نار.

قوله: (وكان متكئًا فجلس، فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور"). سبب الاهتمام به، سهولة وقوع الناس فيه، وتهاونهم به، والحوامل عليه كثيرة من العداوة والحسد وغير ذلك؛ ولأن مفسدته متعدية إلى الغير.

وأما الشرك فإنه ينبو عنه القلب السليم، والعقوق يصرف عنه الطبع.

وقوله: (حتى قلنا: ليته يسكت) ، أي: شفقة عليه».[4]

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ».[5]

[1] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 62.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 322، ص 119.

[3] المرجع نفسه، الحديث رقم 341، ص 123 وما بعدها.

[4] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 233.

[5] الحسين بن حرب، البر والصلة، ص 51.

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري.[1]

يقول الحريملي النجدي: «(اليمين الغموس) : التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً؛ لأنها تغمس الحالِفَ في الإثم.

الاقتصار على هذه الأربع لكونها أعظم الكبائر إثمًا، وأشدِّها جُرمًا، ومن ذلك السبع الموبقات[2]».[3]

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: « والعقوق: مأخوذ من العق وهو القطع، ومنه سميت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع، لأنها تعق: يعني تقطع رقبتها عند الذبح.

والعقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة...».[4]

عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ، أَنَّهُ سُئِلَ: مَا الْعُقُوقُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى؟ قَالَ: «إِذَا أَمَرَ الْوَالِدُ وَلَدَهُ بِشَيْءٍ فَلَمْ يُطِعْهُ، فَقَدْ عَاقَّهُ، وَإِذَا الْوَالِدُ اشْتَكَى إِلَى اللَّهِ مَا يَلْقَى مِنْ وَلَدِهِ، فَقَدْ عَاقَّهُ الْعُقُوقَ كُلَّهُ».[5]

---

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 342، ص 124.

[2] قال النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وسلم: «اجتنبوا السَّبع الموبقات: الشرك بِاللَّه وَالسحر وَقتل النَّفس الَّتِي حرم الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَأكل مَال الْيَتِيم وَأكل الرِّبَا والتولي يَوْم الزَّحْف وَقذف الْمُحْصنَات الْغَافِلَات الْمُؤْمِنَات» مُتَّفق عَلَيْهِ. (الذهبي، الكبائر، ص 8).

[3] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 233.

[4] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 708 وما بعدها.

[5] الخرائطي (أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري)، مساوئ الأخلاق ومذمومها، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط1، 1413هـ/1993م، ص 119 وما بعدها.

وعَن ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ كَعْبًا عَنِ الْعُقُوقَ: مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ؟ قَالَ: «إِذَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ لَمْ يَبَرَّهُ، وَإِذَا سَأَلَهُ لَمْ يُعْطِهِ، وَإِذَا ائْتَمَنَهُ خَانَ، فَذَلِكَ الْعُقُوقُ».[1]

يقول أحمد عيسى عاشور: «عقوق الوالدين: هو الخروج على طاعتهما، وإهمال حقهما، وفعل ما لا يرضيهما، وإيذاؤهما ولو بكلمة "أف" أو نظرة تحقير لهما، أو تهوين لشأنهما. وقد شدد القرآن في أمر العقوق، فنهى عن التأفف، والضجر، فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[2]، وتوعد من قال ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ﴾[3]».[4]

الوالدان هما الأرض الذليلة، والسماء الظليلة؛ أحق الناس بالصحبة، فضلهما معلوم، وكرمهما بيّن، فالأم حملت ووضعت وأرضعت وسهرت وربت، حجرها مهد، وقلبها رفد، والأب شقي وتعب من غير كلل ولا ملل، إنهما أهل للبر والإحسان بحق، فوالله لو خيّرا بين الولد وموتهما؛ لصاحا بأعلى صوت وقالا جهارا بطلب حياته.

هذا ومن الناس من يعقهما ويسيئ إليهما، فوالله قد خاب من كان ذا فعله وخسر الدارين، وكان في زمرة أشقى الفريقين، قد نال سخط الله بسخط والديه، يقول المثل الشعبي الجزائري : **عَاصِي الْوَالِدِينْ خَاسَرْ الدَّنْيَا وَالدِّينْ.**

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ، أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فَرُّوخٍ.[5]

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 292.

[2] سورة الإسراء، الآية: 23.

[3] سورة الأحقاف، الآية: 17.

[4] أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، ص 33.

[5] البيهقي، شعب الإيمان، ج 10، ص 285.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا ولد زنية[1] ».[2]

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». رَوَاه البخاري.[3]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مَنَّانٌ».[4]

يقول القاضي حسين بن محمد المهدي: «إن بر الوالدين وإكرامهما من العمل الذي يحبه الله تعالى، ويساوي الجهاد في سبيل الله، بل هو عند بعض العلماء أفضل، ويساوي ثواب الحاج والمعتمر، ويوصل إلى نعيم الجنة، ويزيد في العمر والرزق، ويسبب البركة في المال، فمن سره أن يضع الله له النجابة في أبنائه، فليكن بارا بوالديه، ومن أحب الطهارة، والهداية، والتوفيق، فليكن محبا لوالديه، ومن أراد أن يبره أبناؤه، فليبر والديه، فبر الوالدين يعتبر فرصة سانحة لضمان دخول الجنة، فمن ضيعها خاب وخسر، ففي الحديث: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا

---

[1] يقول الألباني رحمة الله تعالى عليه: «وقوله "لا يدخل الجنة ولد زنية"، ليس على ظاهره بل المراد به من تحقق بالزنا حتى صار غالبا عليه، فاستحق بذلك أن يكون منسوبا إليه، فيقال: هو ابن له، كما ينسب المتحققون بالدنيا إليها، فيقال لهم: بنو الدنيا بعلمهم وتحققهم بها، وكما قيل للمسافر ابن السبيل، فمثل ذلك ولد زنية وابن زنية، قيل لمن تحقق بالزنا، حتى صار تحققه منسوبا إليه، وصار الزنا غالبا عليه، فهو المراد بقوله "لا يدخل الجنة" ولم يرد به المولود من الزنا ولم يكن هو من ذوي الزنا، لما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله. وهذا المعنى استفدته من كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله وشرحه لهذا الحديث. والله أعلم». الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج2، ص 280.

[2] الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج2، ص 280.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 275 وما بعدها.

[4] المرجع نفسه، ج10، ص 276.

فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ، وبر الوالدين يزيل الهموم، ويجلب اليسر والسرور، ويضمن النجاة، ويكون سببا السعادة، فقد قرن الله سبحانه رضاه برضاهما، فأدّ حقوقهما تظفر بالسعادة في الدنيا والآخرة».[1]

يقول عبد الرؤوف الحفناوي عن مذلة الإنسان العاق وهوانه: «عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ثم قال: "آمين، آمين، آمين"، قيل: يا رسول الله علام أمنت؟ قال: "أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل آمين. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له، قل: آمين. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قل: آمين. فقلت: آمين".

إرغام الأنف هو إذلال النفس وإهانتها، ومن أرغم الله أنفه فقد أذله وأخزاه ولا ينفعه بعدئذ مال ولا بنون.

لآبائنا علينا حق الطاعة، فمن عصى والديه، فقد أذلهما، ومن نهرهما فقد أهانهما، والجزاء من جنس العمل، الجنة عز وسبيلها البر، والنار ذل وسببها العصيان.

جبريل يدعو على العاق ورسول الله يؤمن على دعوته، فهل من شقي أتعس ممن يدعو عليه سيد الملائكة وسيد البشر؟».[2]

وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْوَلَدِ؟ فَقَالَ: «هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ». ذَكَرَهُ ابْنُ مَاجَهْ.[3]

أما سبّ الوالدين فذلك أدهى وأمرّ، وأشنع منه ضربهما -أعاذنا الله من ذلك-، وكليهما من الكبائر التي توجب غضب الله تعالى وسخطه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيهِ». قالوا: يَا

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 148 وما بعدها.

[2] عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص 112.

[3] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص 314.

رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية: «إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!» ، قِيلَ: يَا رَسُول الله! كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».[1]

يقول الحريملي النجدي: «قوله: (هل يشتم الرجل والديه؟) استفهامُ استبعاد أنْ يصدر ذلك من ذي دين أو عقل، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك يقع بالتسبب في سبِّهما».[2]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح.[3]

جَاء عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قوله: «رَأَيْت لَيْلَة أسرِي بِي أَقْوَامًا فِي النَّار معلقين فِي جُذُوع من نَار، فَقلت: يَا جِبْرِيل من هَؤُلَاءِ؟». قَالَ: الَّذين يشتمون آبَاءَهُم وأمهاتهم فِي الدُّنْيَا.[4]

ولعظم جرم سبّ الوالدين، نجد المثل الشعبي الجزائري: **مَنْ سَبّْ وَالِدِيهْ مَا يَرْبَحْ، مَا يَطْلَعْ عْلِيهْ صْبَحْ.**

وذلك خير دليل على صحة المعتقد بوجوب طاعة الوالدين، وأنه من عاملهما بما لا يستحقانه شرعا، فبشراه الخسارة والدناءة والخساسة، والمعيشة الضنكة في الحياة الدنيا، والخسران المبين يوم الدين.

وتلك بشرى شر، ووعيد لذلك الملعون الذي أساء إلى والديه، وبعضهم يبلغ به لؤمه ودناءته إلى سبّ والديه، بل حتى ضربهما – أعاذنا الله من ذلك –، وأولئك تجد أرواحهم خالية من الفرح، وقلوبهم غلف، لا يكادون يفقهون شيئا، هم كالأنعام، بل أضل سبيلا، فالظلمة هي

---

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 343، ص 124.

[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 234.

[3] الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي)، مكارم الأخلاق، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1409هـ/1989م، الحديث رقم 75، ص 48.

[4] الذهبي، الكبائر، ص 43.

المخيمة على حياتهم، تتملكهم الأحزان والأشجان من حيث لا يدرون، ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون..

وقد تقدم في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أن السب قد لا يكون مباشرا، وإنما سب الرجل والديّ رجل آخر فيسب هذا والديه، ومع ذلك فقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في استهلال كلامه بـــ: "ملعون" و"من أكبر الكبائر"، أما من أقدم على ضرب والديه فهذا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولو صلى وصام وزعم أنه مسلم.

عن أبي حازم عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال: من ضرب أباه فاقتلوه.[1]

وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.[2]

يقول البيهقي: «وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ الْعُقُوقَ سَبٌّ أَوْ شَتْمٌ أَوْ ضَرْبٌ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْعُقُوقُ بِالِاسْتِثْقَالِ لِأَمْرِهِمَا وَنَهْيِهِمَا وَالْعُبُوسِ فِي وُجُوهِهِمَا، وَالتَّبَرُّمِ بِهِمَا مَعَ بَذْلِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ فَهَذَا مِنَ الصَّغَائِرِ، فَإِنْ كَانَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ يُلْجِئُهُمَا إِلَى أَنْ يَنْقَبِضَا عَنْهُ فَلَا يَأْمُرَانِهِ، وَلَا يَنْهَيَانِهِ، وَيَلْحَقُهُمَا مِنْ ذَلِكَ ضَرَرٌ فَهَذَا كَبِيرَةٌ».[3]

يمشي العاق لوالديه وهو يجر أذيال السخط من الله سبحانه، في طريق مظلم محفوف بالعذاب، حياته ملؤها الأحزان والأشجان، تحفه الهموم والغموم من كل جانب، ينادي فلا مجيب، ويستغيث ولا مغيث، لذلك وجب الابتعاد عنه، وعدم مصاحبته، لأن الخير فيمن أطاع الله ورسوله، وأحسن إلى والديه، وبهذا يتمثل الجزائريون: **اللّي مَا رْضىَ وَالِدِيهْ، لَا خِيرْ فِيهْ.**

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين، وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقا، فإنه لن يقبلك وقد عق والديه.[4]

---

[1] الطبراني، مكارم الأخلاق، ص 79.

[2] المرجع نفسه، ص 64.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 454.

[4] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 18 وما بعدها.

والجزائريون يتمثلون بقولهم: **اللّي عْصَى وَالِدِيهْ، لِيَامْ ثْوَرِّيهْ.** (اللّي: الذي، لِيَامْ: الأيام، ثْوَرِّيهْ: تُجَلِّي له الحقيقة).

من عقّ والديه عجل الله له العذاب في الدنيا قبل القيامة، وابتلي بكل أنواع الهموم والغموم، وشقي في حياته، وحرم الخير، ورَغِمَ أنفه، وذل وهان، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم الله أحدا.

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنّ الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات» رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني والحاكم.[1]

ومن الأمور التي تتجلى حقيقتها للعاق، عقوق أبنائه له، وقد شهدت بذلك العديد من القصص الواقعية، وقد صدق من قال: من عقّ والديه عقه ولده.[2]

قال صلى الله عليه وسلم: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه». رواه أحمد و أبو داود والترميذي وابن ماجه، وصححه الألباني.[3]

قال كعب الأحبار رحمه الله: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيد برا وخيرا.[4]

ومما يجب الإشارة إليه، وقد تساهل فيه الكثير من الناس، إغضاب الوالدين وقهرهما، مما يؤدي إلى جرح مشاعرهما، وكسر خاطرهما، فتنزل الدموع من أعين من أوصى الله تعالى بهما خيرا، لتنساب على الخدين، راسمة الحسرة والأسى على ما فرط فيه الأبناء من برهما وطاعتهما، وإنها لعظيمة عند الله تعالى وإن حسبها العاقون هينة، وسيحاسبون على سوء فعالهم، فلهم الخزي والعار، و عليهم الغضب من الله القهار، خسؤوا مثواهم النار، ولبئس القرار.

---

[1] أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، ص 38.

[2] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج2، ص 19.

[3] صلاح الدين محمود السعيد، شرح الكبائر، ص 61.

[4] المرجع نفسه، ص 62.

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر رضي الله عنهما: بكاء الوالدين من العقوق، وأخرجه البخاري أيضا في الأدب عن زياد بن معراق عن طيسلة أنه سمع ابن عمر يقول: بكاء الوالدين من العقوق والكبائر».[1]

وقد يستهين البعض بدعاء الوالدين عليهم، ناسين أو متناسين أنها لا مرد لها، وهي مستجابة يقينا،

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم». (حسن) عن أبي هريرة.[2]

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده ودعوة الصائم ودعوة المسافر». (حسن) عن أنس.[3]

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده». (حسن) عن أبي هريرة.[4]

ولعظم ذلك وخطورته، وجب الاحتياط والتحرز من تلك الدعوات التي لا ريب في استجابتها، والكيس الفطن من ابتغى دعاء الخير من الوالدين، والحرص كل الحرص على التودد إليهما بغية نيل الخيرات، وكسب البركات، وعن ذلك تمثل الجزائريون بقولهم: **الله يَحْفَظْنَا مْنَ الدِّينْ وْ دَعْوَةْ الْوَالِدِينْ**. (الدِّينْ: الدَّيْن).

وقد أوصى الله تعالى بالوالدين إحسانا، ولو أمرا بمحظور فلا يجب طاعتهما، ولكن وجبت مصاحبتهما بالمعروف، هذا بمن كان منهما على الكفر، فما بال من كان مسلما عاصيا، فالمصاحبة له أولى، مع النصيحة له، ومحاولة التودد إليه، بحسن المعاملة، ولين الكلام، عسى الله تعالى أن يهديه إلى سواء السبيل، ويمنّ عليه باتّباع الحق المبين، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا

[1] أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، ص 40.
[2] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج1، الحديث رقم: 3031، ص 582.
[3] المرجع نفسه، ج1، الحديث رقم: 3032، ص 582.
[4] المرجع نفسه، ج1، الحديث رقم: 3033، ص 582.

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾[2].

حتى ولو أن الوالدين كانا داعيان إلى الشرك، وجب عدم طاعتهما، ولكن مع مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما، عسى ذلك يردهما إلى الله تعالى ردّا جميلا، وذلك من رحمة الله بعباده، وغلق أبواب العقوق، وسدّ كل المنافذ المؤدية إليها، والجزائريون يتمثلون عن ذلك : **احْتَرَمْ بُوكْ، وَ لَوْ كَانْ صُعْلُوكْ**. (بُوكْ: أبوك).

فالاحترام يجب أن يكون بنصح الوالدين الضالين، والأخذ بأيديهما إلى برّ الأمان، هذا بالكلام اللين، والمعاملة الحسنة، التي تطيب خواطرهما، مع الدعاء لهما على ظهر الغيب، عسى الله تعالى أن يمنّ عليهما بالهداية والتوفيق.

فمهما كان حال الوالدين يحرم إيذاؤهما، بل عقوقهما من الكبائر، ومدعاة إلى سخط المولى عزّ وجلّ، فعن عبد الله عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رضى الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين» أخرجه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم.[3]

يقول القاضي حسين بن محمد المهدي: «فابتعد أخي عن عقوق الوالدين وعن جميع الكبائر، فأضرار عقوق الوالدين كثيرة وكبيرة، فلا تقع في هذه الجريرة، فهي محرمة كبيرة، توصل إلى الجحيم، وتمنع من قبول العمل، وتقرب الأجل، فعاق الوالدين لا يقبل عمله، وتعجل عقوبته، ومن عق والديه طمس الله بصيرته، ونزع منه الإيمان، وأسخط أهله عليه، فهو في الدنيا حقير فقير، وفي الآخرة بعيد من رحمة الله العلي الكبير، وعاق الوالدين لا يجد شذا الجنّة ولا ريحها, فابتعد من هذا

[1] سورة العنكبوت، الآية: 8.

[2] سورة لقمان، الآيتان: 14و15.

[3] ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الحديث رقم 1456، ص 581.

الذنب الكبير، فإن حق من تولى تربيتك، ورعايتك في صغرك أن تبره، وتحسن إليه، فكان حق والديك أن تبرهما، وتطيعهما، وتدعو لهما، وتحسن إليهما، فكم سعى والداك كي يوفرا لك حاجتك المادية، من طعام، وشراب، وكساء، وحاجات شتى، وكم قاما برعاية أخلاقك، وتثقيف طباعك، وتعليمك وإرشادك، فأنت مدين لهما كل حياتك، فتذكر أن حملك كان في بطن أمك كرها، ووضعك كرها، وأن حملك وإرضاعك من لبن أمك كان ثلاثين شهرا، وتذكر كم أماطا الأذى عن جسدك، وسهرا من أجل راحتك في صحتك ومرضك، واستمع إلى كلام الرحمن في محكم القرآن: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)﴾[1]. فلا تنس أن والديك قد أحسنا تربيتك، وإصلاح شأنك، فكان حقهما أن تبرهما، وتحسن إليها، ولا تعقهما...».[2]

فالعاق لئيم النفس، فاسد الطبع، لا خير فيه ولا منه، فهو أبعد عن الشرف ما بعدت السماء عن الأرض، تجارته كاسدة، وأخلاقه فاسدة، كيف لا وقد خان أقرب الناس إليه وضيع حقوقهما؛ فأف له خاب وخسر، ومنع الخير كله، بل واستؤصل من جذوره.

عَنْ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَا دُعَاءُ الْوَالِدَيْنِ لِلْوَلَدِ؟ قَالَ: «نَجَاةٌ». قَالَ: قُلْتُ: فَعَلَيْهِ؟ قَالَ: «اسْتِئْصَالُهُ».[3]

يقول المثل الشعبي الجزائري بلهجة شديدة، وبصيغة دعاء باللعنة على من عق والديه، مفاده إقرار خروج ذلك اللئيم من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شي: **لَعْنَةْ الله عْلَى مَنْ عْصَى بَابَاهْ وْ يَمَّاهْ**، (بَابَاهْ: أبوه، يَمَّاهْ: أمه)، فاللعنة ملازمة له في الدنيا والآخرة؛ وكفى بالعاق عقابا طرده من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرمانه من جنة عرضها السموات والأرض.

---

[1] سورة لقمان، الآيتان: 14و15.

[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 153.

[3] الحسين بن حرب، البر والصلة، ص 22.

ومن الدّرر السنيّة التي لابد أن يعمل بمقتضاها كل عاقل، موعظة الذهبي القائل فيها: «أَيهَا المضيّع لآكد الْحُقُوق، المعتاض من بر الْوَالِدين العقوق، النَّاسِي لما يجب عَلَيْهِ، الغافل عَمَّا بَين يَدَيْهِ، بر الْوَالِدين عَلَيْك دين، وَأَنت تتعاطاه بِاتِّبَاع الشّين، تطلب الْجنَّة بزعمك وَهِي تَحت أَقْدَام أمك، حَملتك فِي بَطنهَا تِسْعَة أشهر كَأَنَّهَا تسع حجج، وكابدت عِنْد الْوَضع مَا يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لَبَنًا، وأطارت لِأَجلِك وسنا، وغسلت بِيَمِينِهَا عَنْك الْأَذَى، وآثرتك على نَفسهَا بالغذاء، وصيرت حجرها لَك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فَإِن أَصَابَك مرض أَو شكاية أظهرت من الأسف فَوق النِّهَايَة، وأطالت الْحزن والنحيب، وبذلت مَالهَا للطبيب، وَلَو خيرت بَين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بِأَعْلَى صَوتهَا، هذا وكم عاملتها بِسوء الْخلق مرَارًا، فدعَتْ لَك بالتوفيق سراً وجهاراً، فَلَمَّا احْتَاجَت عِنْد الْكبر إِلَيْك، جَعلتهَا من أَهْون الْأَشْيَاء عَلَيْك، فشبعت وَهِي جائعة، وَرويت وَهِي قانعة، وقدمت عَلَيْهَا أهلك وأولادك بِالْإِحْسَان، وقابلت أياديها بِالنِّسْيَانِ، وصعب لديك أمرهَا وَهُوَ يسير، وَطَالَ عَلَيْك عمرها وَهُوَ قصير، هجرتهَا وَمَالهَا سواك نصير، هَذَا ومولاك قد نهاك عَن التأفف وعاتبك فِي حَقّهَا بعتاب لطيف، ستعاقب فِي دنياك بعقوق الْبَنِينَ وَفِي أخراك بالبعد من رب الْعَالمين، يناديك بِلِسَان التوبيخ والتهديد ذَلِك بِمَا قدمت يداك، وَأَن الله لَيْسَ بظلام للعبيد».[1]

من مضار عقوق الوالدين:

(1) العاقّ كافر بنعمة الله- سبحانه وتعالى- وبإحسان والديه.

(2) العقوق يبعد عن رضوان الله.

(3) العقوق كبيرة توجب العقوبة في يوم الجزاء.

(4) العقوق يحدث زعزعة في المجتمع، فمن لا يبرّ والديه لا يبرّه أبناؤه ولا يبرّ جيرانه ومجتمعه.

[1] الذهبي، الكبائر، ص 44.

(5) يبعد المجتمع من دائرة الأمن والأمان.

(6) العاقّ يلقى جزاء عقوقه في الدّنيا كما حدث بين منازل وابنه.

(7) عقوق الوالدين يذهب إشراقة الوجه ويطفىء نوره.

(8) العقوق يحرم العاقّ من أن ينظر الله إليه يوم القيامة.[1]

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج10، ص 5017.

2. الكذب:

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الْكَذَّابْ عَايَشْ فَ الْعْذَابْ**. (عَايَشْ: يعيش، فَ: في).

الكذب رذيلة من الرذائل الذميمة، يدل على النفاق، وينبئ عن مساوئ الأخلاق، ضرره معلوم، وشره عظيم على الأسرة والمجتمع، من تحلى به هلك، ومن سلك مسلكه عثر، فهو منافي للإيمان، ومجافي للإسلام.

إنه عادة من العادات السيئة، وآفة من الآفات المدمرة، ما تفشى في مجتمع إلا وأفقده التماسك والترابط، وغيّب فيه السلامة والأمان، لأنه مفسد صفاء التزكية، ومكدر نقاء التقويم، ورأس الفساد، وعين القبائح، والأرض الخصبة للرذائل.

وصاحب الكذب مهين في الدنيا والآخرة، ووضيع عند الله تعالى، وممقوت عند الناس أجمعين، فقد قيل: الكذاب بين مهانة الدنيا وعذاب الآخرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾[1].[2]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حقيق على الله أن لا يرفع الكاذب درجة، ولا يثبت له حجّة.[3]

وقيل: الكذب عار لازم وذل دائم، وقيل: ما عز ذو كذب ولو أخذ القمر بيده، وما ذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه، قال الشاعر:

لا يكذب المرء إلا من مهانتـــــــــــه أو فعلة السوء أو من قلـــــــــة الأدب

لبعض جيفة كلبٍ خير رائحـــــــــة من كذبة المرء في جد وفي لعـــــــــب[4]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلاً لنتن ما جاء منه.[5]

---

[1] سورة البقرة، الآية: 10.

[2] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة ، ص 446.

[3] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 155.

[4] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 652.

[5] الوشاء، الموشى – الظرف والظرفاء، ص 41.

قَالَ الْأَحْنَفُ لِابْنِهِ: اتَّخِذِ الْكَذِبَ كَنْزًا أَيْ لَا تَكْذِبْ أَبَدًا اكْنُزْهُ، فَلَا يَظْهَرْ مِنْكَ.[1]

قال: رجل من الحكماء: لا تكذبن ولا تشبهن بالكذب.[2]

وقال معاوية يوماً للأحنف – وحدثه حديثاً –: أتكذبُ؟ فقال: والله ما كذبتُ مذ علمت أن الكذب يشين أهلهُ.[3]

قيل: الأذلّاء أربعة: النمام والكذاب والمديون والفقير.[4]

وشر الأربعة المذكورين هو الكذّاب، لأن النمام قد يحذره الناس، فلا يسرّون إليه شيئا، قال بعض المحدثين:

لي حيلةٌ فيمن ينـــــــــــــــــم وليس في الكذاب حيلـــــــــــــــهْ

من كان يكذبُ ما يـــــريـــــــــــ ـــــــــــد فحيلتي فيه قليلـــــــــــهْ[5]

قليلـــــــــــهْ[5]

وقال أبو الحسن (أبو العباس المبرد):

إن النّموم أغطي دونه خبـــــــــــري وليس لي حيلةٌ في مفتري الكـــــــذبِ[6]

والمديون قد يسدد دينه، والفقير قد يغنيه الله تعالى، أما الكذاب فإنه يختلق الأقاويل ويحبكها حتى تذاع وتشاع بين الورى، فلا يمكن أن يؤتمن شرّه إلا بالنأي عنه، والابتعاد عن مجالسته، بل يجب مجانبة الكذب والكذابين، وعدم مصاحبتهم، لأنهم لا تؤتمن عقاربهم، ولله درّ القائل:

إيّاكَ مِن كَذبِ الكَذوبِ وَإِفكِـــــــــهِ فَلَرُبَّما مَزَجَ اليَقينَ بِشَكِّـــــــــــــــهِ

وَلَرُبَّما كَذَبَ امرُؤٌ بِكَلامِـــــــــــهِ وَبِصَمتِهِ وَبُكائِهِ وَبِضِحكِـــــــــــــهِ[7]

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج6، ص 514.

[2] ابن سلاّم، الأمثال، ص 46.

[3] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 157.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 61.

[5] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص 230.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص 230.

[7] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 652.

أما الإمام على بن أبي طالب فهو يحذر من مصاحبة الكاذب فيقول:

وَدَعِ الكَذوبَ فَلا يَكُن لَكَ صـــاحِبـــــاً إِنَّ الكَذوبَ لَبِئسَ خِلاً يُصحَـــــــــــبُ[1]

والْكَذِبُ من شر الصفات، وأخطر الآفات، وعلامة من علامات النفاق، وداع إلى سوء الأخلاق، بل كبيرة مِن الْكَبَائِرِ، يقول ابن قيم الجوزية: «وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ شَهَادَةَ الزُّورِ مِنْ الْكَبَائِرِ، وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي الْكَذِبِ فِي غَيْرِ الشَّهَادَةِ: هَلْ هُوَ مِنْ الصَّغَائِرِ أَوْ مِنْ الْكَبَائِرِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَكَاهُمَا أَبُو الْحُسَيْنِ فِي تَمَامِهِ، وَاحْتَجَّ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ الْكَبَائِرِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ صِفَاتِ شَرِّ الْبَرِّيَّةِ، وَهُمْ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَلَمْ يَصِفْ بِهِ إلَّا كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا، وَجَعَلَهُ عَلَمَ أَهْلِ النَّارِ وَشِعَارَهُمْ وَجَعَلَ الصِّدْقَ عَلَمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشِعَارَهُمْ.

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مَرْفُوعًا: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اُؤْتُمِنَ خَانَ".

وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضُ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكَذْبَةَ فَمَا تَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً".

وَقَالَ مَرْوَانُ الطَّاطَرِيُّ: ثنا مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ثنا أَيُّوبُ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "مَا كَانَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْكَذِبِ، وَمَا جَرَّبَ عَلَى أَحَدٍ كَذِبًا فَرَجَعَ إلَيْهِ مَا كَانَ حَتَّى يَعْرِفَ مِنْهُ تَوْبَةً" حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيق ابْنِ وَهْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَرَوَى عَبْدُ

[1] المرجع السابق، ج1، ص 652.

الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي شَيْبَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبْطَلَ شَهَادَةَ رَجُلٍ فِي كَذْبَةٍ كَذَبَهَا. وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهِ أَحْمَدُ فِي إحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ.

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ: سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "إيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبُ الْإِيمَانَ" يُرْوَى مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا؛ وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "المسلم يُطْبَعُ عَلَى كُلِّ طَبِيعَةٍ غَيْرَ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ"، وَيُرْوَى مَرْفُوعًا أَيْضًا».[1]

والكذب كما قال الغزالي: «رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة أو طبيعة قاهرة».[2]

ويقول عمر بن محمد بن حفيظ: «ألا إنَّ لصدقِ القول والصدق في الحديث وتجنبِ الإنسانِ للكذب في أحواله أثراً كبيراً في تطهيرِ قلبِه وتنويرِ ضميرِه واستقامةِ حالِه، فعلى المؤمنِ أن يبذلَ همَّته في مراعاةِ كلامِه، وأن لا ينطق إلا بالواقع وأن يتباعدَ عن الكذب تباعدًا، فلقد سُئل نبيُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل يكذبُ المؤمن قال: "لا" وتلا قولَ الله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[3]، ولذلك جاء في سيرةِ الصحابةِ أنهم كانوا لا يتَّهمون بالكذب إلا منافقًا.

أما المؤمن فلا يجوِّزون عليه الكذب بل يستبعدونه كل الاستبعاد .."كل خصلةٍ يُطبع عليها المؤمن ليس الكذب والخيانة" قد يُطبَع على بعضِ خصالٍ ذميمة فمطلوبٌ أن يعالجَ نفسَه منها، لكن لا تستقر فيه وهو مؤمن طبيعة الكذب ولا الخيانة أبدا، لا يُطبَع على خصلةِ الكذب مؤمن ولا على خصلةِ الخيانة، بل إنما يكون ذلك في المنافقين».[4]

هناك بواعث كثيرة تدفع صاحب النفس الدنيئة إلى الكذب، ومنها:

أولاً: قلة الخوف من الله وعدم مراقبته في كل دقيقة وجليلة.

ثانياً: محاولة تغيير الحقائق وإبدالها سواء لرغبة في الزيادة أو النقصان وسواء للتفاخر أو

---

[1] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص 93.

[2] محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 36.

[3] سورة النحل الآية: 105.

[4] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 39 وما بعدها.

لمكسب دنيوي أو غيره ، مثل من يكذب في ثمن شراء أرض أو سيارة، أو إيهام أهل المخطوبة بمعلومات غير صحيحة وغيرها.

ثالثاً: مسايرة المجالس، ولفت الأنظار بقصص ومعلومات كاذبة.

رابعاً: عدم تحمل المسؤولية، ومحاولة الهرب من الحقائق في الأزمات والمواقف.

خامساً: التعود على الكذب منذ الصغر، وهذا من سوء التربية، فهو منذ نعومة أظفاره يرى والده يكذب وأمه كذلك ، فينشأ في هذا المجتمع.

سادساً: المباهاة بالكذب، وأنه نوع من الذكاء ومن سرعة البديهة وحسن التصرف.[1]

عن ابن مسعود رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدق يهدي البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» متفق عليه[2]

وَقَالَ ابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ: لَا يزَال العَبْد يكذب ويتحرى الْكَذِب حَتَّى ينكت فِي قلبه نُكْتَة سَوْدَاء حَتَّى يسود قلبه فَيكْتب عِنْد الله من الْكَاذِبين.[3]

ومن مرادفات الكذب في اللغة العربية: الأساطير: الأباطيل، وهي الأحاديث التي لا نظام لها.

والافتراء: وهو الاختلاق وصنع الكلام، وافترى الكذب يفتريه: اختلقه. والفرية: الكذبة.

والإفك: الافتئات وقول الباطل على الغير واصطناع الكذب. وأفك الناس: كذب عليهم وحدثهم بالباطل. وأفك الناس عن شيء: صرفهم وقلبهم عنه. والبهتان: الافتراء والباطل الذي يتحير في بطلانه. وبهت الرجل يبهته بهتا وبهتان: قال عليه ما لم يفعله. وبهت الرجل بهتا: قابله بالكذب وكذب وافترى عليه. والخرافة، الحديث المستملح من الكذب حتى جرى على ألسن الناس.

---

[1] عبد الملك القاسم، الكذب، دار القاسم، د.ط، د.ت، ص 13.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 55، ص 41 وما بعدها.

[3] الذهبي، الكبائر، ص 127.

والخوض، هو من الكلام ما خالطه الكذب. والزور: الميل والباطل، وهو شهادة الباطل، وقول الكذب بزخرفة وتمويه. والفشفش: وهو الإفراط في الكذب وانتحاله. والهتر، الشهادات والكلام الذي يكذب بعضه بعضا، والمستهتر الذي كثرت أباطيله.[1]

وفي القرآن الكريم ذكر لفظ الكذب – بصيغه المختلفة – مائتين وثلاث وثمانين مرة، في مائتين وتسع وخمسين آية. كما ذكرت مرادفات الكذب، حيث تكرر ذكر الافتراء – بصيغه المختلفة – في ستين آية، والإفك – بصيغه المختلفة – في ثلاثين آية، والبهتان – بصيغه المختلفة – في ثمان آيات، والزور في أربع آيات.[2]

الكذب على الله باقتراف جريمة الشرك من أشد أنواع الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)﴾[4].

كما أن اختلاق العبادات ونسبتها إلى الله من صور كذب المشركين، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116)﴾[6].

وقد الله طبع على قلوب الكافرين بسبب تكذيبهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39)﴾[7]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1615 وما بعدها.
[2] المرجع نفسه، المجلد 3، ص 1615.
[3] سورة النساء، الآية: 48.
[4] سورة الكهف، الآية: 15.
[5] سورة المائدة، الآية: 103.
[6] سورة النحل، الآية: 116.
[7] سورة الأنعام، الآية: 39.

وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)﴾[1].

وقد بلغت شناعة المشركين اتهامهم لأنبيائهم بالكذب، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184)﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)﴾[3].

والكذب من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)﴾[5].

والكذب مهنة اليهود والنصارى عليهم لعنة الله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)﴾[6]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94)﴾[7].

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 146.

[2] سورة آل عمران ، الآية: 184.

[3] سورة المؤمنون، الآية: 44.

[4] سورة الحشر، الآية: 11.

[5] سورة المنافقون، الآية: 1.

[6] سورة آل عمران، الآية: 61.

[7] سورة آل عمران ، الآية: 94.

تسليط الله الشدائد والمحن على المكذبين في الدنيا ثم إهلاكهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44)﴾[2].[3]

قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ فِي تَفْسِيره: «وَقد ذهب طَائِفَة من الْعلمَاء إِلَى أَن الْكَذِب على الله وعَلى رَسُوله كفر ينْقل عَن الْملَّة وَلَا ريب أَن الْكَذِب على الله وعَلى رَسُوله فِي تَحْلِيل حرَام وَتَحْرِيم حَلَال كفر مَحْض وَإِنَّمَا الشَّأْن فِي الْكَذِب عَلَيْهِ فِيمَا سوى ذَلِك».[4]

والافتراء على الله نوعان، قد بينهما الشيخ العثيمين رحمة الله تعالى عليه في قوله:

«النوع الأول: أن يقول قال الله كذا، وهو يكذب، كاذب على الله، ما قال الله شيئا.

والنوع الثاني: أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يرده الله عز وجل، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية فإن الله تعالى يعفو عنه؛ لأن الله قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[6] وأما إذا تعمد أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، اتباعا لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك، فإنه كاذب على الله عز وجل».[7]

أما عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول الشيخ العثيمين رحمة الله تعالى عليه: «...الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول: قال رسول الله كذا، ولم يقله، لكن كذب عليه وكذلك أيضا إذا فسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير معناه فقد

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 96.

[2] سورة القلم، الآية: 44.

[3] انظر، سعود بن عبد الله الحزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص.ص 1615.1624.

[4] الذهبي، الكبائر، ص 70.

[5] سورة الحج، الآية: 78.

[6] سورة البقرة، الآية: 286.

[7] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج2، ص 614 وما بعدها.

كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، المعنى أن من كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم متعمدا قد تبوأ مقعده من النار وسكن في مقعده من النار والعياذ بالله... وأكثر الناس كذبا على رسول الله هم الرافضة الشيعة، فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحد أكثر منهم كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث رحمهم الله، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر من يكذب على الرسول هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مشاهد ومعروف لمن قرأ كتبهم».[1]

ومن أنواع الكذب أيضا الكذب على الناس ومنه أيضا الكذب في الحديث بين الناس وهذا ما بينه الشيخ العثيمين رحمة الله تعالى عليه في قوله: «الكذب في الحديث بين الناس الجاري بين الناس يقول قلت لفلان كذا وهو لم يقله قال فلان كذا وهو لم يقله جاء فلان وهو لم يأت وهكذا هذا أيضا محرم ومن علامات النفاق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: - وذكر منها - إذا حدث كذب"».[2]

ومن الكذب أيضا اختلاق الرؤى والمنامات بغية تحصيل فضيلة أو كسب مادي أو تخويفا لمن بينه وبينهم عداوة[3] وعقوبة ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يرَهُ، كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بيْن شَعِيرتينِ، ولَنْ يفْعَلَ، ومِنِ اسْتَمَع إِلَى حديثِ قَوْم وهُمْ لهُ كارِهُونَ صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيامَةِ، ومَنْ صوَّر صُورةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أنْ ينفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْس بِنافخٍ» رواه البخاري.[4]

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص 615.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 616.

[3] محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، دار قاسم للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، سنة 1419هـ، ص 24.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1552، ص 379.

يقول الإمام النووي رحمه الله: «"تحلَّم"أيْ: قالَ أنهُ حَلم في نَوْمِهِ ورَأى كَذا وكَذا، وَهُوَ كاذبٌ و"الآنك"بالمدِّ وضمِّ النونِ وتخفيفِ الكاف: وهو الرَّصَاصُ المذابُ».[1]

وعن ابنِ عُمرَ رضي اللَّه عنْهُما قالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ الرجُلُ عيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيا» رواه البخاري. ومعناه: يقولُ: رأيتُ فيما لَمْ يَرَهُ.[2]

و يستقي من ذلك المعنى المثل الشعبي الجزائري القائل: **اللِّي زَادْ فِي مْنَامَهْ، زَادْ فِي عْذَابَهْ.** (اللِّي: الذي، زَادْ: أضاف).

وقد ذكر البيهقي مراتب الكذب في قوله: «وَلِلْكَذِبِ مَرَاتِبُ، فَأَعْلَاهَا فِي الْقُبْحِ وَالتَّحْرِيمِ الْكَذِبُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَذِبُ الْمَرْءِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَعَلَى لِسَانِهِ وَسَائِرِ جَوَارِحِهِ وَكَذِبُهُ عَلَى وَالِدَيْهِ، ثُمَّ كَذِبُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَغْلَظُ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا يَضُرُّ بِهِ أَحَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ وَلَدِهِ، ثُمَّ الْكَذِبُ الْمُوبِقُ بِالْيَمِينِ أَغْلَظُ ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ الْمُتَجَرِّدِ عَنِ الْيَمِينِ، وَيَتْلُو الْكَذِبَ فِي الْكَرَامَةِ الْمَلَقُ، وَالْإِفْرَاطُ فِي مَدْحِ الرَّجُلِ وَأَقْبَحُ ذَلِكَ مَا كَانَ فِي وَجْهِهِ وَيَتْلُوهُ الْخَوْضُ فِيمَا لَا يَعْنِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الْخَائِضِ فِيهِ مِنْهُ نَفْعٌ وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنَ السُّكُوتِ ضَرَرٌ».[3]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الْحَقّْ حَقّْ، وَالْكْذَبْ إِلَّا تَسْفِيهْ.**

وهذا دال على نبذ المجتمع الجزائري لهذا الخلق الذميم، وتسفيه صاحبه، كيف لا وقد فقد مروءته، وغيب عنه الفهم فسلك مسلكا مظلما لا مخرج له، إنه الرجل الكذاب الذي لا يرجى منه سوى التلفيق وتغيير الحقائق بل تدليسها بما يخلقه من أحاديث لا أساس لها من الصحة، وفي المثل العربي: الكَذِبُ دَاءٌ وَالصِّدْقُ شِفَاءٌ. أي داء للمكذوب فإنه يُعَمَىّ عليه أمَرَهُ.[4]

وكان يقال: الصدق قوة، والكذب عجز.[5]

---

[1] المرجع السابق، ص 379.

[2] المرجع نفسه، الحديث رقم 1553، ص 379.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج6، ص 435.

[4] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 166.

[5] الوشاء، الموشى – الظرف والظرفاء، ص 41.

وقيل: ما عزّ ذو كذب، ولو أخذ القمر بيديه، ولا ذلّ ذو صدق، ولو اتّفق العالم عليه.[1]

ومن عرف بالكذب ففي رجولته نظر إذ فقدها بمجرد تفوهه بالكذب، وقد يصدق عليه المثل الشعبي الجزائري: **الكَذْبَ مَا يْزِيدْ فَ الرَّجْلَه.** (فَ: في، الرَّجْلَه: الرّجولة).

لَوْ لَمْ يَتْرُكِ العاقِلُ الكَذِب إلاَّ للمروءة لكانَ حقِيقاً بِذَلِك، فَكَيْفَ وَفِيهِ المَأثَمُ وَالعَارُ؟ قَاله بعضُ الحكماء.[2]

قال بعض الأدباء: لو لم أدع الكذب تأثماً لتركته تكرماً. وقال بعض السلف الصالح: لو لم أدع الكذب تعففاً لتركته تظرفاً. وقال آخر من الأدباء: لو لم أدع الكذب تحوباً لتركته تأدباً. وقال أبو النفيس: لو لم أدع الكذب تورعاً لتركته تصنعاً.[3]

قال الشاعر:

وما شيء إذا فكرت فيـــــــــــــه بأذهب للمروءة والجمـــــــــال

من الكذب الذي لا خير فيـــــــــــه وأبعد بالبهاء من الرجـــــــــال[4]

فالأجدر بكل كذاب أن يكبر أربعا على رجولته، والرجولة ليست تمييزا للجنس، فربما ظن البعض أن المرأة بمنأى عن هذا، وإنما ذكرت الرجولة باعتبار أنها دليل القوة والحكمة والرزانة والرشد وكل ما ينضوي تحت لواء المروءة والأدب وعلو الهمم، ومنه فالمرأة شريكة للرجل في كل الأحكام إلا ما اختصها الشارع به، و هي مطالبة بإتيان محاسن الأخلاق، والترفع عن سفاسفها، حالها حال الرجل في ذلك، فمن ابتلي بهذا الخلق الوضيع، وتحرى طريقه، فبشراه الخسارة في الدنيا والآخرة.

وقالت الحكماء: ليس لكذّاب مروءة.[5]

---

[1] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 155.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 210.

[3] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص 35.

[4] زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، راسم للدعاية والإعلام، د.ط، سنة 1406هـ، ص 366.

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 209.

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الَكْذَبْ مَا يَبْنِي الَخْيَامْ، وْإِذاَ بْنَاهُمْ يَتْهَدّْمُو**. وهذا دليل على أن الكذاب لن ينال من نذالته إلا التسفيه والمقت. وحتى ولو ظن أنه بلغ أمرا بها فسرعان ما يتلاشى بنيانه فيقع عليه، كيف لا وقد شيد كلامه على شفا جرف هار فانهار به.

ومن ابتغى بلوغ مرامه عن طريق الكذب، وتلفيق الترهات، فسيأتي عليه زمان يهدم كل مساعيه، لأن بنيانه لا أساس له، وكل شيء بني على باطل فهو باطل، وذلك قولهم في المثل الشعبي الجزائري: **الْكَذَّابْ يَبْنِي بْلَا سَاسْ**. (سَاسْ: أساس). أي كلامه لا أساس له حتى إذا شارف على تحقيق مبتغاه، انهد بنيانه، وولى بائسا يائسا منكبا على وجهه، خسر الدنيا والآخرة؛ قد حرم التوفيق من الله تعالى، إذ سلك طريقا لا يرضاه الله تعالى، ومن حاد عن سبيل الله عز وجل، فقد ضل ضلالا مبينا، والله لا يهدي الكاذبين، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)﴾.[1]

كتب أعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما يدل على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه، الآثام له عادة والأخبار عنه متضادة، إن قال حقا لم يصدق، وإن أراد خيرا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله، فما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

حسب الكذوب من المـــــــــــــــها نـــــة بعض ما يحكى عليـــــــــــه

فإذا سمعت بكذبـــــــــــــــــــة مـــــن غيره نسبت إليـــــــــــــه[2]

ومنه قولهم:

الصدق منجاة لمن هو صـــــــــــــادق وترى الكذوب بما يقول يوبـــــــــخ[3]

[1] سورة الزمر، الآية: 3.

[2] زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 61.

وقال أفلاطون: كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب، وكفاك ناهيا عنه خوفك إذا كذبت.[1]

فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصدق الكاذب بل يكذب إذا صدق كون من ألف الكذب وعرف به تجد الناس تحقره وتصفه بأشنع الأوصاف وما ذاك إلا لحقارته عليهم وملازمة العار والذل له؛ فقد قيل: الكذب عار لازم وذل دائم.[2]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يصدق لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيا فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في لحظة و طرفة.[3]

فآفة الكذب النسيان؛ وذاك معنى المثل الشعبي الجزائري: **خذ الكذاب بالنسيان**. وتلك حجة على الكذاب فتجده يكثر الكلام ويخلط غثه بسمينه حتى إذا أراد تكراره؛ أو طُلِبَ منه ذلك؛ نسي ما كان قد لفقه واختلقه.

قال نصر بن علي الجهضمي: إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان.[4]

ومنه أيضا المثل الشعبي الجزائري: **حديثك لا تنساه**. وهذا من باب الشك في حديث ساقه إليك أحد كذبه أقرب من صدقه؛ فيكون إشعارا له على تذكر الحديث وحفظ الكلام من آفة النسيان الدالة على الكذب.

فمن نسب إليه النسيان رمي بالكذب، والعرب تتمثل بقولها: هو ينسى ما يقول. قال ثعلب: إنما تقول هذا إذا أردت أن تنسب أخاك إلى الكذب.[5]

وَمن أمثال العرب فِي الْكَذِب: إِذا كنت كذوباً فَكُن ذُكُورا.

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج4، ص 95.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 155.

[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 40.

[4] المرجع نفسه، ص 40.

[5] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 396.

قَالَ الشَّاعِر:

تكذب الكذبة جهـــــــــــــــلا ثمَّ تنساها قَرِيبـــــــــــــــــــا

كن ذُكُورا للّـــــــــــــــــذي تحكى إذا كنت كذوبـــــــــــــا[1]

وممّا أنشده الكريزي:

ومن آفة الكذاب نسيان كذبـــــــــه وتلقاه ذا فقه إذا كان حذقـــــــــا[2]

ومن نسي قوله وحكى غيره فقد أصاب شعبة من الكذب، وذلك قول العرب: بذات فمه يفتضح الكذوب.[3]

ومنه المثل الشعبي الجزائري: **وَصَّلْ الْكَذَّابْ لْبَابْ الدَّارْ**. أي من كذب عليك فلابد أن يفتضح كذبه ويعلم ولو بعد حين، فالتريث مطلوب لأن الكذاب إذا تقادم عليه الزمن نسي كلامه، وأنى له تذكره إذا اختلطت عليه الكذبات، فما عليك إلا أن تصبر حتى يظهر ذلك؛ وكما يقول المثل الشعبي الجزائري: **الْكَذَّابْ طَوَّلَّهْ الَحْبَلْ**.

هذا وإن الكذب يتضاعف جرمه، ويتعاظم إثمه بحسب ما يؤدي إليه، وهو في كل الأحوال ممقوت، وصاحبه منبوذ، كما قال التوحيدي: الكذب شعار خلق ومورد رنق وأدب سيء وعادة فاحشة وقلّ من استرسل إلا ألفه وقلّ من ألفه إلا أتلفه.[4]

ومن أمارات الكذاب كثرة الحلف، وما ذاك إلا دليل على اختلاف الظاهر منه والباطن، أي نفاقه، وهو الذي يعمّي الأشياء بتلفيقاته، سارقا عقول الناس، كما قال الحسن بن سهل: الكذاب شرٌ من اللص؛ لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.[5]

فيتبادر إلى مخيلته أن الناس ليست بمصدقة أقواله، فيستند إلى الحلف عساه يؤثر فيهم فيصدقوه، متناسيا أن فعله ذلك دال على سوء قصده، وحلفه ذلك إنما هو كلام صدق يراد به

---

[1] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 396.

[2] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 40.

[3] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 120.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج2، ص 164.

[5] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة ، ص 446.

باطل،يقول المثل الشعبي الجزائري: **كْثِيرْ الْحَلْفْ كَذَّابْ**. عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ يُقَالُ: «إِنَّ مِنَ النِّفَاقِ اخْتِلَافَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْمَدْخَلِ وَالْمَخْرَجِ، وَأَصْلُ النِّفَاقِ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ النِّفَاقُ: الْكَذِبُ».[1]

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «الْكَذِبُ جِمَاعُ النِّفَاقِ».[2]

وَقَالَ الله تعالى فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، أَيْ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ وَيَحْلِفُونَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى كَذِبِهِمْ.[4]

ولبعضهم:

وكن صادقا في كل شيء تقولـــــــــه ولا تك كذابا فتدعى منافقـــــــــــــا[5]

عَنْ أَبِي سُكَيْنَةَ الْحِمْصِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَدِمَ عُمَرُ الْجَابِيَةَ، فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَقَامِي فِيكُمْ. - فَذَكَرَ مِثْلَهُ - ثُمَّ قَالَ: «يَظْهَرُ الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ، وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ».[6]

ابن المعتز: علامة الكذاب جوده باليمين من غير مستحلفٍ.[7]

ومن تعود الكذب فلن يُصَدَّقَ ولو كان صادقا، وحكي الكسائي عن لسان العرب: إنَّ المرء ليكذب حتى يصدق فما يقبل منه.[8]

وقالوا: من عرف بالكذب لم يجز صدقه.[9]

---

[1] الخرائطي، مساوئ الأخلاق، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

[3] سورة المجادلة، الآية: 14.

[4] البيهقي، شعب الإيمان، ج6، ص 436.

[5] زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 61.

[6] الخرائطي، مساوئ الأخلاق، ص 80.

[7] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة ، ص 447.

[8] ابن سلاّم، الأمثال، ص 48.

[9] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 209.

ولله درّ القائل:

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يـــــــــزل لدى الناس كذابا و إن كان صادقـــا

فإن قال لم تصغ له جلســـــــــــــاؤه و لم يسمعوا منه ولو كان ناطقـــــا[1]

وقال الشاعر:

الكذب عار وخير القول أصدقـــــــــــه والحق ما مسه من باطل زهـــــــــقـــا

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يـــــــــزل لدى الناس كذابا و إن كان صدقـــــا[2]

ولا يجوز من الكذب إلا ما أجازه الشرع، وقد بين ذلك الشيخ النووي رحمه الله بقوله: «إعلم أن الكذب وإن كان أصله محرما فيجوز في بعض الأحوال بشروط...فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب...واستدل العلماء بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا" متفق عليه. زاد مسلم في رواية قالت أم كلثوم: و لم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني؛ الحرب والإصلاح بين الناس، حديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها».[3]

ومثله قول العلامة جمال الدين القاسمي: «إعلم أن الكذب حرام لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره وقد يتعلق به مصلحة فيكون مؤذونا فيه وربما كان واجبا كما إذا كان في الصدق سفك دم امرئ قد اختفى من ظالم فالكذب به واجب وكما إذا كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة المجني عليه أو تعاشر الزوجين إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه يقتصر على حد الضرورة لئلا يتجاوز إلى ما يستغنى عنه».[4]

قال ثوبان رضي الله عنه: الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا.[5]

---

[1] زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، ص 366.

[2] المرجع نفسه، ص 61.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ص 382 وما بعدها.

[4] مجدي فتحي السيد، الكذب والكاذبون، ص 79.

[5] المرجع نفسه، ص 79.

يقول الجاحظ عن الكذب الجائز: «هذا الخلق مكروه ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع إلا به أو اجترار نفع لا غنى عنه و لا يوصل إليه إلا به فإن الكذب عند ذلك ليس بمستقبح وإنما يستقبح الكذب إذا كان عبثا و لنفع يسير لا خطر له لا يقي بقباحة الكذب».[1]

وذكر العلماء أيضا بعض الحالات التي يجب أو يباح فيها الكذب للمصلحة أو الضرورة. ويلحق بحكم الكذب، ما ورد من الفقهاء حول حكم التورية والمعاريض، وهو أن تطلق لفظا له معنى ظاهرا؛ وأنت تريد به معنى آخر ينطبق عليه، وهو ضرب من التغرير والخداع. وقد قال العلماء والفقهاء بعض البأس في التعريض إذا دعت الحاجة إليه لمصلحة شرعية راجحة، ولا طريق للتخلص منها. وإن فعله مع إمكانية تركه فهو مكروه، ما لم يتوصل به إلى ارتكاب محرم، أو دفع حق، أو أخذ باطل، فهو محرم.[2]

نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب. صح ذلك موقوفاً على عمر رضي الله عنه بلفظ: "أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب؟" صححه الألباني. وأرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً، ولكن التعريض أهون.[3]

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: «وَذَلِكَ كَمَا يَقُولُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُلْبِسَ الْوَجْهَ الَّذِي يَقْصِدُهُ عَلَى غَيْرِهِ: الطَّرِيقُ الْآخَرُ أَسْهَلُ هُوَ أَمْ وَعِرٌ؟ وَيَسْأَلُ عَنْ عَدَدِ مَنَازِلِهِ، لِيَكُنْ مَنْ سَمِعَ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، وَهُوَ يُرِيدُ غَيْرَهُ. وَهَكَذَا الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لَمْ يُبَحْ فِيهِ صَرِيحُ الْكَذِبِ، وَلَكِنِ التَّعْرِيضُ، كَالْمَرْأَةِ تَشْكُو أَنَّ زَوْجَهَا يُبْغِضُهَا وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ لَهَا: لَا تَقُولِي ذَلِكَ، فَمَنْ لَهُ غَيْرُكِ؟ وَإِذَا لَمْ يُحِبَّكِ فَمَنْ يُحِبّ؟ وَإِذَا لَمْ يُحْسِنْ إِلَيْكِ فَلِمَنْ يُحْسِنُ إِحْسَانَهُ؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يُوهِمُهَا أَنَّ زَوْجَهَا بِخِلَافِ مَا تَظُنُّهُ، لِيُصْلِحَ بِذَلِكَ بَيْنَهُمَا. وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ يَقُولُ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْأَجْنَبِيَّيْنِ».[4]

---

[1] الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص 32.

[2] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1630.

[3] عبد الملك القاسم، الكذب، ص 11.

[4] البيهقي، الآداب، ص 43.

فالكذب مباح عند الضرورة المحتملة نعني التراخيص المذكورة في حديث أم كلثوم رضي الله عنها، ومنه استقى المثل الشعبي الجزائري معناه إذ يقول: **الكْذَبْ فَ الصَّالْحَه حْلَالْ.**

يقول أبو العتاهية:

الصدق إيمان و ربمـــــــــــــــــــا عند الضرورة ينفع الكـــــــــــذب[1]

الكذب حرام، لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره. ولكن يباح الكذب وقد يجب أحياناً، والضابط فيه: أن كل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب. ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً، وإن كان واجباً كان الكذب واجباً، فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه. وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم أخذها منه، وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يوري.

وملخص ما سبق: فإن الفقهاء قد نصوا على أن الكذب ينقسم على أقسام حكم الشرع الخمسة، والأصل فيه التحريم:

القسم الأول: المحرم: وهو ما لا نفع فيه شرعاً.

القسم الثاني: المكروه: وهو ما كان لجبر خاطر الوالد أو خاطر الزوجة.

القسم الثالث: المندوب: وهو ما كان لإرهاب أعداء الدين في الجهاد، كأن يخبرهم بكثرة عدد المسلمين وعددهم.

القسم الرابع: الواجب: ما كان لتخليص مسلم أو ماله من هلاك.

القسم الخامس: المباح: ما كان للإصلاح بين الناس.

وقد قيل بقبحه مطلقاً، لما ورد في أهله من الذم في كتاب الله العزيز.[2]

وضرر الكذب معلوم يقينا، إلا ما سبق تبيانه فيما أريد به نفعا للغير من غير أذية أحد، ومن تلك المضار:

---

[1] أبو العتاهية، أشعاره و أخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص 485.

[2] عبد الملك القاسم، الكذب، ص 10 وما بعدها.

(1) الْكَذِبُ وَسِيلَةٌ لِدَمَارِ صَاحِبِهِ أُمَمًا وَأَفْرَادًا.

(2) الْكَذِبُ سَرَابٌ يُقَرِّبُ البَعِيدَ وَيُبَعِّدُ القَرِيبَ.

(3) الْكَذَّابُ لِصٌّ يَسْرِقُ الْعَقْلَ كَمَا يَسْرِقُ اللِّصُّ الْمَالَ.

(4) الأُمَمُ الَّتِي كَذَّبَتِ الرُّسُلَ لاَقَتْ مَصِيرَهَا مِنَ الدَّمَارِ وَالْهَلاَكِ.

(5) يُورِثُ فَسَادَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

(6) دَلِيلٌ عَلَى خِسَّةِ النَّفْسِ وَدَنَاءَتِهَا.

(7) احْتِقَارُ النَّاسِ لَهُ وَبُعْدُهُمْ عَنْهُ.

(8) يَمْقُتُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَيَحْتَقِرُهَا.[1]

ومن وجد في نفسه شيئا من الكذب، وجب عليه أن يسعى جاهدا لقطع ذلك الورم الخبيث، الذي ما أتى على قلب إلا أفسده، وتوجب عليه علاجه، بالتوبة النصوح، والدعاء الخالص لله عز وجل بأن يعصمه من شر الكذب والكاذبين، يقول عبد الملك القاسم: «أخي المسلم: إذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك وإلى نفور نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه واستقباحك لكذبه.

ويجب على المسلم تجديد التوبة إلى الله من كل ذنب وخطيئة، وعليه تحري الأسباب التي تعين على ترك الكذب، ومنها:

1. معرفة الكاذب لحرمة الكذب وشدة عقابه، وتذكر ذلك مع كل حديث وفي كل مجلس.

2. تعويد النفس على تحمل المسئولية وقول الحق، حتى وإن كان هناك نقص ظاهري يراه فإن الخير في الصدق.

3. المحافظة على اللسان ومحاسبته.

4. استبدال مجالس الكذب وفضول الكلام بمجالس الذكر وحلق العلماء.

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج11، ص 5430.

5. أن يعلم الكذاب أنه متصف بصفة من صفات المنافقين.

6. أن يستشعر أن الكذب طريق للفجور وأن الصدق يهدي إلى الجنة.

7. تربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة وتعويدهم على الصدق والظهور بمظهر الصادقين أمامهم.

8. أن يعلم الكاذب أن ثقة الناس به تزول، وهذا من خسران الدنيا والآخرة.

9.أن يستشعر عظم الضرر الذي سيلحق بالمسلم من جراء كذبه».[1]

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصلُحُ مِنْهُ جَدٌّ وَلَا هَزْلٌ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾[2]، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَهَلْ تَرَوْنَ فِي الْكَذِبِ مِنْ رُخْصَةٍ.

كَذَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصلُحُ مِنْهُ جَدٌّ وَلَا هَزْلٌ.[3]

والعرب تتمثل بقولها: دَعِ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُكَ فإِنَّهُ يَضُرُّكَ، وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَضُرُّكَ فإِنّه يَنْفَعُكَ. يضرب في الحث على لزوم الصدق حتى يصير عادة.[4]

[1] عبد الملك القاسم، الكذب، ص 23 وما بعدها.

[2] سورة التوبة، الآية: 119.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج6، ص 443.

[4] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 271.

3. الكبر:

يقول المثل الشعبي الجزائري: **المَتْكَبَّرْ كِالرِّيشَه وَسْطْ الرِّيحْ، تَعْيَا فَ السَّمَا وَتْطِيحْ.**

(المَتْكَبَّرْ: المتكبِّر، كِالرِّيشَه: كالريشة، وَسْطْ: وسط، تَعْيَا: تتعب وهنا جاءت بمعنى: مهما بقيت، فَ: في، السَّمَا: السماء، تْطِيحْ: تسقط).

إن معصية الكِبر من الكبائر، التي يتحلى بها الأشرار، ويبتعد عنها الأخيار، إنه خلق يغضب الجبار، ويكون سبباً في دخول النار.

يَقُولُ حَامِد اللَّفَّاف: سَمِعْتُ حَاتِمًا الْأَصَمَّ، يَقُولُ: أَصْلُ الطَّاعَةِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْحُزْنُ، وَالرِّضَا، وَالْحُبُّ، وَأَصْلُ الْمَعْصِيَةِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْكِبْرُ، وَالْحِرْصُ، وَالْحَسَدُ.[1]

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ، وَالْحَاكِمُ بِزِيَادَةٍ فِي أَوَّلِهِ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «إِنَّ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي آمُرُكُمَا بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكُمَا عَنْ اثْنَتَيْنِ أَنْهَاكُمَا عَنْ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى كَانَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْجَحَ مِنْهَا، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَقَصَمَتْهُمَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ».[2]

فمن وضع نفسه فوق الآخرين، ونظر إلى غيره نظرة الازدراء والاحتقار، فقد باء بالخسران المبين، فلا المال ولا السلطة تدفع بصاحبها إلى التكبر، ومن كان حاله كذلك فهو كالريشة خفّ حملها فحملتها الرياح تتقاذفها من كل جانب، لتعلو في السماء علو ذم، لا علو مدح، حتى إذا راحت الرياح، سقطت من العلياء، ومن غرته دنياه، حقيق به أن يعلم أن مآل المال إلى الزوال، والسلطة إلى التخلي، وإلا فأين قارون والنمرود، ومن سار على نهجهما، كل أمام ربه مسؤول،

[1] البيهقي، شعب الإيمان، ج10 ص 498.

[2] شهاب الدين أبو العباس (أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، دار الفكر، ط1، 1407ه/1987م، ص 115.

وقد خاب من حاز في قلبه ذرة من كبر، يقول القاضي حسين بن محمد المهدي: «الكِبر خلق ذميم، وسلوك مشين، يوصل إلى الجحيم، ألا ترى أن في سلوك المتكبرين خراب الدنيا والدين، فهو رذيلة اجتماعية تؤدي إلى الفرقة، وتقضي على المودة، وتقع بين الأفراد والجماعات فتقضي على التعاون والمحبة، والكبرياء لا يقتصر على صرف محبة الناس عن بعضهم البعض، وإنما يجعل الإصلاح الأدبي عسيرا، فالمتكبر يتعامى عن نقائصه وعيوبه، لأنه يضع لنفسه قدراً فوق قدره، ويصم أذنيه عن سماع كل حديث ينفع عدى حديث يختص بمدحه، وينمق في عينه التملق من مادحيه، فهو يأبى أن يسمع النصيحة من غيره، فيكون ذلك حائلاً بينه وبين الاستفادة من علماء عصره، وأهل مصره، أو الاقتباس من فضيلة غيره، فيترل إلى هوة من الجهل والظلام، ولهذا كان من سنة الله في خلقه أن صرف قلوب المتكبرين عن سماع آياته، فقال جل شأنه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)﴾[1]، فالمتكبر ينتظر من الناس أن يتلقوا كل كلمة يقولها بالقبول والتصديق المطلق، وإن أحس منهم شكاً فيما يقول رغى وزبد وأبرق وأرعد، أما لو سمع من يكذِّبه فلا تستبعد أن يصنع ما لا يحمد، ولذلك فإن الكِبر تبغضه الكرام، وينهى عنه الكريم المنان، وقد جاء في شعر فتيان الشاغوري:

الكِبـــــر يبغضه الكرام وكل من يبدي تواضعه يُحَبُ ويُحمـــــــــــدُ

أما أبو تمام فهو يرى بغض المتكبر فريضة واجبة عليه حيث يقول:

إثنان بغضهما عليَّ فريضة متكبر في نفسه وبخيـــــــــــــــلُ

الكبر: هو احتقار المرء غيره و ازدراؤه له. الكِبر خُلق الجبابرة الظالمين، والفسدة الجاحدين من الخلق أجمعين، فالمتكبر من الناس ملوم، وهو بين الخلق مذموم، وفي سلوكه منحوس مشؤوم، يستنكف من قول الحق وينكر ذلك على الخلق، ويجحد قول الحق، ويستكبر عن عبادة الله الواحد

[1] سورة الأعراف، الآية: 146.

الأحد، ويتسبب في غضب الجبار، ويكون سبباً في دخول النار، وقد جاء في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)﴾[1]، وفي الحديث النبوي: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ"».[2]

قال مالك بن دينار: لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة، وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرّم الجنة على المتكبرين، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[3]، فقرن الكبر بالفساد. وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[4].[5]

يقول الحزيمي: «والكبر: التكبر والاستكبار من أمراض القلوب، وكبائر الذنوب، ومما يقدح في عقيدة المسلم وعبادته وسلوكه، ولذلك حكم الله عز وجل على من ارتكبه وتلبس به، بالوعيد الشديد والعذاب الأليم. وقد حرم الإسلام الكبر لأنه دين التوحيد، فلا يجوز للموحد التخلق بصفة من صفات الله، أو صرفها لغيره أبدا. وحرم الكبر أيضا لأن فيه تعاليا على الناس، وبغيا من بعضهم على البعض الآخر، وقطعا لعلاقة الأخوة الإيمانية، وتدميرا لمبدأ المساواة بين الناس. والكبر منشؤه الجهل، فكل متكبر جاهل بأصول العقيدة وأحكام الدين، والجاهل بحقيقة نفسه، والجاهل بحال الدنيا وزوالها وتداولها بين الناس، والغافل عن عواقب الأمور وتبدل الأحوال. والمسلم الموحد لا يليق به ولا يتصور منه إلا التواضع مع إخوانه، والاستصغار لعظمة ربه جل وعلا، والوقوف ذليلا خاشعا أمام جلاله وعظيم كبريائه. ولا يتصور منه مطلقا، أن كان لديه ذرة من الإيمان أن يتلبس بهذا الخلق المذموم، أو يتخلق بما يتبعه من الصفات الأخرى، كالعجب أو الزهو بالنفس، أو الخيلاء والبطر، والتفاخر على الناس.

---

[1] سورة غافر، الآية: 60.

[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 397 وما بعدها.

[3] سورة القصص، الآية: 83.

[4] سورة الأعراف، الآية: 146.

[5] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 223.

والكبر في غالبه مرض نفسي باطني، حيث يشعر المتكبر بالتعاظم بداخل نفسه، ثم تظهر آثار ذلك على شكل تصرفات وسلوكيات معينة تصدر عنه، كالغرور والزهو، والعجب بالنفس، أو الترفع على الناس، وعدم الرغبة في مجالستهم، أو تحقيرهم، أو محبة الثناء والمدح. ولكنه قد يكون أيضا أمرا ظاهريا، فيعبر عنه المتكبر بتصرفات واضحة وظاهرة للعيان، كتصعير الخد، وإسبال في اللباس، والمشي بزهو وخيلاء، وازدراء الغير والسخرية منهم، أو التطاول عليهم بالعدوان والظلم. وبما يعمد المتكبر إلى سلوكه هذا، ليظهر تميزه، أو ليغيظ غيره من الناس، خاصة من يكون بينه وبينهم تنافس أو خصومة أو بغضاء».[1]

يقول فيصل الجوابرة: «الكبر: بكسر الكاف وهي الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة، والتكبر يأتي على وجهين:

أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة زائدة على محاسن الغير، ومن ثَمَّ وصف سبحانه نفسه بالمتكبر.

والثاني: أن يكون متكلفا لذلك، متشبعا بما ليس فيه، وهو وصف عامة الناس نحو قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)﴾[2].

...واعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من خلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين، لا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة».[3]

وفي القرآن الكريم ذكر لفظ الكبر – بصيغه المختلفة – ستون مرة، في تسع وخمسين آية. كما ذكر لفظ الفخر المقترن بالكبر، خمس مرات في خمس آيات.[4]

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1606 وما بعدها.

[2] سورة غافر، الآية: 35.

[3] محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ص 30.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1597.

المتكبر من أسماء الله تعالى؛ والكبرياء من صفاته، ولا تليق هذه الصفة إلا له سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)﴾[2].

وإن أول من استكبر عن أمر الله هو إبليس عليه اللعنة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13)﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)﴾[5].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم.[6]

يقول الحريملي النجدي: «في هذا الحديث: تحريم الكبر، والوعيد الشديد على مرتكبه. وإن الجمال إذا لم يكن على وجه الفخر والخيلاء والمباهاة بل على سبيل إظهار نعمة الله لا يدخل في الكبر».[7]

---

[1] سورة الجاثية، الآية: 37.

[2] سورة الحشر، الآية: 23.

[3] سورة البقرة، الآية: 34.

[4] سورة الأعراف، الآيتان: 12و13.

[5] سورة ص، الآيتان: 74و75.

[6] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 617، ص 194.

[7] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 405.

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جوّاظ مستكبر» متفق عليه.[1]

يقول الحريملي النجدي: «العتل: الغليظ الجافي، والجواظ: الجموع المنوع، والمستكبر: المختال الفخور».[2]

يقول محمد بن عبد الوهاب: «العتل الغليظ الجافي، والجواظ قيل المختال الضخم، وقيل القصير البطين، وبطر الحق: رده إذا أتاك، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم».[3]

ويقول فيصل الجوابرة: «العتل: شديد الخصومة، وقيل الجافي عن الموعظة، وقيل الفظ الشديد من كل شيء وقيل الفاحش الآثم.

الجواظ: الكثير اللحم، المختال في مشيه، وقيل الأكول وقيل الفاجر».[4]

ويقول الذهبي: «العتل: الغليظ الجافي، والجواظ: الجموع المنوع، وَقيل: الضخم المختال فِي مشيته، وَقيل: البطين».[5]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا» متفق عليه.[6]

يقول الحريملي النجدي: «البطر: الفرح مع قلّة القيام بحق النعمة، وصرفها إلى غير وجهها، والبطر والخيلاء، والزهو، والكبر، والتبختر كلها بمعنى واحد، وهي حرام، وأمَّا الطرب فهو خفَّة مع فرح.

والحديث دليل على أَن الإِسبال حرام إِذا كان على وجه الخُيلاء والبطر، وإلا فيكره».[7]

بطر الحق وغمط الناس عصارة شرور الكبر وآفاته، يقول محمد الزهري: «للكبر آفات

---

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 619، ص 195.

[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 405.

[3] محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ص 32.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

[5] الذهبي، الكبائر، ص 78.

[6] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 621، ص 195.

[7] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 406.

عظيمة جمعها النبي صلّى الله عليه وسلّم في كلمتين جامعتين وهي قوله: "الكبر بطر الحق وغمط الناس".

الآفة الأولى: بطر الحق، أي رده.

إن مَن سمع الحق مِن عبد من عباد الله واستنكف عن قبوله وتشمر لجحده، فما ذاك إلا للترفع والتعاظم، واستحقاره غيره، حتى يأبى أن ينقاد له، وذلك سر أخلاق الكافرين والمنافقين.

فكل من يتضح له الحق على لسان أحد، ويأنف من قبوله أو يناظر للغلبة والإفحام، لا ليغتنم الحق إذا ظفر به، فقد شاركهم في هذا الخلق، وكذلك من تحمله الأنفة على عدم قبول الوعظ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾[1].

الآفة الثانية: غمط الناس:

أي ازدراؤهم واستحقارهم، فكل من رأى أنه خير من أخيه، واحتقر أخاه وازدراه، ونظر إليه بعين الاستصغار، فقد تكبر ونازع الله تعالى في حقه».[2]

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.[3]

يقول الحريملي النجدي: «(يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) أيْ: يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ.

قال العاقولي: الباء في (يذهب بنفسه) للتعدية، أي: يرفع نفسه ويعتقدها عظيمة مرتفعة المقدار على الناس، ويجوز أَن تكون للمصاحبة أَي يوافقها على ما تريد من الاستعلاء.

قلت: ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39)﴾[4]».[5]

---

[1] سورة البقرة، الآية: 206.

[2] زاهر بن محمد الزهري، الكبر، دار القاسم، د.ط، د.ت، ص 17 وما بعدها.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 625، ص 195.

[4] سورة النازعات، الآيات: 37-39.

[5] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 407 وما بعدها.

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «الكبر: هو الترفع واعتقاد الإنسان أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلا عليهم، والإعجاب: أن يرى الإنسان عمل نفسه فيعجب به، ويستعظمه، ويستكثره، فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خلق مذموم. والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلق ».[1]

وعن أنواع الكبر يقول زاهر بن محمد الشهري:

«الأول: الكبر على الله تعالى. وهو أفحش أنواع الكبر، لأن الإنسان الضعيف المخلوق من ماءٍ مهين، الذي يصرعه أضعف الحيوانات إذا سلطه الله عليه، لا يليق به ولا يحل له أن يتكبر على من خلقه وأوجده ومنه يستمد بقاءه ويحتاج إليه في كل لحظة وفي كل حركة وسكون.

ومن جهل قدر به فهو من بهيمة الأنعام أو أضل، كما أخبر الله عمن استكبروا عليه وعلى رسله، وكيف يجهل الإنسان قدر إلهه القادر القاهر الذي أبدع العالم على أحسن إحكام وأدق تكوين وله سبحانه في كل جزء من خلقه شاهد واضح الدلالة، وحجة ظاهرة البيان، تدل على أنه هو ذلك الصانع الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]، فمن تكبر على الله فلم يؤمن بذاته وصفاته، أو استكبر عن عبادته فإنه سيرى نتيجة كبريائه ذلاً وصغارًا وعذابًا أليمًا يوم البعث والنشور، فضلاً عما يصيب كثيرًا من المتكبرين عن عبادة الله من الانتقام الدنيوي، كما وقع للنمرود وفرعون وغيرهم من المتكبرين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3]...

فاحذر يا أخي أن تستكبر عن عبادة الله فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية، وكل من استكبر عن عبادة الله لابد أن يعبد غيره فإن الإنسان يتحرك بالإرادة. فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلابد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله. فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب: إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلهًا من دون الله كالشمس

[1] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 887.

[2] سورة الشورى، الآية: 11.

[3] سورة غافر، الآية: 60.

والقمر والكواكب والأوثان وقبور الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أربابًا، أو غير ذلك مما عبد من دون الله.

بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارًا عن عبادة الله كان أعظم إشراكًا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المراد المحبوب الذي هو المقصود: مقصود القلب بالقصد الأول، فيكون مشركًا بما استعبده من ذلك.

الثاني: الكبر على الرسول صلّى الله عليه وسلّم بأن يمتنع من الانقياد له تكبرًا وجهلاً وعنادًا...ومن الاستكبار على النبي صلّى الله عليه وسلّم ما نسمعه ونقرأه من الاستهانة بسنته والزعم أنها قشور لا تناسب العصر، وردها بالعقل.

فعندما تأمر أحدهم بإعفاء لحيته، وعدم إسبال ثوبه، والأكل باليمين وغيرها، يصيح في وجهك قائلاً: الدين ليس في اللحية والثوب والأكل باليمين هذه أمور هينة.. هذه قشور وغيرها من الكلمات التي قد تخرج قائلها من الإسلام...

الثالث: التكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره، ويزدريه، فيأبى على الانقياد له أو يترفع عليه. ويأنف من مساواته، وهذا من شر الرذائل وأسوء الصفات؛ لأن فيه منازعة لله في صفة لا تليق إلا بجلاله...فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية.

والتكبر على العباد لا يليق إلا به تبارك وتعالى، فمن تكبر عليهم فقد جنى عليه، إذ من استذل خواص غلمان الملك منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ قبح من أراد الجلوس على سريره.

ونصيب المتكبر على الناس أن يزدروه ويحتقروه ويمتهنوه ويمقتوه، ويعملوا خلاف ما يفهمون أنه يحبه منهم حتى يَدعوه يغلي من معاملتهم غيظًا وحقدًا، ولو أمكن الناس أن يجعلوا المتكبر دائمًا في غموم وهموم لما تأخروا عن ذلك، فالناس لهم كرامة يفعلون بمن يكرهونه من أجل أنه يحتقرهم ويمتهن كرامتهم، ويرى نفسه فوقهم فهم يدركون أنه لئيم لا يتواضع إلا إذا أهنته، ولا يعرف نفسه إلا إذا احتقرته وعاملته مثل معاملته.

وإنه ينطبق عليه قول الشاعر:

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس بأضرار
كالعود لا تطمع في ريحه إلا إذا أحرق بالنار»[1]

ويقول عمر بن محمد بن حفيظ: «ومَن استقرَّ في قلبِه الكبر لابدَّ أن يظهرَ أثر ذلك في نَحوتِه وترفُّعه وإبائِه وشُطوحه وإعلائه رقبته وعطفها ورفعه رأسه إلى غير ذلك، واستنكافه من أن يجلسَ مع الفقير ومع المسكين، واستنكافه من أن يجلسَ في دونٍ من المجلس أو أن يظهرَ بثوبٍ متوسطٍ مثلا إلى غير ذلك من مظاهر الكِبر الذي قد يكون بوصفٍ من أوصاف الدنيا وقد يكونُ بوصفٍ من أوصافِ الدين..يكون الكبر بوصفٍ من أوصاف الدنيا كغنى مثلا أو سُلطة مثلا أو جاهٍ بين الناس أو خِلقة، والدنيا بما فيها أهونُ عند الله من جناح بعوضة فلا يتكبرُّ بها إلا من سقطَت هيبةُ الحقِّ تعالى من قلبِه..هي أحقر من أن يتكبَّرَ بها فإن تكبرت بشيء منها فمع فرعون وهامان وقارون ما هو أكثرُ منك فهل هم قدوَتك أو هل هم مَثَلُك الذي تحتذيه أو ترضى أنت أن تؤولَ إلى مصيرِهم الذي ذكره بارئك، إذًا فالعزة الحقيقية ليست بهذه الدنيا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ وقد يكون الكبرُ بطاعةٍ أو بعلمٍ أو بشيء من أمور الدين فعلى صاحبِه أن يعلمَ أن كبرَه بذلك يحطُّ منـــزلتَه وأنه يفسدُ عليه دينَه وطاعتَه وعبادتَه ويوقعُه موقفَ الذلة في الدنيا والآخرةِ والعياذ بالله تبارك وتعالى، فلينتبه من التواضع ويقيم ميزانَه ويتوجَّه إلى تحقيقه في حياته ولو بالتكلفِ أوَّلاً حتى يرسخ ذلك في قلبه..فإنَّ من رأى واعتقد نفسَه أنه خيرٌ من أحدٍ من الخلق فقد خرجَ عن التواضعِ ودخلَ في قلبه شيء من الكبر حتى يُعاملَ اللهَ بأن يعتقدَ أنه أذلُّ خلقِه وأفقرُ عبادِه إليه وأنه يخاف بطشَه وانتقامَه، فلأجلِ ذلك لا يصدرُ منه الاستفزاز بشيء من الحوادث التي تحدثُ حواليه ولا يزال يطلب التواضعَ في أفعاله وفي أقواله كذلك، يقتدي بسيد المتواضعين وهو رسول الله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم».[3]

[1] انظر، زاهر بن محمد الشهري، الكبر، ص.ص 17.13.

[2] سورة المنافقون، الآية: 8.

[3] عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق، ص 79 وما بعدها.

وعن التكبر بالعلم والتباهي به يقول الذهبي: «وأشر الْكبر من يتكبر على الْعباد بِعِلْمِهِ، ويتعاظم فِي نَفسه بفضيلته، فَإِن هَذَا لم يَنْفَعهُ علمه، فَإِن من طلب الْعلم للآخرة كَسره علمه وخشع قلبه واستكانت نَفسه، وَكَانَ على نَفسه بالمرصاد، فَلَا يفتر عَنْهَا بل يحاسبها كل وَقت ويتفقدها، فَإِن غفل عَنْهَا جمحت عَن الطَّرِيق الْمُسْتَقيم وأهلكته، وَمن طلب الْعلم للفخر والرياسة، وبطر على الْمُسلمين، وتحامق عَلَيْهِم وازدراهم، فَهَذَا من أكبر الْكبر، وَلَا يدْخل الْجنَّة من كَانَ فِي قلبه مِثْقَال ذرة من كبر، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه الْعلي الْعَظِيم».[1]

يقول شهاب الدين أبو العباس: «الْكِبْرُ إمَّا عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَهُوَ أَفْحَشُ أَنْوَاعِ الْكِبْرِ. كَتَكَبُّرِ فِرْعَوْنَ وَنُمْرُودَ حَيْثُ اسْتَنْكَفَا أَنْ يَكُونَا عَبْدَيْنِ لَهُ تَعَالَى وَادَّعَيَا الرُّبُوبِيَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] أَيْ صَاغِرِينَ. ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾[3] الآية[4].

وَإِمَّا عَلَى رَسُولِهِ بِأَنْ يَمْتَنِعَ مِنْ الِانْقِيَادِ لَهُ تَكَبُّرًا جَهْلًا وَعِنَادًا كَمَا حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ عَنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأُمَمِ.

وَإِمَّا عَلَى الْعِبَادِ بِأَنْ يَسْتَعْظِمَ نَفْسَهُ وَيَحْتَقِرَ غَيْرَهُ وَيَزْدَرِيَهُ فَيَأْبَى عَلَى الِانْقِيَادِ لَهُ أَوْ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ وَيَأْنَفَ مِنْ مُسَاوَاتِهِ، وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ دُونَ الْأَوَّلَيْنِ إلَّا أَنَّهُ عَظِيمٌ إثْمُهُ أَيْضًا لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ إنَّمَا يَلِيقَانِ بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ دُونَ الْعَبْدِ الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ، فَتَكَبُّرُهُ فِيهِ مُنَازَعَةٌ لِلَّهِ فِي صِفَةٍ لَا تَلِيقُ إلَّا بِجَلَالِهِ، فَهُوَ كَعَبْدٍ أَخَذَ تَاجَ مَلِكٍ وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ فَمَا أَعْظَمَ اسْتِحْقَاقَهُ لِلْمَقْتِ وَأَقْرَبَ اسْتِعْجَالَهُ لِلْخِزْيِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ تَعَالَى كَمَا مَرَّ فِي أَحَادِيثَ: إنَّ مَنْ نَازَعَهُ الْعَظَمَةَ وَالْكِبْرِيَاءَ أَهْلَكَهُ، أَيْ لِأَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ تَعَالَى، فَالْمُنَازِعُ فِيهِمَا مُنَازِعٌ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ تَعَالَى؛

---

[1] الذهبي، الكبائر، ص 78.

[2] سورة غافر، الآية: 60.

[3] سورة النساء، الآية: 172.

[4] قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)﴾ (سورة النساء، الآيتان: 172و173).

وَأَيْضًا فَالتَّكَبُّرُ عَلَى عِبَادِهِ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –، فَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ جَنَى عَلَيْهِ إِذْ مَنْ اسْتَذَلَّ خَوَاصَّ غِلْمَانِ الْمَلِكِ مُنَازِعٌ لَهُ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ قُبْحَ مَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَمِنْ لَازِمِ هَذَا الْكِبْرِ بِنَوْعَيْهِ مُخَالَفَةُ أَوَامِرِ الْحَقِّ، لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ –وَمِنْهُ الْمُتَجَادِلُونَ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ بِالْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ– تَأْبَى نَفْسُهُ مِنْ قَبُولِ مَا سَمِعَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ اتَّضَحَ سَبِيلُهُ، بَلْ يَدْعُوهُ كِبْرُهُ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي تَزْيِيفِهِ وَإِظْهَارِ إِبْطَالِهِ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[2]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَفَى بِالرَّجُلِ إِثْمًا إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَقُولَ: عَلَيْك بِنَفْسِك...فَإِذَنْ التَّكَبُّرُ عَلَى الْخَلْقِ يَدْعُو إِلَى التَّكَبُّرِ عَلَى الْخَالِقِ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا تَكَبَّرَ عَلَى آدَمَ وَحَسَدَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[3] جَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى التَّكَبُّرِ عَلَى اللَّهِ لِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ فَهَلَكَ هَلَاكًا مُؤَبَّدًا، وَمِنْ ثَمَّ جعل صلّى الله عليه وسلّم مِنْ عَلَامَةِ الْكِبْرِ بَطَرُ الْحَقِّ أَيْ رَدُّهُ، وَغَمْطُ النَّاسِ: أَيْ احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ؛ ثُمَّ الْحَامِلُ عَلَى التَّكَبُّرِ هُوَ اعْتِقَادُ كَمَالِ تَمَيُّزِهِ عَلَى الْغَيْرِ بِعِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ مَالٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ كَثْرَةِ أَتْبَاعٍ، فَالتَّكَبُّرُ أَسْرَعُ إِلَى الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُمْنَحُوا نُورَ التَّوْفِيقِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِمْ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَرَى غَيْرَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْبَهِيمَةِ فَيُقَصِّرُ فِي حُقُوقِهِ الَّتِي طَلَبَهَا الشَّارِعُ مِنْهُ كَالسَّلَامِ وَالْعِيَادَةِ وَالْبِشْرِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ لَا يُخِلَّ بِشَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ لِمَحَبَّتِهِ التَّرَفُّعَ عَلَيْهِ، وَفَاعِلُ ذَلِكَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ لِأَنَّهُ جَهِلَ مِقْدَارَ نَفْسِهِ وَرَبِّهِ، وَخَطَرَ الْخَاتِمَةِ، وَعَكَسَ الْمَوْضُوعَ، إِذْ مِنْ شَأْنِ الْعِلْمِ أَنْ يُوجِبَ مَزِيدَ الْخَوْفِ وَالتَّوَاضُعِ لِعِظَمِ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَتَقْصِيرِهِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهِ، لَكِنْ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عِلْمَهُ إِمَّا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلِصْ النِّيَّةَ فِيهِ فَخَاضَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَأَنْتَجَ لَهُ تِلْكَ الْقَبَائِحَ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ سِيمَا الصَّالِحِينَ يُسْرِعُ إِلَيْهِمْ الْكِبْرُ، لَكِنَّ النَّاسَ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِمْ بِقَضَاءِ مَآرِبِهِمْ وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِكْرَامِهِمْ

[1] سورة فصلت، الآية: 26.

[2] سورة البقرة، الآية: 206.

[3] سورة الأعراف، الآية: 12.

فَيَرَوْنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ أَرْفَعُ وَأَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ النَّاسُ دُونَهُمْ لِعَدَمِ وُصُولِهِمْ إِلَى صُوَرِ أَعْمَالِهِمْ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِسَلْبِهِمْ.

كَمَا وَقَعَ أَنَّ خَلِيعًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَلَسَ إِلَى عَابِدٍ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فَأَنِفَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ وَطَرَدَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنَّهُ غَفَرَ لِلْخَلِيعِ وَأَحْبَطَ عَمَلَ الْعَابِدِ.

فَالْجَاهِلُ الْعَامِّيُّ إِذَا تَوَاضَعَ وَذُلَّ هَيْبَةً لِلَّهِ وَخَوْفًا مِنْهُ فَقَدْ أَطَاعَ بِقَلْبِهِ فَهُوَ أَطْوَعُ مِنْ الْعَالِمِ الْمُتَكَبِّرِ وَالْعَابِدِ الْمُعْجَبِ.

وَقَدْ يَنْتَهِي الْحُمْقُ وَالْغَبَاوَةُ بِبَعْضِ الْعِبَادِ إِلَى أَنَّهُ إِذَا أُوذِيَ يَتَوَعَّدُ مُؤْذِيَهُ وَيَقُولُ: سَتَرَوْنَ مَا يَحِلُّ بِهِ، وَإِذَا نُكِبَ مُؤْذِيهِ يَعُدُّ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ لِعِظَمِ قَدْرِ نَفْسِهِ عِنْدَهُ وَاسْتِيلَاءِ الْجَهْلِ عَلَيْهِ لِجَمْعِهِ بَيْنَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالِاغْتِرَارِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ قَتَلَ جَمَاعَةٌ الْأَنْبِيَاءَ وَمَاتُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعَاجَلُوا بِعِقَابٍ فِي الدُّنْيَا فَمَا مَرْتَبَةُ هَذَا الْجَاهِلِ؟، وَإِذَا اتَّضَحَ لَك كِبْرُ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا فِي الظَّاهِرِ عَلَيْهِمَا مُعَوَّلُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا اتَّضَحَ لَك كِبْرُ الْبَقِيَّةِ مِنْ ذَوِي الْأَمْوَالِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِهِمْ؛ فَالْمُتَكَبِّرُ بِالنَّسَبِ قَدْ يَرَى مَنْ لَيْسَ كَنَسَبِهِ مِثْلَ عَبْدِهِ، وَكَذَا بِالْجَمَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ النِّسَاءِ وَنَحْوِهِنَّ، وَكَذَا بِالْمَالِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بَيْنَ أَرْبَابِ الدُّنْيَا مِنْ الْمَنَاصِبِ وَالْمَتَاجِرِ وَغَيْرِهَا، وَكَذَا بِالْأَتْبَاعِ وَالْجُنْدِ، وَأَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْمُلُوكِ؛ وَمِمَّا يُهَيِّجُ الْكِبْرَ وَيُسَعِّرُ نَارَهُ الْعُجْبُ وَالْحِقْدُ وَالْحَسَدُ وَالرِّيَاءُ؛ إذْ التَّكَبُّرُ خُلُقٌ بَاطِنِيٌّ لِأَنَّهُ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَرُؤْيَةُ قَدْرِهَا فَوْقَ قَدْرِ الْغَيْرِ، وَمُوجِبُهُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْعُجْبُ، وَحَدُّهُ كَمَا يُعْلَمُ مِمَّا يَأْتِي فِي مَعْنَاهُ: مَنْ أُعْجِبَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِمَّا مَرَّ اسْتَعْظَمَ نَفْسَهُ وَتَكَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَتَجَبَّرَ. وَأَمَّا غَيْرُ الْعُجْبِ مِمَّا ذَكَرْنَا فَإِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ لِلتَّكَبُّرِ الظَّاهِرِ لِأَنَّ بَاعِثَهُ عَلَى التَّكَبُّرِ عَلَيْهِ هُوَ الْحِقْدُ وَالْحَسَدُ وَعَلَى غَيْرِهِ هُوَ الرِّيَاءُ».[1]

[1] انظر، شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص.ص 120.118.

وقد فصل في أنواع الكبر المهلكة أيضا عبد الملك القاسم فذكرها على النحو الآتي:

«أولاً: الكبر على الله عز وجل مثل قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[1] إذ استنكف أن يكون عبدًا لله.

ثانيًا: الكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس، ولذا لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[2]، وقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[3].

ثالثًا: التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره ويزدريهم. ويكون التكبر على العباد بأمور دنيوية منها:

* العلم: وبعض من آتاه الله علمًا دينيًا أو دنيويًا يستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظرة البهائم وأنه ينبغي أن يخدموه، وأن يكرموه وأن يكونوا أذلاء بين يديه...وهو يفرح بكل ذلك مع كثرة جدله وحبه للمراء والمناظرة والغلبة على الخصوم بحق أو باطل.

* العبادة: بأن يرى أن الناس هالكين ويرى نفسه ناجيًا، ولذا يرى أنه أحق بالزيارة والتوسع له في المجلس وذكر زهده وعلمه وورعه.

* التكبر بالحسب والنسب: فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه علمًا وعملاً، وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد، وكان من عادات الجاهلية التفاخر بالأحساب والأنساب.

* التفاخر بالجمال: وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو إلى التنقص والغيبة والاستهزاء.

* الكبر بالمال: وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم ومن التجار في بضائعهم. وتأمل في حال قارون وهو في ماله ثم أين انتهى به الكبر والعياذ بالله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ

[1] سورة النازعات، الآية: 24.

[2] سورة المؤمنون، الآية: 47.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 19.

يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

* الكبر بالقوة: وذلك في أهل القوة الجسمية والعسكرية وذلك بالبطش بالضعفاء وإهانتهم وتعذيبهم.

* التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والعشيرة والأقارب والبنين».[2]

من مرادفات الكبر في اللغة العربية:

التشاوس: رفع الرأس تكبرا أو غيظا، والأشوس، الرافع رأسه تكبرا. التيه: الكبر. الجبروت: وهو الكبر والقهر، والجبار من أسمائه تعالى، والجبار من الخلق كل عات متمرد متسلط. الخيلاء: وهو التكبر مع العجب بالنفس. الزهو: وهو التيه والتعظم والافتخار، ومن أخذته خفة وحمق حتى جاوز حده. الشموخ: التكبر والتعظم وشموخ الأنف. الصلف: التكبر مع ثقل الروح. العتريس: الجبار الغضبان، والعتريسة الغلبة والقهر. العتو: الاستكبار ومجاوزة الحد. العناد: ترك الحق وعدم قبوله بسبب الكبر ومجاوزة القدر. العنجهية: التكبر والعظمة مع الجفاء والغلظة. العلو: التكبر والتجبر والاستعلاء والقهر. الغطرسة: التكبر والعجب بالنفس والتطاول على الأقران، والمتغطرس المتكبر الظالم. النعرة: وهي الكبر والخيلاء والعصبية.[3]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الِاسْمْ عَالِي، وَالْبُرْجْ خَالِي.**

من الناس من يستند إلى المال أو الجاه أو السلطة، بغية أن يزدري غيره ويحقرهم، فتجده متكبرا مختالا، ولكنه في قرارة نفسه وضيعا، كيف لا وهو الذي تجبر وطغى، متناسيا أن ما هو عليه من فضل، إنما هو فضل الله عليه، ليبتليه أيشكر أم يكفر، وما عنده ينفذ وما عند الله باق، لكنه الجهل يفعل بصاحبه ما يرديه به.

[1] سورة القصص، الآية: 79.

[2] عبد الملك القاسم، الكذب، ص.ص 38.36.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1597.

أَنْشَد مُحْرِزُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّازِيُّ:

يَا أَيُّهَا الْمُخْتَالُ فِي عِطْفِهِ هَلْ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي الْقَبْـــــــــــــــرِ

حَتَّى تَرَاهُ وَتَرَى حَالَـــــــــــــهُ ثُمَّ تَرَى رَأْيَكَ فِي الْكِبْـــــــــــــرِ[1]

قَالَ الرَّبِيعُ،: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، يَقُولُ: الْكِبْرُ فِيهِ كُلُّ عَيْبٍ.[2]

وما تكبر أحد إلا من نقص في نفسه، وجهل في عقله، ولو عرف الحق لتواضع، لأن الضعة في التكبر، والرفعة في التكبر.

وفي المثل الشعبي الجزائري: **الْفُوخْ وَالزُّوخْ، وْالَعْشَا يْجِيبْ الله**. (الْفُوخْ: التكبر، الزُّوخْ: الخيلاء، الَعْشَا: العَشَاء أو الأكل ليلا).

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ» أَيْ فَقِيرٌ «مُسْتَكْبِرٌ» رواه مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ.[3]

وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: «أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمْ اللَّهُ: الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ».[4]

وَابْنَا خُزَيْمَةَ وَحِبَّانَ وَصَحَّحَاهُ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ».[5]

وَالْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْإِمَامُ الْكَذَّابُ، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ» أَيْ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ الْمُتَكَبِّرُ.[6]

وَالطَّبَرَانِيُّ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِسْكِينٌ مُتَكَبِّرٌ، وَلَا شَيْخٌ زَانٍ، وَلَا مَنَّانٌ عَلَى اللَّهِ بِعَمَلِهِ».[1]

---

[1] الخرائطي، مساوئ الأخلاق، ص 271.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 494.

[3] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 112.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص 112.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص 112 وما بعدها.

[6] المرجع نفسه، ج1، ص 113.

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: التَّوَاضُعُ حَسَنٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ، وَالْكِبْرُ سَمِجٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْفَقِيرِ أَسْمَجُ.[2]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **مَا يَرْفَعْ رُوحَهْ غِيرْ الدُّخَّانْ.**

يقول البحتري:

دنوت تواضعا وعلوت مجـــــــــــدا فشأناك انحدار وارتفـــــــــــاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامـــــــــى ويدنو الضوء منها والشعـــــــــاع[3]

وقال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر لاح لناظـــــــــر على صفحات الماء و هو رفيـــــع

و لا تك كالدخان يعلو تجـبـــــــــرا على طبقات الجو و هو وضيـــــع[4]

وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة: ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، وكل من تواضع لله رفعه الله.[5]

وفي المثل العربي: أنف فِي السَّمَاء واست فِي المَاء. يضْرب مثلا للمتكبر الصَّغِير الشَّأْن.[6]

أما المثل الشعبي الجزائري: **يَا الَمْزَوَّقْ مَنْ بَرَّا وَاشْ حَالَكْ مَنْ الدَّاخَلْ.** (الَمْزَوَّقْ: الأنيق، بَرَّا: الخارج، وَاشْ: ما "الاستفهامية").

دليل على جهل الإنسان بحقيقته، فتجد البعض متكبرا على غيره، متناسيا أنه ما فعل ذلك إلا لحقارته، والتفاضل بين الناس لا تحكمه المناصب ولا الأشكال، ولا الألوان، وإنما التقوى، والعاقل من حث السير إلى إرضاء الرحمان، ليبلغ الجنان؛ أما الجاهل فيسعى بتكبره إلى الخسران، ليساق يوم القيامة إلى النيران.

---

[1] المرجع نفسه، ج1، ص 113.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص 504.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 105.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 1، ص 409.

[5] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 222.

[6] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 166.

قَالَ الْأَحْنَفُ: عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ يَتَكَبَّرُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَجْرَى الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ.[1]

وقال بعض الحكماء: كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب، وطوي على القذر، وجرى مجرى البول [2]

حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: التَّوَاضُعُ حَسَنٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ، وَالْكِبْرُ سَمِجٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ بِالْفَقِيرِ أَسْمَجُ.[3]

وقال سعد بن أبي وقّاص لابنه: يا بنيّ، إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير. وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرّحم التي منها قذفت، والغذاء الذي به غذيت.[4]

ولله درّ القائل:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة وهو بخمس من الأقذار مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك والعين مرفضة والثغر ملعوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا أقصر فإنك مأكول ومشروب[5]

أما منصور الفقيه فهو يقول في ذم الكبر والعجب:

تتيه وجسمك من نطفة وأنت وعاء لما تعلـــــــــــــــــم

وقال أبو بكر رضي الله عنه: لا يحقرن أحدٌ أحدا من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله كبير.

---

[1] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 117.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 197.

[3] البيهقي، شعب الإيمان، ج10 ص 504.

[4] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 197.

[5] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص233.

وقال محمد بن الحسين بن على رضوان الله عليهم أجمعين: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الأنقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلّ أو كثر. وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: ما تكبر أحد إلا من ذلّة يجدها في نفسه. وقال حكيم رحمه الله: العجب والكبر حمق يغطي به صاحبه عيوب نفسه.[1]

ويتمثل الجزائريون عن الذي حاز اللجاجة، وعرف بالمماراة، فرفع الصوت معجبا بنفسه، ولم ير لغيره منزلة، ولو أمعن النظر، لوجد أن ما نضح من إنائه، إنما هو من فضل عيوبه، وفراغ عقله: **الْبِيدُونْ الْخَاوِي يْقَرْقَبْ**. (الْبِيدُونْ: الدّلو، الْخَاوِي: الفارغ، يْقَرْقَبْ: صوت يحدثه الدلو الفارغ إذا ألقي فيه شيء ما).

جاء في كلام بعض الشعراء:

ملء السنابل تنحني بتواضـــــــــــــع والفارغات رؤسهن شوامـــــــــــخ[2]

إن الذي يبغي على الخلق متكبرا، فذاك السافل بعينه، بعيد عنه الشرف ما بعدت السماء عن الأرض.

أنشد المسيّب بن واضح عن يوسف بن أسباط:

وكفى بملتمس التواضع رفعـــــــــــــة وكفى بملتمس العلو سفـــــــــــالا[3]

عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الْجُمَحِيِّ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ.[4]

فالكبر مذموم في حق الخلق، بل هو داع السخط والغضب من الله جل وعلا؛ إذ له الكبرياء والعظمة سبحانه لا ينازعه في ذلك من أحد؛ فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 403.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص 412.
[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 49.
[4] الخرائطي، مساوئ الأخلاق، ص 263.

الله صلّى الله عليه وسلّم عن رب العزة جل جلاله: «العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته». أخرجه مسلم.[1]

وعن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي و العظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار (وفي رواية: فمن نازعني واحدا منها ألقيته في النار)». أخرجه أبو داود.[2]

يقول القاضي حسين بن محمد المهدي: «إذا كان العجب والغرور من أسباب الكبر فإن العاقل من لا يغتر بجاهه ولا ماله، ولا بحسبه ولا بنسبه، ولا برئاسته ولا بملكه، ولا بقوته ولا بشدة بطشه، ولا بأتباعه ولا بأنصاره، ولا بتلاميذه ولا بغلمانه، ولا بعشيرته ولا بقرابته، ولا بجماله ولا بكماله، ولا بزهده ولا بعبادته، فكيف يغتر العاقل بنعم ليس له في تكوينها يد، وإنما الفضل في ذلك كله لمستحق الكبرياء الواحد الأحد، ومع ذلك فإنه لا يخلو عن رذيلة الكبر، واستمالة قلوب الناس؛ شريف ولا وضيع، إلا من وفقه الله فسلك طريق المتقين، فمن احتقر الناس فهو خبيث الدخلة، رديء النفس، سيء الخلق، ومن تكبر على العباد واستصغرهم وأنف من مساواتهم فقد نازع الله في صفة لا تليق إلا بجلاله، وفي الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته"، أي أنه خاص بالله لا يليق منازعته فيه، وإذا كان الكبر على عباد الله لا يليق إلا بالله، فمن تكبر على عباده فقد نازع الله في حقه».[3]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **مَنْ مْشَى وَتْبَخْتَرْ، فْ عَيْن النَّاسْ يَصْغُرْ**. (فْ: في).

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من تعاظم في نفسه، واختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان» أخرجه الحاكم، ورجاله ثقات.[4]

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ (أَيْ مُمَشِّطٌ رَأْسَهُ) مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

---

[1] حسن أحمد إسبر، الأحاديث القدسية، الحديث رقم 144، ص 117.

[2] المرجع نفسه، الحديث رقم 145، ص 118.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج 1، ص 400.

[4] ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الحديث رقم 1511، ص 597.

وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَالْخُيَلَاءُ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ أَوْ كَسْرِهَا وَبِفَتْحِ الْيَاءِ مَمْدُودًا هُوَ الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ، وَيَتَجَلْجَلُ بِجِيمَيْنِ: أَيْ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ فِيهَا.

وَأَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ مُخْتَالًا فِيهِمَا، أَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَصَحَّ أَيْضًا: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ فَتَبَخْتَرَ وَاخْتَالَ فِيهَا فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[1]

وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».[2]

ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه، فقال له مالك: يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك، فقال: أو ما تعرفني؟ قال: أعرفك معرفة أكيدة أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة، فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه.[3]

وفي رواية أخرى: مر المهلب على مالك بن دينار متبخترًا، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، فانكسر وقال: الآن عرفتني حق المعرفة.[4]

---

[1] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 110.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 113.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 223.

[4] عبد الملك القاسم، من تواضع لله رفعه، ص 34 وما بعدها.

ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال: وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة. ورأى رجل رجلا يختال في مشيه، فقال: جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي.[1]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **قَالْ الطِّيرْ لَلشَّجْرَه: أَصَّبْرِي عْلَى ثَقْلِي، قَالَتْ لِيهْ: مَا نَعْرَفْ وَاشْ مَنْ غْصَنْ رَاكْ فِيهْ؟** (أَصَّبْرِي: اصبري، لِيهْ: له، وَاشْ مَنْ غْصَنْ رَاكْ فِيهْ: بمعنى: لست أدري على أي غصن تحط؟).

ومن كلام لابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال، استعانوا بالكبر ليعظّم صغيرا ويرفع حقيرا، وليس بفاعل.[2]

في المثل الشعبي الجزائري: **ما تخافش من الشبعان إذا جاع، خاف من الجيعان إذا شبع.** (ما تخافش: لا تخف، الشبعان: يقصد به الغني، الجيعان: الجائع ويقصد به الفقير).

قال المأمون: ما تكبّر أحد إلّا لنقص وجده في نفسه، ولا تطاول إلّا لوهن أحسنّ من نفسه.[3]

وقال الأحنف بن قيس: ما تكبر أحد إلا من زلة يجدها في نفسه.[4]

وقيل: لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع.[5]

وقال يحيى بن حيّان: الشريف إذا تقوّى تواضع، والوضيع إذا تقوّى تكبّر.[6]

قال بعض السّلف: ما استنبط الصّواب بمثل المشورة، ولا حصّنت النّعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضة بمثل الكبر.[7]

الكبر فضل حمقٍ، لم يدر صاحبه أين يضعه.[8]

---

[1] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 223.

[2] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 100.

[3] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 321.

[4] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 223.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص 224.

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 197.

[7] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج8، ص 194.

[8] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 444.

وفي المثل العربي: الكِبْرُ قائدُ البُغْضِ.[1]

وفي المثل الشعبي الجزائري: **من طغى يترل، ومن تقيّد ينعزل.** (تقيّد: أصبح قائدا).

لابد من يوم يصير فيه الظالم الباغي ذليلا، ممقوتا من الناس حقيرا، ومن غره المنصب فسيأتي عليه يوم ويعزل عنه، فطوبى له إن كان عادلا، وويل له إن كان ظالما متسلطا، فدوام الحال من المحال، والله منتقم للمظلوم من الظالم.

ومن ارتأى أن العزة في الظلم، فقد ضل سواء السبيل، وعميت بصيرته، ومآله إلى المذلة والنذالة والسفالة.

قيل: الكبر ذلٌ لمن تعزّز به.[2]

وقال الأصمعي المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص.[3]

إعلم أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح، وقبول التأديب، والكبر يكسب المقت، ويمنع من التكلف.[4]

من مضار الكبر:

(1) طريق موصّل إلى غضب الله وسخطه.

(2) دليل سفول النّفس وانحطاطها.

(3) يورث البعد عن الله والبعد عن النّاس.

(4) الشّعور بالعزلة وضيق النّفس وقلقها.

(5) اشمئزاز النّاس منه وتفرّقهم من حوله.

(6) استحقاق العذاب في النّار.

(7) هلاك النّفس وذهاب البركة من العمر.

(8) الكبر من الأسباب الّتي تبعد المتكبّر عن طاعة الله عزّ وجلّ.

---

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 173.

[2] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج7، ص 126.

[3] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج2، ص 743.

[4] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 223.

(9) جزاء المتكبّر الطّرد من رحمة الله.

(10) المتكبّرون يصرفهم الله عزّ وجلّ عن آياته فتعمى بصائرهم ولا يرون الحقّ.

أمّا مضارّ العجب فكثيرة منها:

(11) العجب يؤدّي إلى الكبر وكفى به آفة.

(12) العجب يؤدّي إلى نسيان الذّنوب وإرجاء التّوبة.

(13) العجب يؤدّي إلى التّقليل من الطّاعات والتّقصير فيها.

(14) أكثر سعي المعجب بنفسه المدلّ بها سعي ضائع وغير مشكور.

(15) العجب يؤدّي إلى الغرور والتّعالي على النّاس ممّا يجعلهم يكرهونه.

(16) العجب بالرّأي يؤدّي إلى الإصرار على الخطأ والبعد عن الإفادة من مشورة المخلصين والعلماء النّاصحين.

(17) المعجب بنفسه يلقي بها إلى الهلاك ويحرمها من رضوان الله ومن ثمّ رضا النّاس.[1]

ومما يتعين على كل من ابتغى الفلاح، والبعد عن خلق الكبر الذميم، الذي يقود صاحبه لا محالة إلى الجحيم، أن يتحرى الخلاص منه، ويسلك طريق العلاج الذي يخلصه من شره الذي ما أصاب من أحد إلا وفتك بنفسه، وأهلكه في الدنيا والآخرة، قال شهاب الدين أبو العباس: «يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ إنْسَانٍ أَرَادَ الْخَلَاصَ مِنْ وَرْطَةِ الْكِبْرِ وَثَمَرَتِهِ الْقَبِيحَةِ -إذْ هُوَ مِنْ الْمُهْلِكَاتِ وَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، وَإِزَالَتُهُ فَرْضُ عَيْنٍ وَهِيَ لَا تُمْكِنُ بِمُجَرَّدِ التَّمَنِّي، بَلْ بِالْمُعَالَجَةِ بِاسْتِعْمَالِ أَدْوِيَتِهِ النَّافِعَةِ فِي إزَالَتِهِ مِنْ أَصْلِهِ-، أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ بِأَنْ يَتَأَمَّلَ مَا أَشَارَ إلَى بِدَايَتِهِ مِنْ أَذَلِّ الْأَشْيَاءِ وَأَحْقَرِهَا وَأَقْذَرِهَا -وَهُوَ التُّرَابُ ثُمَّ الْمَنِيُّ-، وَوَسَطِهِ مِنْ التَّأَهُّلِ لِاكْتِسَابِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَحِيَازَةِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَرَاتِبِ، وَنِهَايَتِهِ مِنْ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ وَالْعَوْدِ إلَى مِثْلِ بِدَايَتِهِ ثُمَّ إعَادَتِهِ إلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْأَكْبَرِ ثُمَّ إلَى الْجَنَّةِ أَوْ إلَى النَّارِ، وَمِنْ أَظْهَرِ مَا أَشَارَ لِكُلِّ ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج11، ص 5380.

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)﴾[1] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[2]. وقَوْله تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾[3]. الآيات[4].

فَمَنْ تَأَمَّلَ ذَلِكَ وَنَظَائِرَهُ وَمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَاتُ عَلِمَ أَنَّهُ أَذَلُّ وَأَحْقَرُ مِنْ كُلِّ ذَلِيلٍ وَحَقِيرٍ، وَأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الذِّلَّةُ وَالتَّوَاضُعُ، وَأَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا تَلِيقُ الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ إِلَّا بِهِ تَعَالَى، بِخِلَافِ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ الْفَرَحُ لَحْظَةً وَاحِدَةً، فَكَيْفَ الْبَطَرُ وَالْخُيَلَاءُ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ لَهُ مَبْدَأُ أَمْرِهِ وَوَسَطُهُ، وَلَوْ ظَهَرَ لَهُ آخِرُهُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ رُبَّمَا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً، وَلَوْ كَلْبًا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَوْ رَأَى أَهْلُ الدُّنْيَا صُورَةً مِنْ صُوَرِ أَهْلِ النَّارِ لَصُعِقُوا مِنْ قُبْحِهَا وَمَاتُوا مِنْ نَتْنِهَا، فَمَنْ هَذَا عَاقِبَتُهُ -إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى شَكٍّ فِي الْعَفْوِ- كَيْفَ يَتَكَبَّرُ وَيَرَى نَفْسَهُ شَيْئًا، وَأَيُّ عَبْدٍ لَمْ يُذْنِبْ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ عُقُوبَةَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا ذَكَرْنَاهُ حَقِيقَةَ التَّأَمُّلِ زَالَ عَنْهُ النَّظَرُ إِلَى عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَمَنْصِبِهِ وَجَاهِهِ وَمَالِهِ، وَفَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَوَاضَعَ لَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَحْقَرُ وَأَذَلُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَيْفَ وَهُوَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ شَقِيًّا؟

وَمِمَّا يُظْهِرُ التَّكَبُّرَ الْكَامِلَ فِي النَّفْسِ وَيُعْلِمُ بِهِ مَنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنَّهَا مُتَنَزِّهَةٌ عَنْهُ أَنْ يُنَاظِرَ فِي مَسْأَلَةٍ مَعَ بَعْضِ أَقْرَانِهِ وَيَظْهَرَ الْحَقُّ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ، فَإِنْ اطْمَأَنَّ لِقَبُولِهِ وَأَعْلَنَ بِشُكْرِهِ وَفَضْلِهِ

---

[1] سورة عبس، الآيات: 17-24.

[2] قال الله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)﴾ (سورة عبس: الآيات: 25-42).

[3] سورة الإنسان، الآية: 1.

[4] قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)﴾ (سورة الإنسان: الآيات: 1-3).

وَأَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ كَذَلِكَ مَعَ كُلِّ مُنَاظِرٍ ظَهَرَتْ الْقَرَائِنُ عَلَى بَرَاءَتِهِ مِنْ الْكِبْرِ، وَإِنْ اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ كَامِنٌ فِيهِ فَعَلَيْهِ عِلَاجُهُ بِالتَّفَكُّرِ فِيمَا مَرَّ وَنَحْوِهِ إلَى أَنْ تَنْقَطِعَ عُرُوقُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبِأَنْ يُقَدِّمَ أَقْرَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَجَالِسِ وَنَحْوِهَا لَكِنْ عَلَى وَجْهٍ لَا يُظَنُّ بِهِ فِيهِ أَنَّهُ أَظْهَرَ تَوَاضُعًا، كَأَنْ يَتْرُكَ صَفَّهُمْ وَيَجْلِسَ مُعَبِّسًا كَانَ ذَلِكَ عَيْنَ الْكِبْرِ، وَبِأَنْ يُجِيبَ دَعْوَةَ الْفَقِيرِ وَيُحَادِثَهُ وَيُجَالِسَهُ وَيَمُرَّ فِي الْأَسْوَاقِ لِحَاجَتِهِ وَحَاجَاتِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُنْقَطِعِينَ، وَبِأَنْ يَحْمِلَ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ غَيْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ بَرَاءَةٌ مِنْ الْكِبْرِ كَمَا فِي حَدِيثٍ، وَيَسْتَوِي ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي الْخَلَاءِ وَبِحَضْرَةِ الْمَلَأِ، وَإِلَّا فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ أَوْ مُرَاءٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَعِلَلِهَا الْمُهْلِكَةِ لَهَا إنْ لَمْ يَتَدَارَكْ، وَقَدْ أَهْمَلَ النَّاسُ طِبَّهَا وَاشْتَغَلُوا بِطِبِّ الْأَجْسَادِ مَعَ أَنَّهُ لَا سَلَامَةَ فِي الْآخِرَةِ إلَّا بِسَلَامَتِهَا ﴿إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، أَيْ مِنْ الشِّرْكِ أَوْ مِمَّا سِوَى اللَّهِ».[2]

[1] سورة الشعراء، الآية: 89.

[2] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 120 وما بعدها.

4. الطمع:

يقول المثل الشعبي الجزائري: **الطّمَعْ يْفَسَّدْ الطّبَعْ.**

تتطلع نفوس ضعاف الإيمان إلى ما متّع الله تعالى به بعض عباده، فيتسخطون وقد أبدوا عدم الرضى بما قسم لهم، فلا طعام يشبعهم، ولا ماء يرويهم، ولا لباس يواري سوءاتهم، ولا مسكن يقيهم الحر والبرد، ولا مركب يحملهم، لأنهم يريدون الزيادة على ما يحتاجون إليه، نظرهم إلى من قد بسط الله له في الرزق، متناسين أن القسمة من الله تعالى.

وقد يتأصل هذا الخلق الذميم في النفس، ويتملك زمام الروح، ويتربع على عرش القلب، فيتعسر التخلص منه، ويصعب التخلي عنه، لأنه من تطلع إلى ما عند الغير، أصيب بالهم والغم، واستصغر ما هو عليه من النعم، فتجده حريصا على ما ليس له عليه سلطان في نيله، وقد أجادت العرب في تمثّلها: وربّ طمعٍ يهدي إلى طبعٍ.[1]

ومن تطبّع خُلُق الطمع أهلكه لا محالة، قَالَ أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ: سَمِعْتُ سَرِيًّا، يَقُولُ: لَمْ أَجِدْ فِيمَا بَلَوْنَا شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ طَالِحٍ يَلِي أَمْرَ صَالِحٍ، وَلَمْ أَرَ لِهَذَا الدَّهْرِ دَوَاءً إِلَّا الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَرَ هَلَاكَ أَهْلِهِ إِلَّا فِي الطَّمَعِ.[2]

كما أوصى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم التطلع إلى ما لدى الغير من حطام الدنيا الفانية، قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)﴾[4].

ومن لم ينظر إلى من هو أسفل منه ممن قدر الله تعالى عليهم الرزق، تجده يزدري نعم الله عز وجل التي أسبغها عليه، قال الله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا

---

[1] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 446.

[2] البيهقي، شعب الإيمان، ج12، ص 202

[3] سورة الحجر، الآية: 88.

[4] سورة طه، الآية: 131.

تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)﴾[2]، ولكنه الطمع أعمى بصائر من استحوذ على قلوبهم، فتكالبوا على الماديات، وانغمسوا في الشهوات، وألهتهم الملذات عن هادم اللذات، فتناسوا بأن متاع الدنيا غرور، وخيرها إلى زوال، فلا دوام لها ولا قرار، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)﴾[3].

عن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قَال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّك اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّك النَّاسُ» حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.[4]

يقول الحريملي النجدي: «اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين فإذا عمل بهما أحبه الله وأحبه الناس.

والزهد: هو القناعة بما أعطاك الله، والتعفف عن أموال الناس، وكان عمر يقول على المنبر: إنَّ الطمع فقر وإنَّ اليأس غنى.

وقال أيوب السختياني: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان، العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم. وفي الحديث المرفوع: "حب الدنيا رأس كل خطيئة".

---

[1] سورة إبراهيم، الآية: 34.

[2] سورة النحل، الآية: 18.

[3] سورة الحديد، الآية 20.

[4] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 476، ص 159.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى:

وما هي إلا جيفة مستحيلـــــــــــــة عليها كلاب هَمُّهُن اجتذابهـــــــــــــا

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلهـــــــــا وإن تجتذبها نازعتك كلابهـــــــــــا».[1]

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» رواه مسلم.[2]

قال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «ثم قال صلى الله عليه وسلم: (واتقوا الشح) يعني الطمع في حقوق الغير، اتقوه: أي احذروا منه، واجتنبوه (فإنه أهلك من كان قبلكم) يعني من الأمم (حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) فكان هلاكهم بذلك - والعياذ بالله -».[3]

وقد جاء ذكر لفظ الطمع في كتاب الله تعالى - بصيغه المختلفة - في اثنتي عشرة آية، كما نجد معنى الطمع أيضا في الآيات التي نهى الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام عن التطلع إلى زخارف الدنيا وزينتها.[4]

يقول ابن القيم الجوزية: «الطمع والفزع فَمَتَى تجردت مِنْهُمَا هان عَلَيْك التحيز إِلَى الله وَرَسُوله وَكنت دَائِما فِي الْجَانِب الَّذِي فِيهِ الله وَرَسُوله وَمَتى قَامَ بك الطمع فَلَا تطمع فِي هَذَا الْأَمر وَلَا تحدث نَفسك بِهِ فَإِن قلت فَبِأَي شَيْء أستعين على التجرد من الطمع وَمن الْفَزع قلت بِالتَّوْحِيدِ والتوكل والثقة بِاللَّه وعلمك بِأَنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا هو وَلَا يذهب بالسيئات إِلَّا هُوَ وَأَن الْأَمر كُله لله لَيْسَ لأحد مَعَ الله شَيْء».[5]

---

[1] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 319 وما بعدها.

[2] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 568، ص 182.

[3] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص 828.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1149.

[5] ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين)، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393ه/1973م، ص 116.

وفي المثل الشعبي الجزائري: **الدَّنْيَا ثْفُوتْ، كُلّ حَيّْ فِيهَا يْمُوتْ، وَالطَّامَعْ بِهَا مَشْمُوتْ.** (مَشْمُوتْ: مغرور).

لكنه الجهل المغذى بالطمع يفعل في أصحابه فعلته التي جعلتهم يؤملون في السراب، ويرجون ما لا يبلغون، والعاقل من لم تغره دنياه، وعلم حقيقتها، وأيقن بنفاذ خيراتها، وأن ما عند الله خير وأبقى، والعاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96)﴾[1].

وقال أعرابيّ لرجل حريص على الدنيا: يا أخي أنت طالب ومطلوب: يطلبك ما لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، أما رأيت حريصا محروما وزاهدا مرزوقا؟[2]

ومن مرادفات الطمع في اللغة العربية: الحرص، والجشع، والطموح، والشره، والنهم. ويقال: استشرف فلان للأمر يطمع فيه، وتطاول له، واشرأب إليه، وسما إليه، ومد عنقه، ورمى بطرفه إليه، وطمح ببصره نحوه، وتطلع إليه، وتشرف له.[3]

يقول الحزيمي: «والطمع والشره والحرص والجشع كلها ألفاظ متقاربة في المعنى، وهو أمر فطري ويعني: نزوع النفس إلى تحصيل ما ترغب فيه النفس أو تشتهي الحصول عليه. ولكن الطمع قد يكون مندوبا إذا كان هدفه التطلع إلى نوال رحمة الله ومغفرته، ودخول الجنات مع المتقين والصالحين. ويكون من المندوبات أيضا إذا توجه إلى التأسي بالفضلاء ومحاولة الوصول إلى مكانتهم الدينية أو الاجتماعية أو العلمية. ولكن الطمع يتحول إلى خلق مذموم، وصفة ممقوتة، إذا كان هدفه المبالغة في لحرص على متاع الدنيا، وما يصاحب ذلك من الشح والبخل. كما يكون أشد مقتا إذا توجه إلى النظر ما لدى الناس من النساء والأولاد و الأموال والضياع، وتمنى الطامع أخذها، أو العمل على سلبها منهم بالحيل والغش والظلم والعدوان، مع ما يصاحب ذلك من

---

[1] سورة النحل، الآية: 96.

[2] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 117.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 3، ص 1149.

أمراض القلوب، كالكراهية والحسد والحقد. وقد يكون سلوك الطمع نزوعا آنيا وطبيعيا للحصول على شيء ما في لحظة أو ساعة معينة، ولكنه في أحيان أخرى، قد يصبح لدى البعض خلقا وسلوكا دائما».[1]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الطّمَعْ يْجَرّي الشّْيُوخْ.**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مِنْهُ اثْنَانِ: الْحِرْصُ، وَالْأَمَلُ». وَرَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: «...وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ».[2]

قال فرفوريوس: لو تميّزت الأشياء بأشكالها لكان الكذب مع الجبن، والصدق مع الشجاعة، والراحة مع اليأس، والتعب مع الطمع، والحرمان مع الحرص، والعزّ مع القناعة، والأمن مع العفاف، والسلامة مع الوحدة.[3]

وقد تمثّلت العرب بقولها: تقطع أَعْنَاق الرِّجَال المطامع.

وأوله:

طمعت بليلى أَن تريع وَإِنَّمَـــــــــــــا تقطع أَعْنَاق الرِّجَال المطامـــــــــــع

وَمن أمثالهم فِي ذَلِك قَول بَعضهم: وللييأس أدنى للعفاف من الطمع.

وَقَالَ عمر رَضِي الله عَنه: الطمع الْكَاذِب فقر حَاضر. وَقَالَ: مَا الْخمر صرفهَا بأذهب لعقول الرِّجَال من الطمع. وَفِي عجز بَيت النُّعْمَان: (لَيْسَ النجاح مَعَ الْحَرِيص الطامع).

وَقَالَ بَعضهم فِي الْمَعْنى الأول:

رَأَيْت مخيلةً فطمعت فِيهَـــــــــــــا وَفِي الطمع المذلة للرقـــــــــــاب[4]

---

[1] المرجع السابق، المجلد 3، ص 1154.

[2] البيهقي، الآداب، ص 322.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج1، ص 248.

[4] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 277 وما بعدها.

وقال فيلسوف: بلوت الأشياء فلم أجد شيئاً أشد من صالح يلي أمر صالح، و لم أر لهذا الدهر دواء إلا الصبر عليه، و لم أر هلاك أهله إلا في الطمع.[1]

وقد قيل: أخرج الطمع من قلبك يحل القيد من رجلك.[2]

وفي المثل الشعبي الجزائري: **اللِّي مَا كْفَاهْشْ قَبْرَهْ يَرْقُدْ فُوقَهْ**. (اللِّي: الذي، مَا كْفَاهْشْ: لم يسعه).

ويقول المثل الشعبي الجزائري: **اللِّي بْغَاهَا قَاعْ، خَلَّاهَا قَاعْ**. (اللِّي: الذي، بْغَاهَا: أرادها، قَاعْ: كاملة).

يتمثل الجزائريون بقولهم: **اللِّي مَا قْنَعْ بْخُبْزَه، مَا يَقْنَعْ بْنُصّْهَا**.

من الناس من لم يلجم نفسه بلجام القناعة، و لم يكبح جماحها بمكبح التعفف، فتجده هائما طالبا لما ليس له فيه نصيب، ومهما نال من خير، لسان حاله هل من مزيد، فلا يكفيه رزقه ولو كان كفافا، هذا لو توفرت له أساسيات الحياة، لكن عينه على الكماليات، فلا القليل يسد حاجاته، ولا الكثير يغنيه عما في أيدي الغير، وما ذاك إلا لسفاهة تملكت عقله، وبلاذة مني بها فكره.

يقول عائض القرني: «ينبغي أن يكون لك حدٌّ من المطالبِ الدنيوية تنتهي إليه، فمثلاً تطلبُ بيتاً تسكنه وعملاً يناسبك، وسيارةً تحملُك، أما فتحُ شهيةِ الطمعِ على مصراعيها فهذا شقاءٌ».[3]

ويقول المحاسبي: «قهر النَّفس على طلب الْآخِرَة فَإِذا قطع عَلَيْهَا العَبْد الطمع من أَسبَاب الدُّنْيَا وَغلب بعقله هَواهَا، رجعت بطمعها إِلَى أَسبَاب الْآخِرَة لَا محَالة، لِأَنَّهَا بنيت على الطمع، فَإِذا تجردت من أَسبَاب الدُّنْيَا وأقبلت على نَفسهَا بالإياس من المخلوقين، رجعت برغبتها وطمعها

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج1، ص 136.

[2] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 318.

[3] عائض بن عبد الله القرني، لا تحزن، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ/2003م، ص 567.

إلى أسباب الْآخِرَة، فجدت فِي طلبَهَا وَاجْتَهَدت، وعزفت عَن الدُّنْيَا وباينت الْهوى، وخالفت الْعَدو وتبعت الْعلم وَكَانَت مَطِيَّة لِلْعَقْلِ صابرة على مر مَا يدل عَلَيْهِ الْحق فنجت وأنجت».[1]

قال الماوردي: «وَأَمَّا النَّزَاهَةُ فَنَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: النَّزَاهَةُ عَنْ الْمَطَامِعِ الدَّنِيَّةِ. وَالثَّانِي النَّزَاهَةُ عَنْ مَوَاقِفِ الرِّيبَةِ. فَأَمَّا الْمَطَامِعُ الدَّنِيَّةُ؛ فَلِأَنَّ الطَّمَعَ ذُلٌّ وَالدَّنَاءَةَ لُؤْمٌ، وَهُمَا أَدْفَعُ شَيْءٍ لِلْمُرُوءَةِ...وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْك فِي الدِّينِ

وَاسْتَرْزِقْ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ

... وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ: الشَّرَهُ وَقِلَّةُ الْأَنَفَةِ فَلَا يَقْنَعُ بِمَا أُوتِيَ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا؛ لِأَجْلِ شَرَهِهِ، وَلَا يَسْتَنْكِفُ مِمَّا مُنِعَ، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا لِقِلَّةِ أَنَفَتِهِ. وَهَذِهِ حَالُ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ قَدْرًا، وَيَرَى الْمَالَ أَعْظَمَ خَطَرًا، فَيَرَى بَذْلَ أَهْوَنِ الْأَمْرَيْنِ لِأَجَلِّهِمَا مَغْنَمًا، وَلَيْسَ لِمَنْ كَانَ الْمَالُ عِنْدَهُ أَجَلَّ وَنَفْسُهُ عَلَيْهِ أَقَلَّ إصْغَاءٌ لِتَأْنِيبٍ، وَلَا قَبُولٌ لِتَأْدِيبٍ. وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: عَلَيْك بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ، وَإِذَا صَلَّيْت صَلَاةً فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ سَبَتْهُ الْمُنَى وَاسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ

... وَحَسْمُ هَذِهِ الْمَطَامِعِ شَيْئَانِ: الْيَأْسُ وَالْقَنَاعَةُ».[2]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **اللّي ما شبع من القصعه، ما يشبع من لحيسها**. (اللّي: الذي، القصعة: ما يوضع فيه الطعام، لحيسها: لعقها).

من نال رزقا و لم يقنع به، فليس يغنيه رزق الدنيا كلها، لأنه جُبِلَ على التطلع إلى الكثير، جهلا منه أنه لا يملأ جوفه إلا التراب، فالأحرى به أن يزهد في الدنيا، ويحمد الله تعالى على ما آتاه من نعمة الصحة، وما أناله من فضل الإسلام، أما المال فهو مقسوم بين العباد بحكمة الرزاق، فمن

[1] المحاسبي (الحارث بن أسد أبو عبد الله)، آداب النفوس، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص 48.

[2] انظر، الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 326.

قدر عليه رزقه، فليحمد الله تعالى، وليعلم أن الخير فيما اختاره الله تعالى، والعدل كل العدل في تلك القسمة، ولله الفضل يؤتيه من يشاء من عباده، وما الله بظلام للعبيد.

ولله درّ ابن الْمُثَنَّى إذ يقول:

إِذَا قَلَّ مَالِي ازْدَدْتُ فِي هِمَّتِي غِنًـــــــى ... عَنِ النَّاسِ وَالْغَانِي بِمَا نَالَ قَانِـــــــــــعُ

وَفِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَنَلْ بِكَ رَاحَـــــــــة ... وَفِي الصَّبْرِ عِزٌّ لِلضَّرَاعَةِ قَاطِـــــــــعُ

وَمَنْ لا يَزَالُ يَسْتَتْبِعُ الْعَيْنَ مَـــــــا رَأَى ... لَدَى عِزِّهِ يَلْقَى الرَّدَى وَهُوَ ضَـــــــارِعُ

جَنَابِيَ لَمْ يَرقعِ الضَّيْمُ لِي حِمًـــــــــى ... مَنِيعٌ و بِالْغَرَامَةِ وَاسِـــــــــــــعُ

وَإِنِّي لأَسْتَبْقِي إِذَا الْعُسْرُ مَسَّنِـــــــــي ... بَشَاشَةَ وَجْهِي حِينَ تَبْلَى الْمَنَافِـــــــعُ

مَخَافَةَ أَنْ أُقْلَى إِذَا جِئْتُ زَائِـــــــــرًا ... وَتُرْجِعُنِي نَحْوَ الرِّجَالِ الْمَطَامِـــــــعُ[1]

وقيل: من لم يقنع باليسير لم يكتف بالكثير، ويكفيك من الزاد ما بلّغك المحل.[2]

أما أرسطاطاليس فيقول: لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأماني.[3]

ويتمثل الجزائريون بقولهم: **جَا يَسْعَى، وَدِّرْ تَسْعَه.** (جَا: ابتغى، وَدِّرْ: أضاع).

فالإنسان الطماع لا عقل له ولا تدبير، تجده لاهثا وراء الدنيا وزخرفها، قابعا في ظلماء السعي وراء المال وتحصيله، لا يهمه من أين اكتسبه، ولا كيف السبيل إليه، المهم أن يحصل عليه، ويشبع نهمه اللا منتهي، وطمعه اللا محدود، وقد يتناسى أنه كم من طالب للشيء، لم ينل مراده، وكم من مؤمل لأمر، حالت بينه وبين تحقيقه المنايا.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: قُلُوبُ الْجُهَّالِ تُسْتَعْبَدُ بِالْأَطْمَاعِ، وَتُسْتَرَقُّ بِالْمُنَى، وَتُعَلَّلُ بِالْخَدَائِعِ.[4]

---

[1] ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي)، القناعة والتعفف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص 77.

[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.

[3] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 117.

[4] شمس الدين المقدسي (محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله الراميني ثم الصالحي الحنبلي)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج3، عالم الكتب، د.ط، د.ت، ص 309.

ومن الناس من أراد تحقيق أمر، أو تحصيل مبتغى، وقد طمع في بلوغه ونيله، ليسلك مسالك ارتأى أنها الموصل إلى كسبه، فضيع بسبب ذلك ما كان ينعم به، فكم من مضيع لأسرته، ووائد لوقته، لم يصب مرماه إذ أساء الرمية بسبب عمى بصيرته، فلا مرغوبه حصل، ولا ما عنده بقي، خسر الأمرين معا.

أنشد أحدهم:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَاقْنَعْ بِرِزْقِـــــــــــهِ فَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَانِـــــــــــعُ
وَلا تُلْهِكَ الدُّنْيَا وَلا تَطْمَعْ بِهَـــــــــا فَقَدْ يُهْلِكُ الْمَغْرُورَ فِيهَا الْمَطَامِـــــــعُ
وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَ مِنْهَا فَمَـــــــــــا يَسْتَوِي عَبْدٌ صَبُورٌ وَجَـــــــــــازِعُ
أَعَاذِلُ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَـــــــــى إِذَا حَشْرَجَتْ فِي النَّفْسِ مِنْهُ الأَضَالِـــعُ[1]

وقد قيل: ورب طمع أدنى إلى عطب.[2]

وقال سابق البربري:

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى من سفاها وريب الدهر عنها يخادعـــــه
ويطمع في سوف ويهلك دونهـــــــا وكم من حريص أهلكته مطامعـــــه[3]

فإن كنت غنيا فلا تسع إلى قطع أرزاق الناس فإن قطع الأرزاق من قطع الأعناق، ولاتكن حريصا فإن الأرزاق قد قسمت، قال ابن زريق البغدادي:

والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغي إلا أن بغي المرء يصرعـــــــــــه[4]

ويتمثل الجزائريون بقولهم: **اللِّي مَا هُوَ لِيكْ غِيرْ يْعَيِّيكْ**. (اللِّي: الّذي، لِيكْ: لك، يْعَيِّيكْ: يتعبك).

التطلع إلى ما عند الناس مرض ما أصاب من أحد إلا أهلكه، فمهما كدّ الإنسان وجهد في نيل ما ليس له، ما هو ببالغ ما أراد، ليذهب سعيه ذلك هباء منثورا، فالرزق لا يأتي بالقوة، و لا

[1] ابن أبي الدنيا، القناعة والتعفف، ص 79.
[2] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.
[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 130.
[4] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.

تنال الحاجات بالإذلال للغير، وإنما يسأل ذلك من الله تعالى، من بيده الخير كله، أما طلب ذلك من الناس فهوان وضياع مروءة.

قال الماوردي: «جَامِعَاتُ الرَّذَائِلِ، سَالِبَاتُ الْفَضَائِلِ، مَعَ أَنَّ الْحَرِيصَ لَا يَسْتَزِيدُ بِحِرْصِهِ زِيَادَةً عَلَى رِزْقِهِ سِوَى إذْلَالِ نَفْسِهِ، وَإِسْخَاطِ خَالِقِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْمَقَادِيرُ الْغَالِبَةُ لَا تُنَالُ بِالْمُغَالَبَةِ، وَالْأَرْزَاقُ الْمَكْتُوبَةُ لَا تُنَالُ بِالشِّدَّةِ وَالْمُطَالَبَةِ، فَذَلِّلْ لِلْمَقَادِيرِ نَفْسَك وَاعْلَمْ بِأَنَّك غَيْرُ نَائِلٍ بِالْحِرْصِ إلَّا حَظَّك».[1]

وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ: الرِّزْقُ مَقْسُومٌ، وَالْحَرِيصُ مَحْرُومٌ، وَالْحَسُودُ مَغْمُومٌ، وَالْبَخِيلُ مَذْمُومٌ.[2]

ورحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

وإذا طمعت لبست ثوب مذلـــــــــة إن المطامع معـــــــــدن الإذلال[3]

وقال آخر: الحرص ينقص من قدر الإنسان ولا يزيد في رزقه.[4]

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: مَا الذُّلُّ إلَّا فِي الطَّمَعِ.[5]

ويقول أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّه عنه: أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى لذي طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع و لم يعم بصره الطمع.

ومن أحب أن يكون حرا فلا يهوى مَا ليس له لأن الطمع فقر كما أن اليأس غنى ومن طمع ذل وخضع كما أن من قنع عف واستغنى.[6]

---

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 255.

[2] شمس الدين المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج3، ص 307.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 117.

[5] شمس الدين المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج3، ص 309.

[6] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 142.

ومن أمثال العرب: الطامع في وثاق الذل. أقل ما في الطمع الذل. الحرص ذلٌ عاجلٌ، والطمع فقرٌ حاضرٌ.[1] تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِع. يضرب في ذمِّ الطمع والْجَشَع.[2] فِي الطَّمَعِ الْمَذَلَّةُ لِلرِّقَابِ. هذا مثل قولهم: أذلَّ رقابَ الناس غُلُّ المَطَامع.[3]

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه **في** عزة النفس:

لا تطلُبنَّ معيشةً بمذلـــــــــــــــــةٍ واربأ بنفسك عن دنيِّ المطلَـــــــب

وإذا افتقرتَ فداوِ فقرَك بالغـــــــنى عن كل ذي دنسٍ كجِلْدِ الأجــرب[4]

وقال فيلسوف: العبيد ثلاثة: عبد رقّ، وعبد شهوة، وعبد طمع. وقال بعضهم: من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع.[5]

قال إسماعيل بن قطري القراطيسي:

حسبي بعلمي إن نفـــــــــــــــع ما الذلّ إلّا في الطمـــــــــــــــع

من راقب الله نـــــــــــــــزع عن سوء ما كان صنـــــــــــــــع

ما طار طير وارتفـــــــــــــــع إلا كما طار وقـــــــــــــــع[6]

يتمثل الجزائريون بقولهم: **الطَّمَّاعْ يْبَاتْ سَارِي**. (يْبَاتْ: يبيت، سَارِي: يمشي ليلا).

ولا يخيفنّك الفقر فإن بعد الفقر غنى، وبعد الشدة فرج، وفي أمثال العرب: لكل صباح صبوح، ولكل عشاء غبوق، ولكل غدٍ طعام، فلا تحرص ولا تيأس، ولا تطمع فيما أيدي الناس، فإن الحرص ذل عاجل، والطمع فقر حاضر.[7]

---

[1] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 446.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 143.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص 79.

[4] الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، ص 26.

[5] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 130.

[6] المرجع نفسه، ج1، ص 130.

[7] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ص 338.

قال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّه عنه: العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء فإنه مذلة ويلزم اليأس عَن الأعداء فإنه منجاة وتركه مهلكة والإياس هو بذر الراحة والعز كما أن الطمع هو بذر بالتعب والذل فكم من طامع تعب وذل و لم ينل بغيته وكم من آيس استراح وتعزز وقد أتاه مَا أمل وما لم يأمل.[1]

كما نجد المثل الشعبي الجزائري القائل: **مُولْ الْخُبْزَه يَطْمَعْ فِي مُولْ النَّصّْ**. (مُولْ: صاحب، الْخُبْزَه: الرغيف، النَّصّْ: النصف).

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنًى، وَإِنَّ الإِنْسَانَ إِذَا يَئِسَ مِنَ الشَّيْءِ اسْتَغْنَى عَنْهُ».[2]

الحرص ينقص قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه. ربّ أكلةٍ تمنع أكلاتٍ. ربما شرق شارب الماء قبل ريه. الرزق قد يسبق جهد الحريص. كلمتان مقولتان، لم ير على التجربة أصح منهما: الحريص محرومٌ، والاستقصاء شومٌ.[3]

ويقول المثل الشعبي الجزائري: **الطَّمَاْع: لِيلَهْ وَسْوَاسْ، وَنْهَارَهْ مْسَالَةْ النَّاسْ**. (مْسَالَةْ النَّاسْ: سؤال الناس).

من بلي بالطمع أمسى مشغول البال، مهووسا بما لا يعلم، تجده مؤرق الليل ساهره، تائه اللّبّ، ونهاره ليس بأفضل حال من ليله، يفتح باب المسألة بغية نيل ما بأيدي الناس، غير مبال أعطوه أو منعوه، جف ماء وجهه، وحرم الحياء، متناسيا أن الرزق في السماء وما يوعد، وأن رزقه مكفول به، فما كتب له ناله، وما لم يكتب له لا ولن يأتيه ولو سعى إليه سعيا حثيثا.

عن عبد الرّحمن بن عوف- رضي الله عنه- أنّه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ثلاث- والّذي نفس محمّد بيده إن كنت لحالفا عليهنّ - لا ينقص مال من صدقة فتصدّقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلّا رفعه بها- وقال أبو سعيد مولى بني

[1] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 144.

[2] ابن أبي الدنيا، القناعة والتعفف، ص 76.

[3] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 445.

هاشم: إلّا زاده الله بها عزّا يوم القيامة- ولا يفتح عبد باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر» صححه الألباني.[1]

هذا حال من لم يقنع بما قسمه الله تعالى له، فمدّ عينيه إلى ما عند الغير، فهو بين همّ عدم الرضى بما عنده، وغمّ التطلع إلى ما ليس عنده، فنهاره فتح باب المسألة التي تلبسه لباس الذل والهوان، وبالليل سارح في تفكير يعتريه غرور الأمل.

قال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّه عنه: الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكماله الإياس عنهم، إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه.[2]

عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ عمر بن الخطاب قَالَ: مَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِيَ مَالَهُ فَإِنَّمَا هُوَ رَضْفٌ مِنَ النَّارِ يَلْقُمُهُ فَمَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ.

وقال أَبُو حاتم رَضِيَ اللَّه عنه: العاقل لا يسأل الناس شيئا فيردوه، ولا يلحف في المسألة فيحرموه، ويلزم التعفف والتكرم، ولا يطلب الأمر مدبرا، ولا يتركه مقبلا، لأن فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وإن من يسأل غير المستحق حاجة حط لنفسه مرتبتين، ورفع المسؤول فوق قدره.

وله كذلك: أعظم المصائب سوء الخلف والمسألة من الناس، والهم بالسؤال نصف الهرم، فكيف المباشرة بالسؤال، ومن عزت عَلَيْهِ نفسه، صغرت الدنيا في عينيه، ولا ينبل الرجل حتى يعف عما في أيدي الناس، ويتجاوز عما يكون منهم، والسؤال من الإخوان ملال، ومن غيرهم ضد النوال.

وأنشدني الأبرش:

أنبل بنفسك أن تكون حريصـــــــــة إن الحريص إذا يلح يهـــــــــــــان

من يكثر التسآل من إخوانـــــــــه يستثقلوه وحظه الحرمـــــــــــــان

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج10، ص 4852.

[2] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 141.

...ولا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرم عَلَيْهِ قدره، ويعظم عنده خطره، فكيف بمن يهون عَلَيْهِ رده، ولا يكرم عَلَيْهِ قدره، وأبعد اللقاء الموت، وأشد منه الحاجة إلى الناس دون السؤال، وأشد منه التكلف بالسؤال، لأن السؤال إذا كان بجناح الحاجة مقرونا لم يخل من أن يكون فيه ذل السؤال، وإذا الحاجة لم تقض كان فيه ذلان موجودان: ذل السؤال وذل الرد.[1]

...لو لم يكن في السؤال خصلة تذم إلا وجود التذلل في النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه، لكان الواجب على العاقل أن لو اضطره الأمر إلى أن يستف الرمل ويمص النوى أن لا يتعرض للسؤال أبدا مَا وجد إليه سبيلا، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضي حاجته أو ذا سلطان لم يحرج في فعله ذلك، كما لم يحرج في القبول إذا أعطي من غير مسألة، ومن استغنى بالله أغناه الله، ومن تعزز بالله لم يفقره، كما أن من اعتز بالعبيد أذله.[2]

كما أن الطمع سبب في قبض العلم من قلوب العلماء، فقد لَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ كَعْبَ الأَحْبَارِ عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ يَا كَعْبُ: مَنْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ، قَالَ: فَمَا يُذْهِبُ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ إِذْ عَقِلُوهُ وَحَفِظُوهُ؟ قَالَ: يُذْهِبُهُ الطَّمَعُ وَشَرَهُ النَّفْسِ، وَتَطَلُّبُ الْحَاجَاتِ إِلَى النَّاسِ قَالَ: صَدَقْتَ.[3]

وللطمع مضار تصيب من تخلّق به، نذكر منها:

(1) دليل قلّة الإيمان، ونقص الثّقة فيما عند الله العلّام.

(2) دليل سوء الظّنّ بالله الواسع العطاء.

(3) يشعر صاحبه الفقر الملازم الّذي لا ينفكّ.

(4) يذلّ صاحبه لكلّ من يطمع فيما عنده.

(5) يحقّر نفسه ويزدريه الآخرون.

---

[1] انظر، المرجع السابق، ص.ص 147.145.

[2] المرجع نفسه، ص 148.

[3] ابن أبي الدنيا، القناعة والتعفف، ص75.

(6) التّعب الدّائم الّذي لا ينقطع.[1]

إن خساسة الطمع، وما يترتب عليه من مضار مهلكة، توجب ضربه بسيف اليأس، والتدرع منه بدرع حسن الظن بالله تعالى، قال ابن القيم الجوزية: «لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص، فَأقبل على الطمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص، فَإِن قلت وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح، قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيْء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره، وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْئا سواهُ، وَأما الزهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهله عَلَيْك علمك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إِلَّا الله وَحده».[2]

إن الطمع المشروع هو طمع المؤمنين في رحمة الله ومغفرته، والتطلع إلى دخول الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46)﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)﴾[5].

يقول المحاسبي: «فَلَا يذْهبن بك الطمع إِلَى غير الله، ألا ترى أن الَّذِي طمعت فِيمَا فِي يَدَيْهِ أليس هُوَ فِي ملك الله، هَل فِي السَّمَاء حاجز يحجزك عَن الله، فَاعْلَم أنك لَا تقدر أن تفرض

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج10، ص 4856.

[2] ابن القيم الجوزية، الفوائد، ص 149.

[3] سورة المائدة، الآية: 84.

[4] سورة الأعراف، الآية: 46.

[5] سورة الشعراء، الآية: 51.

رزقك كَمَا لَا تقدر أن تفرض الْمَوْت، أما سَمِعت الله يَقُول: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[1].

فاسكن يَا أخي إلى مَوْعُود الله تَعَالَى فِي رزقه كَمَا تسكن إلى أنك ميت، واقطع الاشْتِغَال بِذكر الأسباب من قَلْبك، وَاعْلَم أن الله يرزقك لسَبَب وَبِغير سَبَب وكل سَبَب فَهُوَ ثَابت لَا تعلم مَتى يَأْتِيك رزقك كَمَا لَا تعلم مَتى يَأْتِيك الْمَوْت، ألا ترى أن الله وَعدك أن يرزقك وغيب رزقك عَنْك بِالْقضَاءِ وَله وَقت يترل فِيهِ فَلَو احتلت بِكُل حِيلَة أن يَأْتِيك قبل وقته لم تقدر على ذَلِك حَتَّى يترل فِي وقته، أما سَمِعت الله عز وَجل يَقُول ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)﴾[2]».[3]

وقال الإمام ينصح ابنه الحسين:

أحُسيْنُ إنِّي واعظ ومُـــــــؤدِّبٌ ... افهمْ فأنت العاقلِ المتـــــــأدِّبُ

واحفظ وصية والدٍ متحنِّـــــــنٍ ... يغدوك بالآداب كيلا تعطَـــــبُ

أَبُنيَّ إن الرزقَ مكفولٌ بـــــــه ... فعليكَ بالإجمال فيما تطلـــــبُ

لا تجعلنَّ المالَ كسبكَ مُفـــــــرَداً ... وتُقى إلهكَ فَاجعلنْ ما تكسِـــــبُ

كَفَلَ الإله برزق كلِّ بريَّـــــــةٍ ... والمالُ عاريةٌ تجيءُ وتذهـــــــبُ

والرزقُ أسرعُ من تلفُّتِ ناظـــــرٍ ... سبباً إلى الإنسانِ حين يُسبِّـــبُ

ومن السيولِ إلى مقرِّ قرارهـــــــا ... والطيرُ للأوكارِ حين تُصَـــوّبُ[4]

---

[1] سورة الروم: الآية: 40.

[2] سورة الذاريات، الآيتان: 22و23.

[3] انظر، المحاسبي، آداب النفوس، ص 196.

[4] الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، ص 38.

5. المن بالعطية والصدقة:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **مَنْ دَارْ خِيرْ وَعْلِيهْ نْدَمْ، كُلّْ مَا بْنَى هَدَّمْ.**

(مَنْ دَارْ: من فعل).

يعطي الإنسان مما آتاه الله تعالى من فضل المال، إما صدقة منه، وإما إحسانا، وهو مأجور على ذلك ما دام أن فعله لا يشوبه الأذى، كأن يعطي رياء أو يتبع صدقته منّة، حينها يبطل ما قدّمه من خير، بل ويذمّ على ذلك، ويكون فعله هباء منثورا، وما حسبه من حسن الصنيعة مجرد حسبان، خسر الأجر، ونال الوزر.

فالصّدقة تبطل إذا أتبعت منّا وأذى، ولا يبق من ثوابها شيء، كالصخرة الملساء الّتي عليها تراب، فنزل المطر و لم يبق عليها منه شيئا كما قال الضحاك.[1]

لذلك ينبغي أن يكون العطاء عن طيبة نفس، ومنصرفا إلى الله تعالى، خالصا لوجهه الكريم، وإلا فإن الممتنّ على ما قدّم يكون عمله هباء، يحسب أنه أحسن صنعا، ولكنه في حقيقة الأمر قد وقع في كبيرة من الكبائر، وما ذلك إلا دليل على جهله بحقائق الإيمان وموجبات تحقيقه.

يقول العلامة ابن العثيمين رحمة الله تعالى عليه عن ماهية المنّ بالعطيّة والصّدقة: «وذلك أن الإنسان إذا أعطى أحدا من الناس عطاء، إن كان صدقة فقد أعطاها لله عزّ وجلّ وإن كان إحسانا فالإحسان مطلوب، فإذا كان كذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يمنّ بالعطيّة، فيقول: أنا أعطيتك كذا أنا أعطيتك كذا سواء قاله في مواجهته أو في غير مواجهته، مثل أن يقول بين الناس أعطيت فلانا كذا، وأعطيت فلانا كذا ليمنّ بذلك عليه...فدلّ هذا على أنّ الإنسان إذا منّ فإنّ الصّدقة تبطل ولا ثواب له فيها وهو من كبائر الذنوب».[2]

---

[1] انظر، عكاشة عبد المنان الطيبي، صيانة الإنسان من آفات وشرور اللسان، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 194 وما بعدها.

[2] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج2، ص 681.

أما الواحدي فيقول عن حدّ المنّ: «هو أن يمنّ بما أعطى، وقال الكلبي: بالمنّ على الله في صدقته والأذى لصاحبها».[1]

وقد فصل الحزيمى في إيضاح حقيقة المنّ وتبيان صوره، إذ يقول: «والمنّ قد يقصد به العطاء عن طيب نفس، والإحسان بدون انقطاع من الأعلى إلى الأدنى، وكذلك بمعنى من كثر إحسانه وزاد عطاؤه إلى من لا يستثيبه، أو يرجوه، أو يطلب جزاءه. و المنّة بهذا المعنى صفة من صفات الربّ جلّ جلاله، والمنّان: إسم من أسمائه الحسنى كما يليق به من غير تكييف ولا تعطيل. وقد تطلق بهذا المعنى على المخلوق، إذا صدر منه العطاء أو العفو عن حقّه، كما هو حال وليّ القتيل، أو عما هو تحت تصرّفه وقدرته كما هو حال الحاكم، وهذه كلّها من الصّفات المحمودة شرعا وبين النّاس. ولكنّ المنّ قد يأتي بمعنى مذموم، وهو الّذي يكثر من المنّ على النّاس، ويمتنّ على المحتاج ويذكّره بما قدّم له من المعروف، أو يعيّره ويعيبه بما أنعم به عليه. بل إنّ بعض من ابتلوا بهذا الخلق الممقوت، قد يتمادى في غيّه، فيرتكب كبيرة من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وأشدّ أنواع الجنون، فيمنّ على ربّه ومولاه بما قدّم من الطّاعات، أو يستكثر ما فعل من الخيرات، وأخرج من الصّدقات، أو يمنّ بتركه المعاصي والموبقات، فذلك دليل على تأصّل النّفاق أو الكفر في قلبه، وعجزه عن إدراك حقيقة الإيمان.

و تظهر منّة المخلوق على مخلوق آخر بشكل ظاهر، عندما يمنّ الغنيّ على الفقير في العطاء أو عند دفع الزّكاة والصّدقات. ولا ريب أنّها خصلة من الخصال السّيّئة، يظهر منها كفر العبد بنعمة ربّه جلّ وعلا وجحدانه لها. والمنّة من المخلوق في أداء الزّكاة وإخراج الصّدقات، خلل في الاعتقاد، وشعور كاذب بالتملّك لا الاستخلاف في المال، وأمن من مكر الله وغضبه، وغرور بدوام الجاه وكثرة المال. وما يعلم هذا العبد الجاهل أنّ المال لله تعالى وأنّه مستخلف فيه، وأنّ ما أنفق منه في سبيل الله عزّ وجلّ، وفي مساعدة إخوانه، هو أساس القوّة في الجاه وزيادة المال، وسبب لنيل رضوان الله ومثوبته. وما يدفع المنّان إلى هذا الفعل السّيّء، سوى ضعف إيمانه وجهله

[1] الذهبي، الكبائر، ص 151.

وحماقته، وتخلّقه بخصال التّعالي والدّناءة؛ كالفخر والغرور والبخل، و كذلك سوء طبعه وسجيّته، وتخلّقه بخصلة الأنانيّة المفرطة، وخلوّ قلبه من الرّحمة والإيثار».[1]

ويذكر الرّاغب الأصفهاني أنّ المنّ قد يكون على وجهين، أحدهما: بالفعل، إذا أثقله بالنّعمة، وذلك لا يكون على الحقيقة، إلّا من الله تعالى. والثّاني: بالقول، وهو مستقبح عند النّاس، إلا عند كفران النعمة، ولذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة. ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنّة. و قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾[2] الآية. منة منهم بالقول، ومنة الله عليهم بالفعل.[3]

وفي الكتاب العزيز جاء لفظ المن – بصيغه المختلفة – ستّا وعشرين مرّة، في أربع وعشرين آية.[4]

فالمنّة في الحقيقة لله تعالى، الّذي أنعم على النّاس بالخلق وتفضّل عليهم بالرّزق، فهدى من شاء؛ وأنجى من اتّقى، فنعمه لا تعد ولا تحصى، و لم يعجل العقوبة على من عصى، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)﴾[5]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)﴾[6].

وقد وجّه الله عزّ وجلّ نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ بأن لا يمنّ في طاعته لربّه، أو بعطائه للغير استكثارا للمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6)﴾[7].

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 4، ص 1859 ومابعدها.

[2] سورة الحجرات، الآية: 17.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 4، ص 1861.

[4] المرجع نفسه، المجلد 4، ص 1859.

[5] سورة الأنعام، الآية: 53.

[6] سورة القصص، الآية: 82.

[7] سورة المدثر، الآية: 6.

وقد منّ الله على محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالأجر الكبير، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)﴾[1].

وقد تفضّل الله عزّ وجلّ على عباده الصّالحين بالأجر؛ جزاء على ما كانوا عليه من الإيمان والتّقوى، والإنفاق في سبيله من غير منّة منهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8)﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)﴾[5].

كما أن منّة العباد بعضهم على بعض من أقبح الأعمال وأشنعها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)﴾[6].

والمنّة على الغير بأعمالهم حتّى وإن كانت سيّئة من أساليب الطّغاة في كلّ زمان، قال الله تعالى فيما قصّه علينا من خبر فرعون مع موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)﴾[7].

---

[1] سورة القلم، الآية: 3.

[2] سورة البقرة، الآية: 262.

[3] سورة فصلت، الآية: 8.

[4] سورة الإنشقاق، الآية: 25.

[5] سورة التين، الآية: 6.

[6] سورة البقرة، الآية: 264.

[7] سورة الشعراء، الآيات: 18-22.

والمنّ لا يقتصر على الإنفاق فقط بل يتعدّاه إلى أمور أخرى، أخرج البزّار عن ابن عباس قال: «جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب و لم نقاتلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن فقههم قليل، وإن الشّيطان ينطق على ألسنتهم ». ونزلت هذه الآية: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) ﴾[1].[2]

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاث مرّات، قال أبو ذرّ: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» رواه مسلم.[3]

يقول أبو العباس صاحب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) وقد عدّ الْمَنّ بِالصَّدَقَةِ من الكبائر: « الْكَبِيرَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْمَنُّ بِالصَّدَقَةِ: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)﴾ إلَى قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾.[4]

وَجَاءَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ: "إيَّاكُمْ وَالْمَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهُ يُبْطِلُ الشُّكْرَ، وَيَمْحَقُ الْأَجْرَ"، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾.

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 17.

[2] عكاشة عبد المنان الطيبي، صيانة الإنسان من آفات وشرور اللسان، ص 195.

[3] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1596، ص 392.

[4] قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)﴾ (البقرة: 262 – 264)

بَيَّنَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْآيَةِ الْأُولَى أَنَّ مَنْ أَنْفَقَ شَيْئًا فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْقُرُبَاتِ كَالْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ. وَبِالْآيَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ اُشْتُرِطَ لِنَيْلِهِ ذَلِكَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْمُنْفِقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ أَنْ يَسْلَمَ إنْفَاقُهُ وَصَدَقَتُهُ مِنْ الْمَنِّ بِهَا عَلَى الْمُعْطَى فِي الثَّانِي، وَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَوَّلِ، كَمَا أَشَارَ إلَيْهِ الْقَفَّالُ بِقَوْلِهِ: وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الشَّرْطُ، أَيْ عَدَمُ الْمَنِّ وَالْأَذَى مُعْتَبَرًا أَيْضًا فِيمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ كَمَنْ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجِهَادِ مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُؤْذِيأحدا من المؤمنين مثل أن يقول: لو لم أحضر لما تم هذا الأمر، أو يقول لغيره: أنت ضعيف لا منفعة بك في الجهاد.

ثم إن المنّ هو أن يعدد نعمته على الآخذ أو يذكرها لمن لا يحب الآخذ اطلاعه عليه، وقيل: هو أن يرى أن لنفسه مزية على المتصدق عليه بإحسانه إليه ولذلك لا ينبغي أن يطلب منه دعاء ولا يطمع فيه، لأنه ربما كان في مقابلة إحسانه فيسقط أجره، وأصل المن القطع ولذلك يطلق على النعمة، لأن المنعم يقطع من ماله قطعة للمنعم عليه. والمنة النعمة أو النعمة الثقيلة ومنه وصفه – تعالى – بالمنان: أي المنعم، ومنه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)﴾[1] أي غير مقطوع.

وتسمية الموت منونا لأنه يقطع الحياة، والأذى هو أن ينهره أو يعيره أو يشتمه، فهذا كالمن مسقط لثوابه وأجره كما أخبر الله – تعالى –، وإنما كان المن من صفاته – تعالى – العلية ومن صفاتنا المذمومة لأنه منه – تعالى – إفضال وتذكير بما يجب على الخلق من أداء واجب شكره ومنا تعيير وتكدير، إذ آخذ الصدقة مثلا منكسر القلب لأجل حاجته إلى غيره معترف له باليد العليا؛ فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار إنعامه تعديدا عليه أو ترفعا أو طلبا لمقابلته عليه بخدمة أو شكر زاد ذلك في مضرة الآخذ وانكسار قلبه وإلحاق العار والنقص به وهذه قبائح عظيمة؛ على أن فيه أيضا النظر إلى أن له ملكا وفضلا وغفلة عن أن الله هو المالك الحقيقي وهو الذي يسر الإعطاء وأقدر عليه.

[1] سورة القلم، الآية: 3.

فوجب النظر إلى جناب الحق، والقيام بشكره على ذلك، والإعراض عما يؤدي إلى منازعة الحق في فضله ووجوده إذ لا يمن إلا من غفل أن الله – تعالى – هو المعطي والمتفضل.

و﴿ مَنًّا ﴾ في الآية مفعول أول و﴿ أَذًى ﴾ عطف عليه، وأبعد بعضهم فجعله اسم (لا) ، وخبرها محذوف.

والمعنى (وَلَا أَذًى) حاصل له بالإنفاق فيكون من صفات المنفق بمعنى أنه يشترط أن لا يتأذى بالإخراج، ومما يرد هذا التكلف البعيد تنوين (أذى) إذ المشهور في اسم (لا) عدم تنوينه لبنائه على الفتح، وليس ظاهر الآية أنه لا يبطل الأجر إلا وجود المن والأذى معا دون أحدهما، لأن مدلول (مَنًّا وَلَا أَذًى) أنه لا بد من انتفاء كل منهما، على أن قضية كلام سفيان أنهما متلازمان فإنه قال: هما أن يقول قد أعطيتك فما شكرت».[1]

فالمنّ بالعطيّة والصّدقة إيذاء للغير، بل مبطل للثّواب، ودافع للأجر، وموجب لغضب الله وسخطه، فعلى كلّ متصدّق محسن أن يصرف خيره ويحتسب أجره على الله تعالى، فما أنفق رجل إلّا وأجره مضاعف بفضل الله عزّ وجلّ، ولتحقيق ذلك الأولى بالمحسن أن يتناسى إحسانه، فلا يذكره لغيره اتقاء الرّياء والمنّ، وفي هذا يقول المثل الشّعبي الجزائري: **دير الخير و انساه.** (دير: افعل، انساه: تناساه ولا تذكره)، ففيه حثّ على فعل الخير والزّجر عن المنّ، فمن وفّقه الله تعالى لفعل الخير، فليعلم أن ذلك من الأعطيات، والثواب من عند الله، ويضاعف الله الأجر لمن يشاء، فعلى المؤمن أن يتّقي مبطلات الصدقات، حتى يوفّى الأجر كاملا، ولا ينقص من ثوابه من شيء، فالأجدر بفاعل الخير أن يتناساه، ولا يذكّر به، سواء كان ذلك بحضرة من أحسن إليه، أو في غيابه، فإنّ في ذلك إيذاء له، ومنقصة للأجر، بل إبطال للصدقات، ومحق للثواب.

قالوا: شوا أخوك حتى إذا أنضج رمّد.

وقولهم: فضل القول على الفعل دناءة، وفضل الفعل على القول مكرمة.[2]

وقريب منه ما ذكره أبو عبيد من أمثال العرب: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد.

---

[1] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 311 وما بعدها.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 3، ص 22.

وأصله أن ينضج شواءه ثم يلقيه في الرماد. وهذا المثل جاءنا عن عمر بن الخطاب رحمه الله. ويضرب للرجل يصطنع المعروف، ثم يفسده بالمن والأذى، وقد يقال هذا أيضاً للذي يبتدئ بالإحسان ثم يعود عليه بالإفساد. وقال بعضهم في مثله: المنَّة تهدم الصنيعة.

قال أبو عبيد: ومن المن أيضاً قول أكثم بن صيفي: فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة.

وقد يضرب هذا للرجل يكون ادعاؤه أكثر من صنيعه.

وحكي عن بعض حكماء العرب أنه قال لبنيه: يا بني، إذا اتخذتم عند رجل يداً فانسوها قال أبو عبيد: يقول: حتى لا يقع في أنفسكم الطول على الناس بالقلوب، ولا تذكروها بالألسنة.[1]

سمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: أحسنت إليك وفعلت، فقال له ابن سيرين: اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي.[2]

وقد قيل: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.[3]

وفي المثل الشعبي الجزائري: **مَنْ دَارْ خِيرْ وَحْكَاهْ، أَجْرَهْ مْحَاهْ.** (مَنْ دَارْ: من فعل).

قال بعض الحكماء: آفة المنعم قبح المنّ.[4] وفي رواية: آفة النعم قبح المنّ.[5]

قال أبو حاتم: أهنأ الصنائع، وأحسنها في الحقائق، وأوقعها في القلوب، وأكثرها استدامة للنعم، واستدفاعا للنقم، ما كانت خالية عن المن في البداءة والنهاية، متعرية عن الامتنان. وهو الغاية في الصنيعة، والنهاية في الإحسان.[6]

---

[1] ابن سلاّم، الأمثال، ص 66.

[2] الذهبي، الكبائر، ص 152.

[3] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 49.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج2، ص 208.

[5] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 49.

[6] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 235.

قال بعض السلف: الأيدي ثلاث، يد بيضاء وهي الابتداء بالمعروف، يد خضراء وهي المكافأة، ويد سوداء وهي المن.[1]

وقيل: تمام البذل ترك المنّ، وقال بعضهم: لا تمنّ بالمعروف، فالمعروف إذا ذكر كدر، وإذا أنسي أمر. تعداد المنة من ضعف المنة. وقيل: المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة فتره منّتك عن الامتنان.[2]

والعرب تتمثل بقولها: أَيُّهَا المُمْتَنُّ عَلَى نَفْسِكَ فَلْيَكُن المَنُّ عَلَيْكَ.

الإمتنان: الإنعام والإحسان، يقال لمن يحسن إلى نفسه: قد جَذَبْتَ بما فعلتَ المنفعةَ إلى نفسك فلا تَمُنَّ به على غيرك.[3]

وفي المثل العربي: ما ضَفَا ولا صَفَا عَطَاؤهُ.

الضافي: الكثير، والصافي: النَّقُّي، أي لم يضْف وفقَ الظنّ و لم يَصْفُ من كدَر المنَّ.[4]

وإيّاك والمنّ على رعيتك بإحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلف، فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس.[5]

كما يتمثّل الجزائريون بقولهم: **مَنْ عَدّْ الْخِيرْ، مَا فِيهْ خِيرْ.**

قال بعض الحكماء: آفة المنعم قبح المنّ.[6] وفي رواية: آفة النعم قبح المنّ.[7]

---

[1] أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 60.

[2] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج1، ص 702.

[3] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 28.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص 288.

[5] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج1، ص 327.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص 208.

[7] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج1، ص 49.

قال أبو حاتم: أهنأ الصنائع، وأحسنها في الحقائق، وأوقعها في القلوب، وأكثرها استدامة للنعم، واستدفاعا للنقم، ما كانت خالية عن المن في البداءة والنهاية، متعرية عن الامتنان. وهو الغاية في الصنيعة، والنهاية في الإحسان.[1]

وذاك ما يقرّه المثل الشعبي الجزائري: **اعْطِينِي احْسَانَكْ، وْ شَدّْ لْسَانَكْ.** (احْسَانَكْ: إحسانك، شَدّْ: أمسك).

فلابدّ لكلّ محسن ألّا يكون لسانه هادما لحسن صنيعه، وأن يتحرّى في ذلك عدم إيذاء من أحسن إليه، فلا يذكر عطيته، بل ولا يلمّح إليها، لأنّ ذلك من موجبات ضياع الأجر، لذلك وجب عليه إمساك اللّسان عن ذكر العطيّة والصّدقة بأيّ حال من الأحوال.

قال بعضهم: من منّ بمعروفه سقط من شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.[2]

فالمنّ بالعطيّة والصّدقة كبيرة من الكبائر على نص أحمد رضي الله عنه، وهو حرام لما يترتب عنه من مفاسد.[3]

يقول المثل الشعبي الجزائري: **خُبْزْ الْمَعْفَانَه؛ وَلَّا خُبْزْ الْمَنَّانَه.** (الْمَعْفَانَه: في المفهوم الشائع هي قليلة النظافة، إن لم نقل عديمتها)، فالأكل من تلك التي لا تراعي النّظافة أسلم من تلك التي تمنّ بعطائها وتذكره كل حين، ففي أكل الأولى الهناء والراحة وصدق النية وحسن العطية وصفاء الروح ونقاء القلب وإن كان ظاهرها عكس ذلك، فالخير فيما قدمته لأنها نقية السريرة، طاهرة الروح، قد سلمت من إيذاء غيرها بالمنّ وذكر ما أقدمت عليه من إحسان، في حين أن الثانية تضمر عكس ما تبدي، فالمنّ دليل على خبث السريرة ومرض القلب ودناءة الروح.

[1] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج2، ص 235.

[2] الذهبي، الكبائر، ص 152.

[3] شمس الدين المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج1، ص 336.

قال الشافعي:

لا تحملنّ لمن يمـــــــــــــــنّ من الأنام عليك منّـــــــــــــــــه
واختر لنفسك حظّـــــــــــــها واصبر فإن الصّبر جنّـــــــــــــــه
منن الرّجال على القلـــــــــوب أشدّ من وقع الأسنّـــــــــــــــه[1]

وقريب من ذلك المثل الشعبي الجزائري: **كَسْرَةْ الْمَشْحَاحَه، وَلَّا كَسْرَةْ الْمَنَّانَه.** (الْمَشْحَاحَه: لفظ شائع عن التي تنفق ولكن باليسير وهي أقرب إلى البخل منه إلى الجود، ولفظة: كسرة تعني الخبز)، ومع كل ذلك فالمدح للأولى والذم للثانية، لأن العطاء يستحسن إذا لم يتبع بالمن والأذى.

ولله درّ القائل:

وصاحب سلفت منه إلـــى يـــــــد أبطأ عليه مكافأتي فعـــــــــــادالي
لّما تيقّن أن الدّهر حادينـــــــــي أبدى النّدامة ممّا كـــــــــــان أولالي
أفسدت بالمنّ ما قدّمت من حســـن ليس الكريم إذا أعطى بمنّـــــــــــان[2]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «أهنأ الصّنائع، وأحسنها في الحقائق، وأوقعها بالقلوب، وأكثرها استدامة للنّعم، واستدفاعا للنّقم، ما كانت خالية عن المنن في البداية والنهاية، معترية عن الامتنان، وهو الغاية في الصنيعة، والنهاية في الإحسان».[3]

أنشد محمد بن عبد الله البغدادي:

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمـــــــــــــــــن
صنيعة مربوبـــــــــــــــــة خالية من المنـــــــــــــــــن[4]

[1] الذهبي، الكبائر، ص 195.
[2] المرجع نفسه، ص 152.
[3] ابن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص 227 وما بعدها.
[4] المرجع نفسه، ص 228.

ومن تمام الجود أن يتعرى من المنة، لأن من لم يمتن بمعروفه فقد وقره، والامتنان يهدم الصنائع، وإذا تعرت الصنيعة عن إزار له طرفان: أحدهما الامتنان، والآخر طلب الجزاء، كان من أعظم الجود، وهو الجود على الحقيقة.[1]

قال أبو حاتم رضي الله عنه: «إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان، ولا طلب ثواب، والعلم من غير ضعف ولا مهانة».[2]

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْهَا أَنْ لَا يَمُنَّ عَلَى السَّائِلِ وَلَا يُؤْذِيَهُ بالتَّعْيِيرِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[3] وَقَالَ: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[4] وَمَعْنَى هَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُسِرُّ السَّائِلَ، وَتُوجِبُ لِلْمُعْطِي أَجْرًا، وَالْمَنِّ وَالْأَذَى يَسُوءُ السَّائِلَ وَيُوجِبُ عَلَى الْمُعْطِي إِثْمًا، فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ قِصَاصًا صَارَ الْمُعْطِي كَأَنْ لَمْ يُعْطِ، وَلَمْ يَمْنُنْ، وَعَادَ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ، قَالَ: وَالْحَسَنَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِذَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا جَاءَ الْمَنُّ فَقَدِ انْصَرَفَتِ الْعَطِيَّةُ عَنْ وَجْهِ اللهِ إِلَى وَجْهِ الْمُعْطِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَمُنَّ، وَإِذَا انْصَرَفَتْ إِلَى وَجْهِهِ ارْتَفَعَ حُكْمُ التَّضْعِيفِ عَنْهَا، وَذَهَبَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُعْطِي، أَوَّلًا بِإِدْخَالِ الْمَسَاءَةِ فِيهَا، ثَانِيًا فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَطَاءِ، وَالْمَنِّ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَاللهُ أَعْلَمُ».[5]

عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «أَنْفِقِي وَانْضَحِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ» وَفِي رِوَايَةِ مُحَاضِرٍ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْفِقِي وَانْضَحِي، هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ.[6]

---

[1] المرجع السابق، ص 207.

[2] المرجع نفسه، ص 208.

[3] سورة البقرة، الآية: 264.

[4] سورة البقرة، الآية: 263.

[5] البيهقي، شعب الإيمان، ج 5، ص 116 وما بعدها.

[6] المرجع نفسه، ج 5، ص 111 وما بعدها.

المنّ وَالْأَذَى وَالرِّيَاء تُبْطِلُ الْأَعْمَالَ والصدقات، وتهدم الأجر، وتبطل الثَّوَابَ، قال ابن قيم الجوزية: «فَإِنْ عَرَضَ لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ مِنْ الصَّدَقَاتِ مَا يُبْطِلُهَا مِنْ الْمَنِّ وَالْأَذَى وَالرِّيَاءِ؛ فَالرِّيَاءُ يَمْنَعُ انْعِقَادَهَا سَبَبًا لِلثَّوَابِ، وَالْمَنُّ وَالْأَذَى يُبْطِلُ الثَّوَابَ الَّذِي كَانَتْ سَبَبًا لَهُ، فَمَثَلُ صَاحِبِهَا وَبُطْلَانِ عَمَلِهِ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ – وَهُوَ الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ – عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ – وَهُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ – فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَتَأَمَّلْ أَجْزَاءَ هَذَا الْمَثَلِ الْبَلِيغِ، وَانْطِبَاقِهَا عَلَى أَجْزَاءِ الْمُمَثَّلِ بِهِ، تَعْرِفْ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْحَجَرَ فِي مُقَابِلَةِ قَلْبِ هَذَا الْمُرَائِي وَالْمَانِّ وَالْمُؤْذِي، فَقَلْبُهُ فِي قَسْوَتِهِ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ، وَالْعَمَلُ الَّذِي عَمِلَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ التُّرَابِ الَّذِي عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ؛ فَقَسْوَةُ مَا تَحْتَهُ وَصَلَابَتُهُ تَمْنَعُهُ مِنْ النَّبَاتِ وَالثَّبَاتِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَابِلِ؛ فَلَيْسَ لَهُ مَادَّةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالَّذِي يَقْبَلُ الْمَاءَ وَيُنْبِتُ الْكَلَأَ، وَكَذَلِكَ قَلْبُ الْمُرَائِي لَيْسَ لَهُ ثَبَاتٌ عِنْدَ وَابِلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ وَابِلُ الْوَحْيِ انْكَشَفَ عَنْهُ ذَلِكَ التُّرَابِ الْيَسِيرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، فَبَرَزَ مَا تَحْتَهُ حَجَرًا صَلْدًا لَا نَبَاتَ فِيهِ؛ وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعَمَلِ الْمُرَائِي وَنَفَقَتِهِ، لَا يَقْدِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَوَابِ شَيْءٍ مِنْهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إلَيْهِ، وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ».[1]

والمنّ إما بالقلب صاحبه له مضمر، أو باللسان تجده لعطيته مظهر، والحالين سيان في إبطال الصدقة أو انتقاص الأجر، يقول ابن قيم الجوزية: «فالمنّ نوعان: أحدهما: منّ [بقلبه] من غير أن يصرح به بلسانه، وهذا إن لم يبطل الصدقة فهو من [نقصان] شهود منة الله عليه في إعطائه المال وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه فللّه المنة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه منه لغيره؟ والنوع الثاني: أن يمن عليه بلسانه [فيتعدى] على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأنه أوجب عليه حقاً وطوقه منة في عنقه فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا؟ ويعدد أياديه عنده.

[1] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص 142 وما بعدها.

قال سفيان: يقول أعطيتك فما شكرت. وقال عبد الرحمن بن [زيد] ، كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه وكانوا يقولون: إذا [صنعتم] صنيعة فانسوها، وإذا أُسديت إليكم صنيعة فلا تنسوها.

وفي ذلك قيل:

وإن امرءٌ أَهْـــــــــــــدى إِليَّ صنيعة وذكَّرنيها مرة لبخيـــــــــــل

وقيل: صنوان من منح سائله ومنَّ، ومن منع نائله وضنَّ وحظر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه، لأن منَّ العباد تكدير [تعبير] ، ومنَّ الله سبحانه إفضال وتذكير، وأيضاً فإنه هو المنعم في نفس الأَمر والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده في الحقيقة. وأيضاً فالامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله.

وأيضاً فالمنة أن يشهد المعطى أنه هو رب الفضل والإنعام، وأنه ولى النعمة ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا الله، وأيضاً فالمانُّ بعطائه يشهد نفسه مترفعاً على الآخذ مستعلياً عليه غنياً عنه عزيزاً، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد، وأيضاً فإن المعطى قد تولى الله ثوابه ورد عليه أضعاف ما أعطى فبقى عوض ما أعطى عند الله.

فأي حق بقي له قبل الآخذ؟ فإذا امتن عليه فقد ظلمه ظلماً بيناً، وادعى أن حقه في قلبه. ومن هنا- والله أعلم- بطلت صدقته بالمن، فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته مع الله، وعوض تلك الصدقة عنده، فلم يرض به ولاحظ العوض من الآخذ والمعاملة عنده فمنَّ عليه بما أعطاه أبطل معاوضته مع الله ومعاملته له».[1]

ومن مضار المنّ:

(1) ينقص الأجر وقد يذهب به بالكلّيّة.

(2) آفة من آفات النّفس، ومظهر من مظاهر سوء الخلق.

[1] ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة – مصر، ط2، 1394هـ، ص 365 وما بعدها.

(3) شدّة الوعيد لمن حصل منه ذلك.

(4) يوغر الصّدور، ويحبط الأعمال.

(5) يستجلب غضب الله سبحانه، ويستحقّ صاحبها الطّرد من رحمته.

(6) إنّها صفة يتشبّه صاحبها بالمنافقين.

(7) يحرم صاحبها من نعمة نظر الله إليه وكلامه معه يوم القيامة.[1]

[1] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج11، ص 5569.

6. النميمة:

يتمثّل الجزائريون بقولهم: **طِيرْ اللِّيلْ: مْعَ الطِّيرْ يْخَرَّجْ جَنْحِيهْ، وَ مْعَ الْفَارْ يْخَرَّجْ وَدْنِيهْ.** (طِيرْ اللِّيلْ: الخفّاش، يْخَرَّجْ: يظهر، جَنْحِيهْ: جناحاه، وَدْنِيهْ: أذناه).

إذا كان الذباب ينقل الجراثيم، فيتسبب في نشر الأمراض والأوبئة التي تضعف الأبدان، فالنمام ينقل خبثه، ليتسبب في زرع الأحقاد، وقطع الصلات، وتفريق الجماعات.

أما الباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرج بالحديث والخوض في الباطل، والتلذذ بالصراعات.

إن النميمة جرم عظيم، وعمل لئيم، وقلب النمام سقيم، إنه الزارع للبغضاء المثير للشحناء، والنميمة محرمة بالإجماع، فلا طائل من ورائها سوى الإفساد بين الناس وقطع حبال وصالهم، وتعكير صفو قلوبهم.

وهي مرضٌ خطير، وداءٌ دفين يفسد القلب، ويمحو الحب، ويقطع روابط الأخوة، ويجتث المودة من أُصولها؛ ويَهدم الحسنات، ويُعَظِّم السيئات، ويُعمي البصر والبصيرة، والصبر على هجرانه صعب، والتَّخلص منه أصعب.

وداءٌ كداء النميمة، لا يُنجعه دواء، و لا يُدْرِكُ صاحبَه شفاء، الأمر الذي من أجله انعقد الإجماع على استئصاله من أصوله، واقتلاعه من جذوره، فكان الحُكم الفصل تحريمَ النميمة إجماعاً كما حُرِّمَتْ كتابا وسنة.

وقد بشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم النمام بالحرمان من الجنة، وما ذاك إلا لعظيم جرمها، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» متفق عليه.[1]

يقول الحريملي النجدي: «في هذا الحديث: وعيد شديد للنمّام، وزجر عن النميمة».[2]

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1544، ص 377.

[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 849.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة قتات» متفق عليه.[1]

والقتات بمعنى النمام، وقد قيل: النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينقل عنهم، والقتات الذي يستمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينم.[2]

عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلَامَةَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذِ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ تَتَبَّعَ الْأَحَادِيثَ يُحَدِّثُ بِهَا النَّاسَ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» . قَالَ خَالِدٌ: «يَعْنِي النَّمِيمَةَ».[3]

ومن مرادفات النميمة: الوشاية وأصله من الوشي والرقم، والإنماء و هو إذاعة الحديث على وجه النميمة، والقت وهو الكذب المهيأ وتزوير الحديث وتحسينه، والغمز وهو السعاية بالشر، والإشاطة وهي النميمة عند السلطان خاصة، والأثو وهو الوشاية عند السلطان أو مطلقا.[4]

والسعاية هي النميمة، إلا إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية.[5]

ومن مسميات النميمة الوشاية، جاء في المثل السائر: من أطاع الواشي أضاع الصديق.[6]

وَقيل فِي قَول الله تَعَالَى: ﴿حمالَة الْحَطب﴾[7] يَعْنِي امْرَأَة أبي لَهب إِنَّهَا كَانَت تنقل الحَدِيث الحَدِيث بالنميمة سمى النميمة حطباً لِأَنَّهَا سَبَب الْعَدَاوَة كَمَا أَن الْحَطب سَبَب لاشتعال النَّار.[8]

وذاك معنى المثل العربي: أخْسَرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ.

هي أيضا من قريش، وهي أم جَميل أختُ أبي سفيان بن حَرْب وامرأة أبي لَهَبٍ المذكورة في سورة (تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَب)[9]، وفيها يقول الشاعر:

---

[1] ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الحديث رقم 1505، ص 595.

[2] محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 91.

[3] الخرائطي، مساوئ الأخلاق، ص 107.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد4، ص 1937.

[5] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 308.

[6] الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج1، ص 152.

[7] سورة المسد، الآية: 4.

[8] الذهبي، الكبائر، ص 162.

[9] سورة (تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَب) أي: سورة المسد، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)﴾.

جَمَعْتَ شَتَّى وقَدْ فَرَّقْتها جُمَلاً لأنْتَ أخْسَرُ من حَمَّالَةِ الْحَطَبِ

أي أظهر خُسْرانا، وذلك أنها كانت تحمل العَضَاة والشَّوْكَ فتطرحُه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَعْقِرَه، وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي بالنَّمِيمة بين الناس، فتلقى بينهم العَدَاوة وتهيج نارَها، كما توقِد النارَ بالحطب، وتسمى النميمة حَطَباً، ويقال: فلان يَحْطِبُ على فلان، إذا كان يُغْرِي به، وقال:

مِنَ الْبِيضِ لم تَصْطَدْ على ظهْرِ سَوْءَة و لم تَمْشِ بَيْنَ القوم بالحَطَبِ الرَّطْبِ[1]

يقول الإمام أبو حامد الغزالي عن حدها: «حقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره، فينبغي أن يسكت عنه، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع لمعصية».[2]

عن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم.[3]

يقول الحريملي النجدي: «(العَضْهُ): بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء عَلَى وزن الوجهِ، ورُوِي «العِضةُ» بكسر العين وفتح الضاد المعجمة عَلَى وزن العِدَة، وهي: الكذب والبُهتان، وعلى الرِّواية الأولى: العَضْهُ مصدرٌ يقال: عَضَهَهُ عَضهاً، أيْ: رماهُ بالعَضْهِ».[4]

وقال العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه عن حد العضه أو النميمة: «...والعضة، من القطع والتمزيق ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91)﴾[5] يعني قطعا وأجزاء يؤمنون يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، فما هي الأداة المفرقة للأمة الممزقة لهم، قال هي النميمة أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب، وقد كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن رجلين يعذبان في قبورهما، وأخبر أن أحدهما كان يمشي

[1] الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 256.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 307.

[3] الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1546، ص 378.

[4] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 850.

[5] سورة الحجر، الآية: 91.

بالنميمة، وذلك أن بعض الناس والعياذ بالله يفتن فيكون شغوفا فينقل الكلام، كلام الناس بعضهم لبعض، يتزين بها عند الناس، يأتي لفلان ويقول فلان قال فيك كذا وكذا، قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا حتى إن كان صادقا فإنه حرام، ومن كبائر الذنوب، وقد نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11)﴾[1] وقال بعض أهل العلم: من نم إليك الحديث نمه منك، يعني من نقل كلام الناس إليك فإنه ينقل كلامك أنت، فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه».[2]

وفي القرآن الكريم لم يرد لفظ النم إلا في آية واحدة، إلا أن النهي عن النميمة يفهم من معاني آيات أخرى، كالتي تدعو إلى ترك اللغو؛ والكلام المذموم؛ أو التي تدعو إلى التثبت من الأحاديث قبل تصديقها وإشاعتها.[3]

وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم، بعدم طاعة من يمشي بين بما يفسد الود والمحبة بينهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11)﴾[4].

كما أن الله جل وعلا قد توعد بالعذاب والهلاك لمن يطعن في أعراض الناس، فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1)﴾[5].

ولقد جاء الوعيد الشديد على من يمشي بين الناس بالنميمة، عذاب في القبر وحرمان من جنة عرضها السموات والأرض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» متفق عليه[6].

---

[1] سورة القلم، الآيتان: 10،11.

[2] محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج2، ص 610 وما بعدها.

[3] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد4، ص 1937.

[4] سورة القلم، الآيتان: 10،11.

[5] سورة الهمزة، الآية: 1.

[6] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 1546، ص 378.

يقول صاحب (الزواجر عن اقتراف الكبائر): «معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان يكبر عليهما، أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلاه وهو التتره من البول وترك النميمة، و لم يرد أن المعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين وأن الذنب فيهما هين سهل.

قال الحافظ المنذري: ولخوف توهم مثل هذا استدرك – صلى الله عليه وسلم – فقال بلى إنه كبير».[1]

ويقول الحريملي النجدي: «قَالَ العلماءُ معنى: (وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ) أيْ: كَبيرٍ في زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

في هذا الحديث: إثبات عذاب القبر، ووجوب إزالة النجاسة مطلقًا، والتحذير من ملابستها.وفيه: أنَّ النميمة من الكبائر».[2]

ويقول فيصل الجوابرة: «أبدى بعض العلماء للجمع بين هاتين الخصلتين مناسبة، وهي أن البرزخ مقدمة الآخرة، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء، ومفتاح الصلاة التطهر من الحدث والخبث، ومفتاح الدماء الغيبة والسعي بين الناس بالنميمة بنشر الفتن التي يسفك بسببها الدماء».[3]

وعن خبث فعال النمام وما يتسبب فيه من أذى لغيره، فيضلّ ويزلّ غيره، قد أجمل المثل الشعبي الجزائري في تبيان مضار النميمة ومترتباتها، إذ يقول: **اللّي مَا يَقْدَرْشْ عْلِيهْ الشّيطَانْ فِي عَامْ، يْدِيرُو الْقَرَّاضْ فِي سَاعَه**. (اللّي: الذي، مَا يَقْدَرْشْ: لا يستطيع، يْدِيرُو: يفعله، الْقَرَّاضْ: النّمّام).

النميمة خطر جسيم على التماسك المجتمعي، بها تنتعش الأحقاد، وتحيا الخصومات، وعلى أرضها تتوالد النزاعات، وتترعرع الخلافات، وتنشأ التصدعات، وعلى مائدتها تعرض كل أنواع

[1] شهاب الدين أبو العباس، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج1، ص 209.
[2] الحريملي النجدي، تطريز رياض الصالحين، ص 849.
[3] محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ص 105.

الشرور، من أطباق التفرقة، ومن أفواه لائكيها تتطاير الجراثيم وتنتشر الأمراض، لتتسلط على جسد الأمة فتنخره وتُحيله كجذع نخل خاو.

مصداق ذلك ما قاله يحي بن أكثم: النمام أشر من الساحر، فإنه يعمل في يوم ما لا يعمل الساحر في شهر.[1]

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: النَّمَّامُ يُفْسِدُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ.[2]

وقال الإمام علي رضي الله عنه: يعمل النمام من ساعة، فتنة أشهر.[3]

وَيُقَال: عمل النمام أضر من عمل الشَّيْطَان، لِأَن عمل الشَّيْطَان بالوسوسة وَعمل النمام بالمواجهة.[4]

العاقل يجانب النميمة لأنها تثمر هتك الأستار، وتدفع إلى إفشاء الأسرار، وتورث الضغائن، وترفع المودة، وتجدد العداوة، وتبدد الجماع، وتهيج الحقد، وتزيد الصد، فمن وشيء إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت، وقبول العذر إذا اعتذر، وترك الإكثار من العتب مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبة عند الإساءة.[5] الإساءة.[5]

ولله در القائل:

ومن نم في الناس لم تؤمن عقاربـــــــه على الصديق و لم تؤمن أفاعيـــــــــه

كالسيل بالليل لا يدري به أحـــــــد من أين جاء ولا من أين يأتيـــــــــه؟!

الويل للعهد منه كيف ينقضـــــــــه والويل للود منه كيف يفنيـــــــــه؟![6]

---

[1] عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001م، ص 52.

[2] البيهقي، الآداب، ص 44.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 502.

[4] الذهبي، الكبائر، ص 162.

[5] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 506.

[6] الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج1، ص 154.

وقال بعض الأدباء: لم يمش ماش شر من واش.[1]

والنميمة تضرم بها نار العداوة وتؤجج فلا تبقي مودة ولا تذر ألفة، بل هي ذريعة إلى تكدير كل صفو وتغيير كل حسن بل وتقبيحه في النفوس. فمن درر الحكم: النمام جسر الشر.[2]

فتجد من كان الحب عنوانهم، والوفاء شعارهم، والصفاء سمتهم، ومن كانوا لا غنى عن بعضهم البعض، قد تعادوا بفعل نمام آثم سافل جاهل لا مَقام له ولا مُقام، كما يقول المثل الشعبي الجزائري: **الذَّمَّامْ وَالنَّمَّامْ مَا عَنْدْهُمْ مْقَامْ.** (الذَّمَّامْ: من يسأل الناس إلحافا، مرتديا لباس الذل والهوان).

يقول الذهبي: «صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم"، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بشراركم؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "شراركم المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت". والعنت: المشقة».[3]

وقيل: الأذلّاء أربعة: النمام والكذاب والمديون والفقير.[4]

وقد قيل: النمام من بني آدم مذموم عند الله سبحانه وتعالى وعند عباده.[5]

يقول الحزيمى: «ولا يقوم بالنميمة والوشاية بين الناس، إلا من أصيب بداء الدناءة والخسة، ومن ضعف إيمانه، فامتهن الكذب والخيانة، واستحل نقل الكلام والوشاية بالناس، وإثارة الخلاف والإفساد بينهم. ولذا كان تحريم الإسلام لها، ووضعها ضمن كبائر الذنوب، يتوافق مع تحريمه لما

---

[1] محمد منير مرسى، مجتمع الفضيلة – الأخلاق في الإسلام، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م، ص 120.

[2] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 455.

[3] الذهبي، الكبائر، ص 211.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 61.

[5] عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت و الكلام، ص 52.

يصاحبها من الخصال المحرمة كالكذب والخيانة والظلم والعدوان. وكذلك نتيجة لما يترتب على فعلها من آثار ضارة على الأفراد والمجتمعات. فهي في جوهرها وآثارها الممقوتة تتعارض مع مبادئ الشريعة، التي تدعو إلى تقوية أواصر الأخوة والمودة، والعمل على إشاعة الألفة والإصلاح بين الناس، وحماية أنفس المؤمنين وأعراضهم».[1]

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لا ينم عن الناس إلا ولد بغي.[2]

وقد قيل: من سعى بالنميمة حذره القريب، ومقته الغريب.[3]

فالنميمة مضارها جسيمة، وآفتها عظيمة، فهي تقطع علائق المودة، وتبعث العداوة والبغضاء والشدة، فمن جعل النمام خليله هلك، ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

مَن جَعَلَ النَمّامَ عَيناً هَلَكا مُبلِغُكَ الشَرَّ كَباغيهِ لَكـــــــــــا[4]

ذكر السعاة عند المأمون فقال رجل ممن حضر: لو لم يكن من عيبهم إلا أنهم أصدق ما يكونون أبغض إلى الله تعالى، لكفاهم.[5]

وقيل: الساعي غاش وإن قال: قول المتنصح.[6]

وقال الشاعر:

إن النميمة نار ويك محرقة فَفِرَّ عنها وجانب من تعاطاهـــــــا[7]

ومما نسب إلى سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال لابنه: يا بني إياك والنميمة فإنها أحد من السيف.[8]

النميمة سيفٌ قاتلٌ.[1]

---

[1] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد4، ص 1942.

[2] الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج1، ص 152.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 51.

[4] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 502.

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 333.

[6] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج1، ص 470.

[7] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 502.

[8] المرجع نفسه، ج1، ص 503.

لقد حرم الإسلام النميمة، بل وشدّد على ذلك، وما كان تحريمها عبثاً في دين قدَّم دَرْء المفاسد على جلب المصالح، وجعل التخلية أولى من التحلية؛ بل حُرِّمت بعد أن ثبت لذوي الألباب كونها ذريعة إلى تفكيك المجتمع، و تمزيق شمله، و تفريق جمعه، وحَلِّ عُراه.

والعرب قد تمثلت بقولها: النَّمِيمَةُ أُرْثَةُ العَدَاوَةِ. الأرْثَة والإرَاثُ: اسمٌ لما تُؤَرَّثُ به النار، أي النميمة وقُودُ نارِ العداوة.[2]

وقد تمثلت العرب عن النمام فقالت: ديكه يلقط الحب. ويروى: يلتقط الحصا.[3]

فالنمام يستقصي الأخبار من هنا وهنا، لينشر الفساد والشقاق بين الناس، فيثير الخلافات بينهم، فذاك شغله وهمه الأوحد من دون كلّ ولا ملّ، والمثل الشعبي الجزائري يقول في هذا الصدد: **مَا يْخَلِّيهَاشْ تَبْرَدْ**. (مَا يْخَلِّيهَاشْ: لا يتركها).

فبمجرد سماعه لخبر أو كلام يسعى في نقله بسرعة، قصد زرع العداوة وبث سموم سوء فعاله، خاصة لو علم أن ما سمعه يؤذي من سينقله إليه، مع زيادة فيه وتنميق حتى يكون لسمه التأثير على من سينم إليه، ولو كان أمرا خيرا لرأيته متباطئا متكاسلا، فتعجيله في الشر وتأجيله للخير دلالة على لؤم طبعه وفساد سريرته وخبث قلبه.

ولله درّ القائل:

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علمـــــــوا شرّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبـــــــوا[4]

ولما كان النمام هتّاكا للأعراض، مبديا ما ستر، و مظهرا ما أضمر، مثلت له العرب بالصبح الذي يبدي كل شيء، وبالتراب الذي يبقى عليه الأثر، فقالوا: أنم من الصبح[5]، وأنم من التراب.[6]

---

[1] الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص 455.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 345.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 270.

[4] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق و الآداب، المجلد 4، ص 1941.

[5] أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج2، ص 315.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص 315.

وفي المثل الشعبي الجزائري: **يَدْخُلْ مَا بِينْ الظْفَرْ وَاللّحَمْ**. ولا يدخل بينهما غير الأوساخ، كما يبينه المثل الشعبي الجزائري: **مَا يَدْخُلْ بِينْ الظْفَرْ وَاللّحَمْ غِيرْ الوْسَخْ**.

فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة نمام، وكم من صفيين تباعدا، وكم من متواصلين تقاطعا، وكم من محبين تفرقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطالقا.[1]

وقال بعض الحكماء: احذروا أعداء العقول، ولصوص المودات، وهم السعاة والنمامون.[2]

وقد قيل: إياك والنميمة، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا عداوة إلا جددتها، ولا جماعة إلا بددتها، ثم لا بد من عرف بها أو نسبت إليه أن يتحفظ من مجالسته، ولا يؤتى بناحيته وأن يزهد في مناقشته، وأن يرغب عن مواصلته.[3]

قال عبدة بن الطّبيب:

واعصوا الذي يسدي النميمة بينكم متنصحا وهو السّمام المنقّـــــــع[4]

أما صالح بن عبد القدوس فهو يرى أن من يخبرك بشتم أخ فهو الشاتم وذلك حيث يقول:

من يُخبرك بِشَتمِ عَن أَخ فَهوَ الشاتِم لا من شَتَمَـــــــــــــــك

ذاكَ شَيءٌ لم يُواجِهك إِنَّما اللَومُ عَلى مَن أَعلَمَـــــــــــــــك

كَيفَ لَم يَنصُرُكَ إِن كانَ أَخـــــاً ذا حِفاظ عِندَ من قد ظَلَمَـــــــــــــــك[5]

ولله درّ النابغة الذبياني حيث يقول:

لَئِن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عَنّي لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وَأَكْـــــــــــــــذَبُ[6]

النمام هادم المحبة، يبث مكره، وينفث سمومه، ويزرع غيّه، حتى تستفحل البغضاء وتحل رباط المودة، لا يكل ولا يمل حتى يرى الفرقة قد حلت محل الألفة بين المتحابين، ولا يهنأ له بال

---

[1] الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج1، ص 152.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 152.

[3] صالح بن جناح اللخمي، الأدب والمروءة، تحقيق وتعليق: قسم التحقيق بالدار، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1412ه/1992م، ص 36.

[4] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج3، ص 349.

[5] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 502.

[6] المرجع نفسه، ج1، ص 503.

حتى تتحقق مراميه الهادفة لزعزعة أركان الترابط، وهدم أواصر التآزر، واجتثات أصول التآلف، وذاك قولهم في المثل الشعبي الجزائري: **يْقَرَّضْ بِينْ الَحْمَارْ وْ عَلْفَهْ**. وكلمة (يْقَرَّضْ: بمعنى ينمّ).

هذا مع العلم بأن الحمار وهو الذي يبذل الجهد في أعماله الشاقة، لا غنى له عن الأكل لاستعادة طاقته المستنفذة، والمثل يصور لنا ذلك الذي يحاول جهده أن لا يجد الحمار ما يأكله فيهلك، حاله حال من لم يجد إلفه بعدما أفسد النمام ما كان بينهما، وذاك ما يصبو إليه زارع البغضاء، ومثير الشحناء، فتؤول القلوب إلى التنافر بعد الاجتذاب، والأرواح إلى الاختلاف بعد الائتلاف.

ولله درّ القائل:

تمشيت فينا بالنميمة وإنما تفرق بين الأصفياء النمائم[1]

ومن وصايا أعرابية لابنها: أي بني، إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين.[2]

المحبين.[2]

أما الأعشى الكبير يقول:

وَمَن يُطِعِ الواشينَ لم يَترُكوا لَهُ صَديقا وَإِن كانَ الحَبيبَ المُقَرَّبا[3]

وقال أعرابي: دع النمائم، فإن أولها سمائم، وآخرها مآثم.[4]

فعلى كل مؤمن بالله أن يحذر من النمام ويتقي شره، وليحذر أن يظلم غيره بكلام فاسق، وعليه يجب أن يرد عليه كلامه، وأن يعلم علم اليقين بفساد طبع ذلك الحقير، وخبث قصده، وخبيث مقصده، ولؤم نفسه، وشناعة فعلته.

قال الشاعر:

لا تقبلن نميمة بلغتها وتحفظن من الذي أنباكا

---

[1] المرجع السابق، ج1، ص 503.

[2] محمد منير مرسى، مجتمع الفضيلة الأخلاق في الإسلام، ص 120.

[3] حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، ج1، ص 502.

[4] أبو حيان التوحيدي، البصائر و الذخائر، المجلد 3، ج5، ص 19.

إن الذي أنباك عنه نميمـــــــــــــــة سَيَدُبُّ عنك بمثلها قد حاكهـــــــــا[1]

حاكهـــــــــا[1]

ويقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب:

مهبول من يحرث الفـــــــــــــول في شـــط مالـــح يلوحـــــــــــــــه

مهبول من ياخذ القـــــــــــــول في صاحب عوض روحـــــــــــــــه[2]

ولن يسلم من مكائد النمام إلا من أخذ حذره منه، فأوقفه عند حده، وتجاهل أقواله، بل وعنفه على سوء فعاله، فقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي أمورا ستة تكن عونا لمن أراد أن يتقي شر ذلك النمام الحقير:

أولا: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)﴾.[3]

ثانيا: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله، قال الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)﴾.[4]

ثالثا: أن يبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

رابعا: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا: (12)﴾.[5]

خامسا: أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقيق اتباعا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا (12)﴾.[1]

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج2، ص 333.

[2] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب، ص 25.

[3] سورة الحجرات، الآية: 6.

[4] سورة لقمان، الآية: 17.

[5] سورة الحجرات، الآية: 12.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما سعى إليه رجل برجل آخر: يا هذا، نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقا مقتناك، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين.[2]

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، عندما ذكر له رجل شيئا عن رجل آخر، فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[3]، وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11)﴾[4]، وإن شئت عفونا عنك؟ ، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدا.[5]

من مضار النميمة:

(1) طريق موصّل إلى النّار.

(2) تذكي نار العداوة بين المتآلفين.

(3) تؤذي وتضرّ، وتؤلم، وتجلب الخصام والنّفور.

(4) تدلّ على سوء الخاتمة، وتمسخ حسن الصّورة.

(5) عنوان الدّناءة والجبن والضّعف والدّسّ والكيد والملق والنّفاق.

(6) مزيلة كلّ محبّة ومبعدة كلّ مودّة وتآلف وتآخ.[6]

---

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص 307.

[2] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 4، ص 1940.

[3] سورة الحجرات، الآية: 6.

[4] سورة القلم، الآية: 11.

[5] سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد 4، ص 1940.

[6] صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ج 11، ص 5671.

وبهذا نأتي على ختام هذا البحث في هذه الدراسة لمجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية التي عالجت موضوع القيم الأخلاقية الإسلامية، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

الأمثال فن من الفنون الأدبية الشعبية، قد ألّمت بكل جوانب الحياة من حب وكراهية ومعاملة وأخلاق وغير ذلك مما يتعلق بالحياة وينبع عنها ويصب فيها؛ فمجالها واسع، ونطاقها شاسع؛ وبها يعرف أخلاق الشعب، وتعلم نظرته للحياة بناء على معتقداته، عاداته وتقاليده وتفكيره.

يعد المثل من ألطف الأشكال التعبيرية، وأَسْيَرِهَا بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومستوياتهم؛ وذلك لاستحسانه في الأسماع، وقربه إلى الأفهام؛ وسحر وقعه على النفوس.

فالمثل هو تلك العبارة الموجزة التي صاغها إنسان أوتي الحكمة، فَجُبِلَتْ قريحته على حسن الصياغة وبراعة التصوير؛ فاستحسنها غيره وتداولتها ألسنتهم واستشهدوا بها في مواقفهم المماثلة لما ضرب له ذلك المثل؛ ومن ثمة شاع وذاع وصار ملكا للمجتمع كله.

وأمثال كل شعب مصدر لمعرفتهم، وتصوير لأحوالهم في سائر مناحي الحياة؛ وسجل لأنواع العلاقات القائمة بين أفراده؛ وكشف خبايا العادات والمعتقدات السائدة فيه؛ إنها ألصق بالحياة الشعبية وأصدق معبِّر عنها، فمجالها في ذلك واسع ونطاقها شاسع.

والمثل وإن صَغُرَ حجمه؛ وقَلَّ لفظه؛ إلا أنه يحوي بين جنباته حكما جليلة، تتراوح بين التلميح والتصريح، والترغيب والترهيب؛ والنصح والإرشاد، بأساليب متنوعة وطرق متعددة، كما نجد بين طياته إيجاز اللفظ؛ وقوة اللغة؛ وفصاحة البيان؛ وكثافة المعاني؛ ومحكم السبك؛ وبلاغة التصوير لحال الشعوب والأمم باعتباره الخلاصة المركزة لمختلف التغيرات والتصورات التي تمثل حياة أفراد المجتمع ومواقفهم المعيشية، الذاتية منها والموضوعية.

ولما كان المثل تصويرا للحياة الشعبية؛ ومرآة صادقة ومطابقة لما يعيشه الشعب من آمال وآلام، اكتسى طابع الشعبية سواء كان فصيحا أم عاميا؛ لأن العامية في المثل الشعبي تعد بلاغة وفصاحة؛ لأنها تبلغ مقاصد الفهم ومرام الاستيعاب عند من يتداولون مصطلحاتها.

إن الأمثال الشعبية تعد بحق السجل الثقافي؛ والمنظومة الفكرية؛ والإرث العريق؛ والكنز النفيس، فلكل شعب أمثاله التي يفخر بها؛ وهذا ما نلمسه في الثقافة الشعبية الجزائرية إذ أنها تزخر بثروة من الأمثال التي تبرز عراقتها النابعة من الثقافة العربية الإسلامية، وتداخلها الثقافي والحضاري والمجتمعي مع مختلف الشعوب، مما يدل دلالة واضحة على أصالتها وعراقتها وتفتحها على جميع الثقافات.

اللهجة لا تعد مطعنا في بلاغة المثل، ولا منقصة من قدراته التبليغية والتأثيرية؛ لأن الأذواق تحصل بكثرة استعمال لغة ما؛ وما تعارف عليه أفراد المجتمع من مصطلحات تبلغهم مقاصد الفهم ومراد الاستيعاب؛ فكل فرد مدرك لبلاغة لغته وذائق لمحاسن الكلام المتداول بين أفراد مجتمعه؛ ومنه فعاميته ليست عيبا ولا منقصة، وإنما هي بلاغة وفصاحة.

ومن جملة المواضيع التي تناولتها الأمثال الشعبية الجزائرية تحليلا ونقدا؛ موضوع القيم الأخلاقية الإسلامية.

وقد تشربت الأمثال الشعبية الجزائرية من القيم الإسلامية، فكانت داعية إلى معالي الأخلاق، ناهية عن سفاسفها، ببراعة في التصوير؛ وصدق في التعبير؛ وبلاغة في الأسلوب، كل ذلك ما بين نصح رشيد، ورأي سديد، وقد اتسمت بطابعها الأخلاقي القويم الذي ينسجم وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف؛ فلا تنافر ولا تناقض بينهما؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أصالة الثقافة الشعبية الجزائرية وعراقتها.

الإسلام دين الأخلاق الحميدة، دعا إليها، وحرص على تربية نفوس المسلمين عليها. وقد مدح الله -تعالى- نبيه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[1].

يعد القرآن الكريم هدي رب العالمين، ودستور المسلمين الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، والنور الرباني الذي يرسم معالم النهج القويم، والمسير لشؤون العباد، والضياء الذي يربيهم على مكارم الأخلاق ومعاليها، وينأى بهم عن براثن الأخلاق وسفاسفها.

[1] سورة القلم، الآية: 4.

ولعل المتتبع للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية يجد نصوصاً كثيرة تُرغِّب في معالي الأخلاق وتحثّ عليها، وتُرغِّب عن سفاسفها وتُرهِّب منها، ففيها إشارات صريحة إلى أن غرس القيم والمثل العليا في النفوس من أسباب الفلاح، ومقومات النجاح، وسببا من أسباب الرفعة والرقي، بها تتفاضل الأمم، وتبني حضاراتها.

أمرنا الله بمحاسن الأخلاق الفاضلة، وجعلها سببًا للنجاح والفلاح، ومنالا للفوز والظفر بالأجر، وبحسن الخلق يبلغ المسلم أعلى الدرجات، وأرفع المنازل، ويكتسب محبة الله ورسوله والمؤمنين، ويفوز برضا الله سبحانه وتعالى، وبدخول الجنة.

فعلى المرء أن يتجمل بحسن الخُلُق، وأن يكون قدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة العالمين، متمما لمكارم الأخلاق, فقد كان خلقه القرآن، بل مصحفا بين الناس ماشيا، وقد بين صلى الله عليه وسلّم أنَّ الدين هو حسن الخلق, وقد تأسى الصحابة به واقتدوا به, وظهر ذلك في أقوالهم وأفعالهم، وتبعهم على ذلك التابعون بإحسان.

وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن الإنسان قبل أن يفعل شيئا أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضيا مقبولا انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكمشت النفس عنه وكرهته وأحجمت عنه تركا كان أو فعلا.

لطالما كانت الأخلاق الحبر الذي يرسم في صفحات التاريخ سِيَرَ أناس وحياتهم، إذ اتصفوا بمحاسنها، فسعوا جاهدين على صقل سلوكاتهم، وضبط تصرفاهم.

وبهذا أكون قد أنهيت ما أقدمت عليه من دراسة للقيم الأخلاقية الإسلامية في ضوء الأمثال الشعبية الجزائرية؛ مساهمة مني ولو متواضعة في التعامل مع ألطف صور التعبير، وأرق أجناسه في تراثنا الشعبي.

ومما يتعذّر على أي باحث هو الإحاطة بكل ما يقتضيه البحث؛ فمجال الأمثال الشعبية الجزائرية أوسع من أن يحاط به؛ فجلها ينتظر الجمع والتحليل، وكذا دراسة مضامينها وتشريح معانيها؛ ولا يتأتى ذلك إلا إذا تآزرت الجهود، بغية الحفاظ على هذا الإرث الحضاري والكنز الثقافي.

وفي الختام أقول: لقد بذلت جهدا أحتسبه عند الله عز وجل، وحسبي أني اجتهدت، فما كان من صواب فمن الله وحده، والحمد لله الذي هداني إليه، وما كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، فأستغفر الله منه وأتوب إليه، ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي، وبصّرني بها، وصلى اللهم وسلّم على محمّد النموذج الأوحد الذي حاز شرف ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾[2] وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أرجو الله أن أكون قد وفقت للصواب؛ وأن يكون عملي هذا خالصا لوجه الله الكريم؛ وبالله التوفيق وهو المستعان.

لله درّ من قال:

وما من كاتب إلا ويفنـــــــــى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شـــــيء ... يسرك في القيامة أن تـــــــــراه

[2] سورة القلم، الآية: 4.

ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية
مرتبة حسب الموضوعات

الترغيب في معالي الأخلاق

الصفحة	﴿ بر الوالدين ﴾
40	* الْوَالْدِينْ رَبْحِي وْ رَاسْ مَالِي، وْطَاعَتْهُمْ فَرْضْ الْعَالِي.
40	* مَنْ طَاعْ الْوَالْدِينْ نَالْ الدَّنْيَا وَالدِّينْ.
45	* طَاعَةْ الْوَالْدِينْ مْنَ الدِّينْ.
45	* الْوَالْدِينْ تَاجْ فُوقْ الرَّاسْ.
45	* مَرْضِي الْوَالْدِينْ مَا يْشُوفْ بْلَا، وَلَّا سْوَايَعْ مْخَبَّلَه.
49	* الْوَالْدِينْ مَنْهُمْ الرِّبَحْ وْ مَنْهُمْ الَخْسَارَه.
50	* الطَّايَعْ وَالْدِيهْ كُلّْ خِيرْ يْجِيهْ.
	﴿ الصدق ﴾
57	* مَنْ كَانْ حُرّْ، قَالْ الْحَقّْ يَا لَوْ كَانْ مُرّْ.
59	* اللِّي قَالْ الصَّحْ يَرْبَحْ.
61	* الصَّحْ مْلِيحْ وْ مُولَاهْ عَمْرُو مَا يْطِيحْ.
64	* الصَّرَاحَه رَاحَه.

* قُلْ الْقَمْحْ خِيرْ مْنَ الشْعِيرْ وْ مَا يْحَاسْبَكْشْ الله.	64
* الْحَقّْ حَقّْ، وَالْكْذَبْ تَسْفِيهْ.	65
التواضع	
* الْمَتْوَاضَعْ يَرَّفْعَهْ الْعَالِي، وْ شَانَهْ غَالِي.	80/70
* الْمُومَنْ خَاضَعْ مَتْوَاضَعْ.	75
* عَاشْ مَنْ عْرَفْ قَدْرَهْ.	78
* السّْبُولَه الْعَامْرَه رَاسْهَا فْ الَارْضْ، وْ السّْبُولَه الْخَاوْيَه رَاسْهَا فَ السّْمَا.	81
* السّْبُولَه الْعَامْرَه رَاسْهَا مَايَلْ، وَ الْخَاوْيَه فَ السّْمَا تَتْمَايَلْ.	81
القناعة والتعفف	
* الْبَرَكَه فَ الْقْلِيلْ.	84
* أَلْبَسْ مَا سْتَرْ وْكُولْ مَا حْضَرْ.	92
* التّْمَرْ وَ اللّْبِينَه وْ رَبِّي يْهَنِّينَا.	92
* الْخُبْزْ، الْمَا وَ الَهْنَا.	92
* كُوخْ نَضْحَكْ فِيهْ، خِيرْ مَنْ قْصَرْ نَبْكِي فِيهْ.	94
* مَا تَدِّي غِيرْ مَا كْتَابْ لِيكْ.	95
* اللِّي مَاشِي مَكْتُوبَه مْنَ الْفُمْ تْطِيحْ.	96
* امْشِ بَالْحْفَا، حَتَّى يَاتِيكْ الصّْبَّاطْ.	97

* الَهْنَا هُوَ الَغْنَى.	97
الكرم والضيافة	
* الْجُودْ مْنَ الجْدُودْ.	101
* اطْلَقْ يَدَّكْ، رَبِّي يَغْنِيكْ	105
* اطْلَقْ يَدَّكْ، رَبِّي يْزِيدَكْ.	105
* اطْلَقْ مَا فَ الْجِيبْ، يَاتِيكْ مَا فَ الْغِيبْ.	106
* اطْلَقْ مَا فَ الْجِيبْ، وْرَبِّي يْجِيبْ.	106
* الْيَدْ اللِّي تْمَدْ خِيرْ مَنْ اللِّي تْشَدْ.	107
* اقْصَدْ الدَّارْ الَكْبِيرَه: إِذَا مَا تْعَشِّيتْشْ، تْبَاتْ دَافِي.	107
* الضِّيفْ بْخِيرَهْ.	108
* الضِّيفْ بْرَزْقَهْ.	108
* الضِّيفْ الْمَبْرُوكْ يْوَكَّلْ الَعْيَالْ.	108
* اعْطِينِي ضَحَّكْتَكْ، خَلِّي عَنْدَكْ خُبْزْتَكْ.	108
* الضِّيفْ مَا يَشَّرَّطْ، وْ مُولْ الدَّارْ مَا يْفَرَّطْ.	112
* الضِّيفْ يَاكُلْ مَا حْضَرْ، وَ يْنَقَّصْ مْنَ النْظَرْ.	113
* إِذَا غَنَّى مُولْ الدَّارْ، الضِّيفْ يَشْطَحْ.	113
* الْجُودْ مْنَ الْمَوْجُودْ.	113

* اللهْ يَرْحَمْ مَنْ زَارْ وْ خَفَّفْ.	114
* ضِيفْ عَامْ يَلْزَمْ لِيهْ الذْبِيحَه، وْ ضِيفْ شْهَرْ يَلْزَمْ لِيهْ مَاكْلَه مْلِيحَه، وْ ضِيفْ كُلّْ يُومْ يَلْزَمْ لِيهْ طْرِيحَه.	114
* ضِيفْ لِيلَه نَرْفَسْ لِيهْ، وْ ضِيفْ لِيلْتِينْ كِيفْ نَعْمَلْ لِيهْ.	114
* ضِيفْ يُومْ ظْرِيفْ، وْ ضِيفْ يُومِينْ خْفِيفْ، وْ ضِيفْ كُلّْ يُومْ مَا عَنْدَهْ نِيفْ.	114
* الضّْيَافَه ثْلَاثْ ايَّامْ، وَالرَّابَعْ صَدَقَه.	115
* الضِّيفْ ضِيفْ لُو كَانْ يَقْعُدْ الشْتَا وَالصِّيفْ.	115
الصبر	
* إِذَا صْبَرْتُو نَلْتُو وْأَمْرْ اللهْ نَافَذْ، وْإِذَا مَا صْبَرْتُو خْسَرْتُو وْأَمْرْ اللهْ نَافَذْ.	117
* ابْنَ ادَمْ فَارَحْ وَحْزِينْ إِلَى يُومْ الدِّينْ.	117
* الصّْبَرْ مَفْتَاحْ الْجَنَّه.	121
* الصّْبَرْ هْدِيَّةْ الرَّحْمَانْ.	125
* اللِّي مَنْ نْصِيبَكْ يْصِيبَكْ.	127
* اللِّي مَكْتُوبْ فْ الَجْبِينْ، تْشُوفَهْ الْعِينْ.	127
* الشَّكْوَى للهْ، أَمَّا النَّاسْ غِيرْ يَسْتَشْفَاوْ.	128
* الشَّكْوَى لْغِيرْ اللهْ ذُلّْ.	128
* الصّْبَرْ للهْ، وْمَا خَابْ مَنْ تْرَجَّاهْ.	130

* الشَّكْوَى لَلْعَبْدْ فْضِيحَه.	130
* الْهَمّْ إِذَا شْكِيتْ يْطُولْ، وْإِذَا صْبَرْتْ يْزُولْ.	130
* شَدَّه وَ تْزُولْ.	132
* كُلّْ قَرْحَه مْقَابْلَتْهَا فَرْحَه.	133
* اللِّي صْبَرْ وَ اسْتَنَّى يْنَالْ مَا يَتْمَنَّى.	134
* الصَّابَرْ يْنَالْ.	134
* الصَّابَرْ جَابَرْ.	136
* مَا كَانْشْ شَجْرَه مَا هَزَّهَاشْ الرِّيحْ.	136
* النَّبِي حْبِيبْ اللهْ؛ وْ رَبِّي بْلَاهْ.	136
* الصَّابَرْ حْبِيبْ اللهْ.	138
* الصَّبْرْ دْوَا الَمْحَايَنْ.	138

* عَاصِي وَالْدِيهْ: بَابَهْ مَسْدُودَه، وْ دَعَّوْتَهْ مَرْدُودَه.	142
* عَاصِي الْوَالْدِينْ خَاسَرْ الدَّنْيَا وَالدِّينْ.	147
* مَنْ سَبّْ وَالْدِيهْ مَا يَرْبَحْ، مَا يَطْلَعْ عْلِيهْ صْبَحْ.	150
* اللِّي مَا رْضَى وَالْدِيهْ، لَا خِيرْ فِيهْ.	151
* اللِّي عْصَى وَالْدِيهْ لِيَّامْ تْوَرِّيهْ.	152
* اللهْ يَحْفَظْنَا مْنَ الدِّينْ وْ دَعْوَةْ الْوَالْدِينْ.	153
* احْتَرَمْ بُوكْ، وَلَوْ كَانْ صُعْلُوكْ.	154
* لَعْنَةْ اللهْ عْلَى مَنْ عْصَى بَابَاهْ وْ يَمَّاهْ.	155
الكذب	
* الْكَذَّابْ عَايَشْ فَ الْعْذَابْ.	158
* اللِّي زَادْ فِي مْنَامَهْ، زَادْ فِي عْذَابَهْ.	167
* الْحَقّْ حَقّْ وَالْكْذَبْ إِلَّا تَسْفِيهْ.	167
* الْكْذَبْ مَا يْزِيدْ فَ الرَّجْلَه.	168
* الْكْذَبْ مَا يَبْنِي الَخيَامْ؛ وِ اذَا بْنَاهُمْ يَتْهَدَّمُو.	169
* الْكَذَّابْ يَبْنِي بْلَا سَاسْ.	169
* خُذْ الْكَذَّابْ بَالنَّسْيَانْ.	170
* حْدِيثَكْ لَا تَنْسَاهْ.	170

* وَصَّلْ الْكَذَّابْ لْبَابْ الدَّارْ.	171
* الْكَذَّابْ طَوَّلْهْ الَحْبَلْ.	171
* كْثِيرْ الْحَلْفْ كَذَّابْ.	172
* الَكْذَبْ فَ الصَّالْحَه حْلَالْ.	175
الباب الثاني	
* المَتْكَبَّرْ كِالرِّيشَه وَسْطْ الرِّيحْ، تَعْيَا فَ السَّمَا وَتْطِيحْ.	178
* الِاسْمْ عَالِي وَالْبُرْجْ خَالِي.	192
* الفُوخْ وَالزُّوخْ وَالْعْشَا يْجِيبْ الله.	193
* مَا يَرْفَعْ رُوحَهْ غِيرْ الدُّخَّانْ.	193
* يَا الَمْزَوَّقْ مَنْ بَرَّا وَاشْ حَالَكْ مَنْ الدَّاخَلْ.	194
* الْبِيدُونْ الْخَاوِي يْقَرْقَبْ.	196
* مَنْ مْشَى وَتْبَخْتَرْ، فْ عَيْن النَّاسْ يَصْغُرْ.	197
* قَالْ الطِّيرْ لَلشَّجْرَه: أَصَّبْرِي عْلَى ثَقْلِي، قَالَتْ لِيهْ: مَا نَعْرَفْ وَاشْ مَنْ غْصَنْ رَاكْ فِيهْ؟	199
* مَا تْخَافْشْ مْنَ الشَّبْعَانْ إِذَا جَاعْ، خَافْ مْنَ الْجِيعَانْ إِذَا شْبَعْ.	199
* مَنْ طْغَى يَنْزَلْ، وْ مَنْ تْقَيَّدْ يَنْعْزَلْ.	199

الطمع	
* الطّمَعْ يْفَسَّدْ الطّبَعْ.	204
* الدَّنْيَا تْفُوتْ، كُلّ حَيّْ فِيهَا يْمُوتْ، وَالطَّامَعْ بِهَا مَشْمُوتْ.	207
* الطّمَعْ يْجَرّي الشّْيُوخْ.	208
* اللّي مَا كْفَاهْشْ قَبْرَهْ يَرْقُدْ فُوقَهْ.	209
* اللّي بغاها قاع، خلاها قاع.	209
* اللّي ما قنع بخبزة، ما يقنع بنصّها.	209
* اللّي مَا شْبَعْ مْنَ الْقَصْعَه، مَا يَشْبَعْ مْنَ لْحِيسْهَا.	210
* جَا يَسْعَى، وَدَّرْ تَسْعَه.	211
* اللّي مَا هُوَ لِيكْ غِيرْ يْعَيّيكْ.	212
* الطَّمَاعْ يْبَاتْ سَارِي.	214
* مُولْ الْخُبْزَه يَطْمَعْ فِي مُولْ النَّصّْ.	215
* الطَّمَاعْ: لِيلَهْ وَسْوَاسْ، وَنْهَارَهْ مْسَالَهْ النَّاسْ.	215
الهمّة والعطية والصدقة	
* مَنْ دَارْ خِيرْ وَعْلِيهْ نْدَمْ، كُلّ مَا بْنَى هَدَّمْ.	220

* دِيرْ الْخِيرْ وَ انْسَاهْ.	226
* مَنْ دَارْ خِيرْ وَ حْكَاهْ، أَجْرَهْ مْحَاهْ.	227
* مَنْ عَدّْ الْخِيرْ، مَا فِيهْ خِيرْ.	228
* اعْطِينِي احْسَانَكْ، وْ شَدّْ لْسَانَكْ.	229
* خُبْزْ الْمَعْفَانَه؛ وَ لَّا خُبْزْ الْمَنَّانَه.	229
* كَسْرَةْ الْمَشْحَاحَه، وَ لَّا كَسْرَةْ الْمَنَّانَه.	230
النملة	
* طِيرْ اللِّيلْ: مْعَ الطِّيرْ يْخَرَّجْ جَنْحِيهْ، وَمْعَ الْفَارْ يْخَرَّجْ وَدْنِيهْ.	235
* اللِّي مَا يَقْدَرْشْ عْلِيهْ الشِّيطَانْ فِي عَامْ، يْدِيرُو الْقَرَّاضْ فِي سَاعَه.	239
* الذَّمَّامْ وَ النَّمَّامْ مَا عَنْدْهُمْ مْقَامْ.	241
* مَا يْخَلِّيهَاشْ تَبْرَدْ.	243
* يَدْخُلْ مَا بِينْ الظْفَرْ وَ اللّْحَمْ.	243
* مَا يَدْخُلْ بِينْ الظْفَرْ وَ اللّْحَمْ غِيرْ الَوْسَخْ.	243
* يْقَرَّضْ بِينْ الَحْمَارْ وْ عَلْفَهْ.	244

قائمة المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم برواية حفص.

✖ الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: أ. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط2، 1418ه/1997م.

✖ ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي)،

↬ القناعة والتعفف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط1، 1413ه/1993م.

↬ مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.ت.

✖ ابن تيمية (تقي الدين أحمد)، أعمال القلوب أو المقامات والأحوال، تم التحقيق بمعرفة الدار، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1411ه/1990م.

✖ ابن حبان البستي (أبو حاتم محمد)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، قرأه وعلق عليه الشيخ أبو سعيد بلعيد بن أحمد الجزائري، دار الإمام مالك للكتاب، البليدة، ط1، 1430ه/2009م.

- ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، دار الفلق، الرياض، ط7، 1424هـ.
- ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي أبو المعالي بهاء الدين البغدادي)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ.
- ابن دقيق العيد (تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مؤسسة الريان، ط6، 1424هـ/2003م.
- ابن سلاّم (أبو عُبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي)، الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ/1980م.
- ابن السني (حافظ أبو بكر أحمد بن إسحاق)، القناعة، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن عبد الله بن يوسف، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، د.ط، د.ت.
- ابن سيده المرسي (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.
- ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984م.
- ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد)، العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د.ط، 1402هـ/1982م.

✖ ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي)،

الوابل الصيب من الكلام الطيب، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط3، 1999م.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1423ه.

الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء، تخريج وتوثيق: خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1419ه/1998م.

الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393ه/1973م.

طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة – مصر، ط2، 1394ه.

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، مراجعة: سليمان بن عبد الله العميد ومحمد أجمل الإصلاحي وعلي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1429ه.

✖ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420ه/1999م.

- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه.
- ابن يعقوب مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، د.ت.
- أبو العتاهية، أشعاره و أخباره، تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
- أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس)، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط1، 1408ه/1988م.
- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران)، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- أحمد بن فارس (ابن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399ه/1979م.
- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية،ج1، لجنة التأليف والترجمة، د.ط، 1953م.
- أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة–مصر، د.ط، 1954م.
- أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1985م.

- أزهري أحمد محمود، ترياق الأحزان وراحة الأبدان: الصبر، دار ابن خزيمة، د.ط، د.ت.
- إسماعيل عبد الفتاح كافي، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د.ط، 2005م.
- الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري)،
  - صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
  - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، ج1-5: 1415هـ/1995م، ج6: 1416هـ/1996م، ج7: 1422هـ/2002م.
- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.
- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني)،
  - الآداب، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.
  - شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ/2003م.

- الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور)،

أحسن ما سمعت، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط2، 1401هـ/1981م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1410هـ/1989م.

- الحارث المحاسبي (أبو عبد الله الحارث بن أسد)، شرح المعرفة وبذل النصيحة، حققه وعلق عليه: أبو مريم مجدي السيد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1413هـ/1993م.

- الحريملي النجدي (فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ/2002م.

- حسن أحمد إسبر، الأحاديث القدسية، دار ابن حزم، لبنان، د.ط، 2007م.

- الحسين بن حرب (أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي)، البر والصلة، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط1، 1419هـ.

- حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، راجعه الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، دار الكتاب، اليمن، د.ط، 2009م.
- الخرائطي (أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري)، مساوئ الأخلاق ومذمومها، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط1، 1413ه/1993م
- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز)، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.
- رابح خدوسي، موسوعة الأمثال الشعبية، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، 1997م.
- الرازي (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النمودجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420ه/1999م.
- الراغب الأصبهاني (أبو القاسم حسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- زامل صالح الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، راسم للدعاية والإعلام، د.ط، 1406ه.
- زاهر بن محمد الزهري، الكبر، دار القاسم، د.ط، د.ت.

- سعود بن عبد الله الحزيمى، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، المجلد1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2005م.
- السيد الشحات أحمد حسن، الصراع القيمي لدى الشباب، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، سنة 1988م.
- سيمون إبراهيم حمصي، ألف وخمس مية من الحكم والأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق–سوريا، ط1، 1990م.
- شمس الدين المقدسي (محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله الراميني ثم الصالحي الحنبلي)، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، د.ط، د.ت.
- شهاب الدين أبو العباس (أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، ط1، 1407ه/1987م.
- صالح بن جناح اللخمي، الأدب والمروءة، تحقيق وتعليق: قسم التحقيق بالدار، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ط1، 1412ه/1992م.
- صالح بن عبد الله بن حميد ومجموعة من المختصين، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، د.ت.
- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي)، مكارم الأخلاق، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1409ه/1989م.

- عائض بن عبد الله القرني، لا تحزن، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، ط1، 1423هـ/2003م.
- عبد الباري محمد داود، اللسان ميزان بين الصمت والكلام، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001م.
- عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط2، 1415هـ.
- عبد الملك القاسم،
  - الكذب، دار القاسم، د.ط، د.ت.
  - من تواضع لله رفعه، دار القاسم، د.ط، د.ت.
- عراقي محمد حامد، صحيح الآداب والأخلاق من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، ومعه شرح وتعليقات لجماعة من علماء الأمة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1430هـ/2010م.
- عكاشة عبد المنان الطيبي، صيانة الإنسان من آفات وشرور اللسان، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط3، 1426هـ/2005م.

- علي خليل مصطفى أبو العنين، القيم الإسلامية والتربية -دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها-، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ/1988م.
- عمر بن محمد بن حفيظ، إسعاف طالبي رضا الخلاق ببيان مكارم الأخلاق (مجموعة حلقات تلفزيونية سجلها الحبيب العلامة عمر بن محمد بن حفيظ للقناة الفضائية اليمنية في شهر شعبان 1422هـ)، أعدها وخرج أحاديثها مجموعة من طلاب دار المصطفى، دار الفقيه للنشر والتوزيع، حضرموت-اليمن، ط1، 1424هـ/2003م.
- الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/1987م.
- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط8، 1426هـ/2005م.
- قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، د.ط، 1987م.
- كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417ه/1997م.
- مجدي فتحي السيد،

الكذب والكاذبون، (سلسلة من صفات عباد الشيطان"4")، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1414ه/1993م.

بر الوالدين والكرم والجود (سلسلة درة الواعظين من صحيح حكايات وقصص الصالحين)، العدد الثالث، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1417ه/1997م.

- المحاسبي (الحارث بن أسد أبو عبد الله)، آداب النفوس، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- المحلي (جلال الدين محمد بن محمد) والسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، د.ت.
- محمد أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي و بذيله كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء للإمام الغزالي وكتاب تعريف الإحياء بفضائل الإحياء للشيخ العيدروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1411ه/1991م.

- محمد إسماعيل صيني. ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، د.ط، 1996م.
- محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ملخص تحقيقات الحافظ بن حجر والهيثمي والشيخين الألباني والأرناؤوط، مركز التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1425ه/2004م.
- محمد بن صالح العثيمين،
  - شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر، د.ط، د.ت.
  - شرح الكبائر، متضمنة الحكم على الأحاديث من كتب العلامة محمد ناصر الدين الألباني، جمع وتحقيق: صلاح الدين محمود السعيد، دار الغد الجديد، المنصورة – مصر، ط1، 1426ه/2005م.
- محمد بن عبد الوهاب (ابن سليمان التميمي النجدي)، الكبائر، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420ه.
- محمد صالح المنجد، التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية، دار قاسم للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، سنة 1419ه.
- محمد الغزالي، خلق المسلم، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

- محمد الغزي (محمد بن محمد العامري الدمشقي أبو البركات بدر الدين ابن رضي الدين)، آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، عني بتحقيقه: د. عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، 1388هـ/1968م.
- محمد منير مرسى، مجتمع الفضيلة-الأخلاق في الإسلام، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 1419هـ/1998م.
- محمود بن الجميل، المختارة في الأخلاق والبر والصلة من صحيحة الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.
- مرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض)، تاج العروس، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- الميداني (عبد الرحمن حسن حبنكة)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط5، 1420هـ/1991م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط3، د.ت.
- نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، د.ت.

✖ النووي (أبو زكريا محيي الدين يحى بن شرف)،

الأربعون النووية، عني به قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، ط1، 1430هـ/2009م.

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محقق على منهج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مشتملة على تعليقات الشيح محمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه: محمود بن الجميل، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط2، 1425هـ/2004م.

✖ الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب)، الموشى-الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1371هـ/1953م.

فهرس الموضوعات

الإهداء

التشكرات

مقدمة ..... أ

المدخل: مصطلحات ومفاهيم

1. المثل الشعبي 13

1.1 الماهية 13

2.1 جمعه ودراسته 16

2. القيـــــم 18

1.2 الماهية 18

1.1.2 لغـــــة 18

2.1.2 اصطلاحا 21

2.2 وظائف القيم 22

3.2 مصادر القيم الإسلامية 23

3. الخلـــــق 24

1.3 الماهية 24

1.1.3 لغـــــة 24

2.1.3 اصطلاحا 26

2.3 لفظة (خلق) في القرآن الكريم 31

الفصل الأول: معالي الأخلاق في ضوء الأمثال الشعبية الجزائرية

1. بر الوالدين 40

2. الصدق 57

3. التواضع 70

4. القناعة والتعفف 84

5. الكرم والضيافة 101

6. الصبر 117

الفصل الثاني: سفاسف الأخلاق في ضوء الأمثال الشعبية الجزائرية

1. عقوق الوالدين 142

2. الكذب 158

3. الكبر 178

4. الطمع 204

5. المن بالعطية والصدقة 220

6. النميمة 235

الخاتمة 248

ملحق الأمثال الشعبية الجزائرية 253

قائمة المصادر والمراجع 263

فهرس الموضوعات 278

ملخص:

أمرالإسلام بكل ما تستحسنه العقول الخيّرة، ونهى عن كل شيء تستقبحه العقول النيّرة، إذ رغب في مكارم الأخلاق، ورهب من مساوئها، وذلك مما يقوّي الفرد والمجتمع، ويكون سبباً فيرفع الشيم، وإعلاء الهمم.

فالأخلاق الإسلامية منهاجٌ رباني، ووحيٌ إلهي، وهديٌ نبوي، وعلامات معطاءة، وتصرفات وضّاءة، وأماراتٍ تهدي إلى الحق.

وقد أوردت مجموعة من هذه الأخلاق الإسلامية، على سبيل التمثيل لا الحصر، وقارنتها مع مجموعة من الأمثال الشّعبية الجزائريّة الّتي عالجت موضوع القيم الأخلاقية الإسلامية ببلاغة بارعة، وصور رائعة، وحِكم رادعة، ومعان لاذعة، وأساليب بين ترغيب وترهيب جامعة، بغية تقويم سلوك الإنسان فلا يزيغ إلى مواضع الزّلل، ولا يميل إلى أماكن الخطيئة، ولا يقع في براثن الرديئة، متسمة في ذلك بانسجامها وتعاليم الإسلام، وتداخلها الثّقافي والمجتمعي مع مختلف الشّعوب، ممّا يبرز تمسكها بالمنهج القويم، وانتهاجها النهج المستقيم، وسلوكها الطريق السليم،رغم كل تيارات الشهوات الدنيويّة، وإعصارات الاهتمامات الدونيّة.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الأخلاق، الأمثال، الشعبية الجزائرية.

****

Résumé:

L’islam a ordonné tout ce que les bons esprits trouvent bon. Et il a proscrit tout ce qui est rejeté par les consciences illuminés. Car il incite aux comportements les plus nobles et ne consent pas aux mauvaises actions, afin de consolider l’individu et la société. Ainsi, l’islam sera la cause irréfutable de l’ascension de l’humanité.

La morale inculquée par l’islam est d’ordre divin. Transmit par le créateur via son prophète pour élever l’être humain au rang de juste.

J’ai énoncé quelques une des moralités islamiques comme exemples et je l’ai comparé à quelques proverbes populaire algérien qui ont traité le sujet de la moral islamique avec une éloquence exceptionnelle en joignant envi et effroi pour ajuster l’attitude de l’être humain a fin qu’il ne puisse tomber dans l’erreur. Ces dictonsconcordent avec les principes fondamentaux de l’islam et s’entremêlent parfaitement avec l’héritage socio- culturelle de différents peuples. Et tout cela démontre leurs attachements au droit chemin malgré toutes les tentations de la vie.

Les mots clés: Islam, Moralités, Proverbes, populaire Algérien.

****

Abstract:

Islam has ordered everything that the good spirits are good. And he outlawed everything that is rejected by the consciences enlightened. Because it leads to the behaviors the more noble and does not consent to the bad actions, in order to consolidate the individual and society. Thus, Islam will be the cause of irrefutable the ascension of humanity.

The morality inculcated by Islam is of divine order. Transmit by the creator through his prophet to elevate the human being to the rank of fair.

I outlined some of the Islamic moralities as examples and I have compared to a few Algerians popular proverbs who have treated the subject of the Islamic moral with an exceptional eloquence by joining environmental and horror to adjust the attitude of the human being has end it can fall into the error. These sayings are consistent with the fundamental principles of Islam and overlapped perfectly with the legacy socio-cultural of different peoples. And all this demonstrates their attachments to the right path despite all the temptations of life.

Key words: Islam, Moralities, Algerians popular, proverbs.